

وطي: فن الرسم والتصوير في الإسلام ما له... وما عليه

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

العدد ٤٢٩ - السنة ٣٨ - جمادى الأولى ١٤٢٢ هـ - يوليو/ أغسطس ٢٠٠١ م

أزمة الأم الحاضنة بين علماء الوراثة وعلماء الدين

لجنة النشء الإسلامي نفس تضيء وهمة متوقدة

إشراقات إسلامية في سماء التقنية المعلوماتية

ملتقى الأوقاف الثقافي الخامس: الهوية الإسلامية في ظل المتغيرات

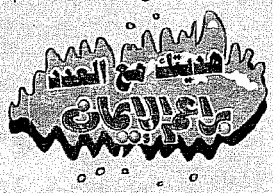
هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الحركة الإسلامية من وجهة نظر غربية

اشتراككم في مجلة الوعي الإسلامي
دعم لمسيرة الفكر الإسلامي المعاصر



الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Wael al-Islami

ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 130097 - الكويت

هاتف: ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦ / ٥٣٤٨٩٥٦ (٠٠٩٦٥)

فاكس: ٠٠٩٦٥.٥٣٤٨٩٥٤

e.mail: alwael@awkaf.net

Homepage: www.awkaf.net/alwael

الوعي الإسلامي

تأسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

إسلامية • شهرية • جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
جاسم مطر شهاب
Jasem M. M. Shehab

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 429 - السنة الثامنة والثلاثون - جمادى الأولى 1422 هـ - يوليو / اغسطس 2001 م

كلمة العدد

الغرب وقضايانا

الإخوة القراء:

يسعى الغرب بكل إمكاناته المادية والفكرية لفرض وإملاء معاييره ومفاهيمه ومقاييسه الحضارية المعاصرة على جميع الشعوب والحضارات الأخرى، وفي مقدمها الحضارة الإسلامية، لذا حاولنا في هذا العدد التركيز على موضوعات تناقش حال الإسلام والغرب، وتباين وجهات النظر بينهما تجاه كثير من القضايا الفكرية والحضارية، وكيف ينظر الغرب إلى الإسلام وتياراته المعاصرة التي تحاول النهوض بركب الأمة الحضاري على أسس ثابتة من منهج إسلامنا الحنيف.

هذه القضايا وغيرها مطروحة على بساط البحث والتحليل والنقاش وتحتاج منّا جميعاً إلى التفاعل الإيجابي معها وإثرائها، وعندها يتبيَّن لنا الرشد من الغي والخير من الشر (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) الرعد:١٧ ●

الوعي الإسلامي

موضوع الغلاف

كيف ينظر الغربيون إلى الإسلام والمسلمين؟ وكيف يدرسون الإسلام في أبحاثهم؟ وهل يبحثون مثلاً عن الحقيقة أم إن أهواءهم وتعصبهم الأعمى يحولان دون ذلك؟



الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلسا
- السعودية : ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الامارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان : ٥٠٠ بيسة
- الأردن : **دينار** واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- موريتانيا : ٢٠٠ أوقية
- تونس : ٢ دينار
- الجزائر : ١٠ دنانير
- اليمن : ٧٠ ريال
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٥٠ ليرة
- المغرب : ١٠ دراهم
- ليبيا : **دينار** واحد
- اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله.
- اميركا ودول العالم : **٣ دولارات** أو مايعادلها.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب : ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف : ٨٤٤٠٤٤ / ٥٣٤٨٩٧٤ / ٥٣٤٨٩٧٦
٥٣٤٨٩٥٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954
e.mail: alwaei@awkaf.net
Homepage: www.awkaf.net/alwaei

الإشتراكات

- داخل الكويت :
للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارا كويتيا
- الدول العربية :
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم :
للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- للمؤسسات :
٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

وكيل التوزيع شركة المنى للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف ٢ / ٤٨٣٤٩٢٢ فاكس: ٤٨٣٤٨٩٣
ص.ب ٤٢٤٨٠ الشويخ 70655 الكويت

مطابع السياسة - الكويت

في هذا العدد

ملتقى ثقافي

9 الأوقاف عقدت الملتقى الثقافي الخامس



انطلاقاً من حرص قطاع الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف على قيم الدين ومبادئه ومعتقداته وإسهاماً في رفد الثقافة العالمية بصورة إيجابية والتي تقوم على الأخذ والعطاء، عقد القطاع ملتقاه الثقافي الخامس تحت شعار الهوية الإسلامية في ظل المتغيرات.

قضايا

46 الفقر بين الحلول الدولية والإسلامية

دراسات كثيرة تطرحها المنظمات والمنتديات الدولية، حول مشكلة الفقر والفقراء في العالم وطرق معالجتها، ولكن دون جدوى، ترى لماذا فشلت تلك الحلول، وما نظرة الإسلام لهذه المشكلة؟

حوار

40 رئيس الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد لـ«الوعي الإسلامي»

د حسن الشافعي رئيس الجامعة الإسلامية العالمية يتحدث لمجلة الوعي الإسلامي حول طبيعة وأهداف الجامعة وقاضايا فكرية وحضارية تمس المسلمين في واقعهم المعاصر.

الفهرس

٣	كلمة العدد: الغرب وقضايانا	التحرير
٥	الافتتاحية: لماذا لا يقدم مجرمو الحرب العراقيين لمحاكمة دولية	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	من أنشطة الوزارة	التحرير
١٠	لجنة النشء الإسلامي نفس تضيء وهمة تتوقد	سلوى عبدالسلام
١٢	رؤية: الحركة الإسلامية من وجهة نظر غربية	سمير أحمد الشريف
١٤	حوار: مع رئيس المركز الإسلامي في برمنغهام ببريطانيا	محمود عبدالرحمن
١٦	دراسات: صورة الإسلام في الدراسات الأكاديمية الغربية	د.مصطفى رجب
١٨	فكر إسلامي: الترويح في المجتمع الإسلامي	محمد عودة
٢١	فكر: الصد عن سبيل الله.	د.محمد محمود متولي
٢٤	بيئة: التلوث الصوتي وموقف الإسلام منه	محمد عبدالقادر الفقي
٣٠	أحكام: خطورة الحيل على مصالح العباد	د.أحمد كريم
٣٣	أحكام: فن الرسم والتصوير في الإسلام ما له وما عليه	د.محمد توفيق البوطي
٣٨	فكر: قضية الإسلام والغرب من منظور علماني	عطية فتحي الويشي
٤٠	حوار: مع رئيس الجامعة الإسلامية في باكستان	أحمد مصطفى حسن
٤٢	فكر: وجهة العالم الإسلامي «الأزمة والمخرج»	عبدالرحيم شراقي
٤٦	قضايا: الفقر بين الحلول الدولية والإسلامية	د.كمال توفيق خطاب
٥٠	فكر: تخليق الإدارة العمومية في المنظور الإسلامي ٢/٢	د.حسن عزوزي
٥٤	دعوة: بصائر دعوية في جانب مناهج الدعوة وأساليبها	لحمد أبو الفتح البيانوني
٥٦	دعوة: إشراقات إسلامية في سماء التقنية المعلوماتية	محمد عبدالحكيم القاضي
٦١	شعر: وردة القدس	الشاعر عبدالغني حداد
٦٣	رسائل جامعية: النظارة على الوقف.	عبدالله بدران
٦٤	دراسات: عالم الاحتضار بين الغرب وموقف الإسلام	د. رفيق الحسن الحليمي
٦٨	البيت المسلم: كيف تعاقب طفلك؟	أشرف سعد
٧٠	كيف تواجه ثورة الغضب عند الأطفال؟	علاء الدين معصوم حسن
٧١	نظر الفقهاء في مسألة مقدار المحرم من اللبن	عبدالرحمن العمراني
٧٦	الطلاق العاطفي وأثره المدمر على الأسرة	د.مصطفى العرجاوي
٧٩	الخطورة الجسيمة لتدخين الأم	نعيم السلامرني
٨٠	أزمة الأم الحاضنة بين علماء الوراثة والدين	محيي الدين عبدالحليم
٨٢	المحاذير الشرعية لتأجير الأرحام	د.أحمد عرفات القاضي
٨٣	الوعي نت	تمام أحمد
٨٤	اقتصاد: من أخبار الاقتصاد الإسلامي	عبدالكريم خليل
٨٦	نافذة على العالم	التحرير
٨٩	ترجمات: أسقف يهز عرش الكنيسة	عبدالمنعم أحمد
٩٠	نافذة على الفكر	محمد هاني
٩٢	قصة: النصيحة	سيد عبدالحليم الشوربجي
٩٤	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	سلافة: ظاهرة خطيرة	عبدالرحمن قرة حمود

لماذا لا يقدم مجرمو الحرب العراقيون إلى محكمة دولية؟

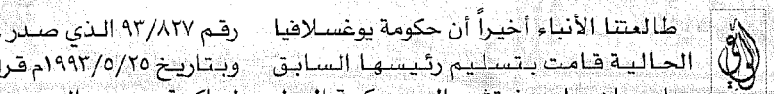

طالعتنا الأنباء أخيراً أن حكومة يوغسلافيا الحالية قامت بتسليم رئيسها السابق «سلوبودان ميلوسيفيتش» إلى محكمة العدل الدولية في «لاهاي» لمحاكمته على جرائمه البشعة التي ارتكبها خلال حكمه بحق الآلاف من أبناء البوسنة وكسوفا وذلك في تسعينيات العقد الماضي، وفي الوقت نفسه، أقام ناجون من مجزرتي صبرا وشاتيلا دعوى أمام محكمة الجنايات البلجيكية - وهي محكمة تهتم بحقوق الإنسان - ضد مجرم الحرب الصهيوني «أرئيل شارون» لمحاكمته كمجرم حرب بتهمة ارتكابه جرائم ضد الإنسانية وجرائم حرب وعمليات إبادة جماعية ضد مدنيين عزل في مخيمي صابرا وشاتيلا في سبتمبر العام ١٩٨٢م.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق: لماذا لا يقدم مجرمو الحرب في العراق إلى محكمة دولية لمحاكمتهم على جرائمهم البشعة التي ارتكبوها بحق أبناء العراق أولاً، وبحق الكويتيين، وغيرهم، والتي راح ضحيتها ليس الآلاف فقط، وإنما الملايين من الأبرياء والمشوَّهين والمفقودين.

إن مسؤولية ملاحقة مجرمي الحرب - أينما كانوا - وتقديمهم لمحاكمة عادلة لا يتنافى والمبادئ الإسلامية التي كفلت لجميع الناس حقوقهم، وحضت على معاقبة الظالمين، وإن هذه المسؤولية إنما تقع اليوم على عاتق العالم المتحضر الذي ارتضى ووقَّع ميثاق الأمم المتحدة، وكما أصدر مجلس الأمن الدولي قراره رقم ٩٣/٨٢٧ الذي صدر عقب الاجتماع رقم ٣٢١٧ وبتاريخ ١٩٩٣/٥/٢٥م قراراً بإنشاء محكمة دولية لمحاكمة مجرمي الصرب عن الجرائم التي ارتكبت في أراضي «البوسنة والهرسك»، فإننا نطالب بإنشاء جهاز مماثل لمتابعة وتعقب مجرمي الحرب العراقيين وتقديمهم إلى المحكمة الدولية لمساءلة كل الذين قاموا بارتكاب الجرائم خلال فترة احتلال الكويت.

وإذا كان العالم بشعوبه وحكوماته ومؤسساته الشرعية قد تجمَّع في تحالف وعزم وبسالة يساند شعب الكويت حتى تم طرد الغزاة، فإن آثار العدوان وما أحدثته الجرائم المرتكبة بحق أبناء الكويت نفسياً واجتماعياً واقتصادياً لا يجوز أن تمر دون أن ينال مرتكبوها جزاءهم العادل، وعقابهم الرادع، خصوصاً وأن المئات من الأسرى والمرتهنين والمفقودين من أبناء الكويت مازالوا يرزحون في السجون والمعتقلات العراقية رغم مرور أحد عشر عاماً على المغامرة القاتلة التي ارتدت إلى نحور مرتكبيها، والتي مزَّقت جسد الأمة العربية والإسلامية، وزرعت فيه شتى أنواع الويلات والمصائب.

كلنا أمل أن تشهد الفترة المقبلة قيام مثل هذه المحكمة الدولية، إنقاذاً للأمم والشعوب من عبث العابثين، وحقد الطغاة الظالمين، الذين يتحكمون في البلاد ويعيثون في الأرض الفساد (ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً) ●

رئيس التحرير



ترحب الوعي الإسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي، وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

الهدايا لم تصل... لماذا؟

أتابع إصدارات المجلة منذ عامين، وقد لاحظت أن هذه المرة الثانية التي لم أحصل فيها على هدية العدد «الكعبة المشرفة»؟ «شجرة الأنبياء»، أرجو الاهتمام بهذا الأمر، وهل كما اعتقدت أو كما فسره بعض أصحاب المكتبات لأن مصر بعيدة بعض الشيء عن الكويت، لذلك لم تصلها الهدايا أم هناك سبب خافٍ لا أعرفه؟!

المحرر: شكراً على ملاحظتك وقد وصلتنا رسائل كثيرة بهذا الخصوص، وسنتابع الأمر مع شركة التوزيع ●

اقتراح

في عدد صفر ١٤٢٢هـ وأعداد كثيرة سبقت من مجلة «الوعي الإسلامي»، الامتياز سمتها، إلا إنني لاحظت أن باب الأسرة المسلمة يفوق سائر صفحات المجلة من حيث تنسيق وحجم الصورة التوضيحية والمعبرة عن دلالة الموضوع، فهل نرى قريباً تنسيق سائر موضوعات المجلة كما هو في باب الأسرة المسلمة وهذا ليس تدخلاً فنياً في منهج المجلة، وإنما هو مجرد اقتراح ●

تصحيح

اطلعت على مقالة أ.د. بلحاج العربي بن أحمد، والتي وردت تحت عنوان: «الضوابط الشرعية للتداوي بأعضاء الميت في الفقه»، وقد وردت في المجلة في العدد ٤٢٦ صفر ١٤٢٢هـ - أبريل - مايو ٢٠٠١م، وجاء فيها في ص ٣٠ السطر (١): «إن نقل الخصية من الميت إلى الحي يجوز شرعاً، لأنه يعد لوناً من اختلاط الأنساب...»

وهذا خطأ، ولعله خطأ مطبعي، فصحة العبارة: «إن نقل الخصية من الميت إلى الحي لا يجوز شرعاً...».

لذا يرجى الإشارة تصحيحاً لهذا الحكم الفقهي.

وجزاكم الله خيراً ●

د.عبدالتواب سيد إبراهيم - مصر

المحرر:

شكراً للأخ الدكتور على ملاحظته القيِّمة، ومعذرة للإخوة القراء لوقوع هذا الخطأ المطبعي.

عظمة الرسول ﷺ في أخلاقه المثالية

أخلاق الرسول مثالية، تدل على الفطنة الخلقية: كان محمد صلى الله عليه وسلم مثالياً وهو طفل وهو غلام، مثالياً وهو شاب، عنيت به أمه كل العناية حتى توفيت في طفولته، ورباه جده خير تربية بعد وفاة أمه، وحافظ عليه عمه أبوطالب تنفيذاً لوصية أبيه عبدالمطلب، وصانه الله برعايته وعصمه من كل خطأ ليعده لأداء رسالته، حتى بلغ مبلغ الرجال، فكان أفضل قومه مروءة، وأنبلهم خلقاً، وأكرمهم عشرة ومصاحبة، وأحسنهم جواراً ومناقشة، وأصدقهم حديثاً، وأوفاهم عهداً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم أمانة، وأطهرهم سريرة، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الغلمان والشبان والرجال.

كان صلى الله عليه وسلم مثلاً كاملاً للعظمة الخلقية، ولا عجب فقد أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، وخصَّه بالكمال الذي خصَّ به أنبياءه ورسله، قال جل شأنه في الآية ٥ من سورة الأنبياء: (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين)، (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات) الأنبياء:٧٣، (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الأنعام:٩٠.

نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصدقاء في الجاهلية، وفي بيئة يعبد أهلها الأصنام والأوثان والأوهام، ولكنه لم يتأثر بما رأى وما سمع في تلك البيئة الوثنية التي تحيط به منذ الطفولة.

نشأ رسول الله مثالياً في خلقه، حتى بلغ الذروة في الكمال، فاصطفاه الله، ليكون رسولاً فيما بينه وبين خلقه، وليكون قدوة للناس كافة في أقواله وأفعاله، رجاء أن يتخلَّقوا بأخلاقه، ويقتدوا به فيما يقول وما يفعل، حتى يسمو بهم إلى الفضيلة، ويبعدهم عن الرذيلة، فطرة الله الذي أحسن كل شيء خلقه: قال تعالى في الآية ١٣ من سورة النساء: (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)، وما أجمل ما كان يدعو الله به كثيراً وهو: اللهم اهد قومي فإنهم لايعلمون).

اللهم وفقنا للعمل بكتاب الله وسنة نبيك اللهم آمين ●

محمود سالم حسين - مصر

اللغة العربية لغة القرآن

إن العرب يجب عليهم أن يحافظوا على لغتهم لأن فيها مجدهم وعزهم، والاستعمار يريد أن يقضي على هذه اللغة حتى يتمكَّن من القضاء على الإسلام، والقرآن الكريم، ويجب الاهتمام بتعليمها للجميع، وبخاصة الطلاب في كل المراحل التعليمية، لكي يحسنوا استخدام القواعد الأساسية، وأن يميل الطالب إلى الموضوعية في التعبير عن نفسه وعن الآخرين، ويعتقد أن تعلُّم اللغة إنما هو أداة فاعلة في تنمية الأصالة والابتكار، وأن يتعود على استخدام المراجع والمعاجم لتنمو عنده القدرة على التعليم الذاتي، إن اللغة العربية قد تكلم بها أبونا آدم - عليه السلام - وقد علَّمه الله أسماء الأشياء كلها كما قال في القرآن الكريم في الآية ٣١ من سورة البقرة: (وعلَّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين).

ونجد في القرآن الكريم أسماء الفاكهة والمأكولات، فجاء القرآن الكريم بكلمة الطلح - والتين - والعنب - إلى آخره، والذي يتكلم باللغة العربية يمتلك خيراً ليس مع الآخرين، فهنيئاً للعرب بما معهم من خيري الدنيا والآخرة، وندعو الله عزَّ وجلَّ أن ينصر العرب والمسلمين في شتى بقاع الأرض كما وعدهم إنه نعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل ●

محمد حسانين محمد - مصر

الانتفاضة حية

أشكر السيد رئيس التحرير على هذا العنوان وعلى هذا الشعور المتجدد بالمسؤولية، مسؤوليتنا نحن العرب تجاه القضية الفلسطينية، فلابد لنا من استمرار الوعي واستمرار الإحساس بالعار لما يحدث لإخواننا في فلسطين، ولابد من بقاء الانتفاضة حية في نفوسنا، ولا نقف أمام ما يحدث مكتوفي الأيدي، وأرجو منكم متابعة الأحداث في فلسطين.

أ. س. ع - المنيا - مصر

المسجد الأقصى

تمر السنون..
ويأتي زمان بغيض بغيض
تثور الصدور، براكين نار وحزن عميق
تموت البلابل والعندليب
وتجري الدماء، صباح مساء
تهب الرياح، كأني بها تستجيرُ الإله
فأين الصباح وأين الضياء؟
فطاغوت أرضك قد حوّلوه وقد بدّلوه
ظلاماً وفجراً وظلماً، سموماً جحيماً
وقتلا صراح
وقد دنسوه
فنعل اللئم تدور تدور
بساحة قبلة من أنكروه ومن عذّبوه
«هو المصطفى خير خلق الإله»
وتأتي الرياح بأخبار ذل هوان عميق
وقلبي يدور ويضرب صفحاً بما قد يُثار، ومن قد يثورْ
إلى أين يمضي فؤادي الكليم؟
«أبا حفص» قلبي يسافر دوماً ألوف السنين
يزور الكرامة في الخالدين
يحلق دوماً بأرض الأسود، وأرض النسور
فهذا «صلاح» ومن قبله كان «ابن الوليد»
و«صدِّيقنا» و«ابن عم الرسول»
نفوس تثور، بقلب جسور
تسطر فينا سطور الإباء، وتنثر دوماً بذور الحياة بذور البقاء
سلام عليكم جميعاً جميعاً
فنحن بكم أبداً خالدون، ونحن بكم أبداً سائرون

م.أسامة نصر عبده - مصر

ساعة الاغتيال

استقر سيل من الرصاص بصدره فتجمدت أعضاؤه وسالت دماؤه وفاضت روحه البريئة وراح الدرة ضحية الإرهاب الإسرائيلي. أصرَّ محمد على الخروج مع أبيه ليشتري له لعبة تؤنسه ولعلها تنسيه عجزه عن الخروج إلى الشارع ليلعب ولو لدقائق وجد الأب نفسه مضطراً لتلبية رغبة أبيه، ونسي أن يصطحب مدرعة واقية تحميه من رصاص القناص!... وجاءت الساعة الرهيبة، أخذ الوالد بيد ابنه البريء ليشتري له لعبة الوداع! فرح محمد بلعبته الجديدة ووجدت الابتسامة طريقها إلى محياه، وراح يسرع ليطلع أمه على لعبته الجديدة فسأله أبوه:

هل أعجبتك اللعبة... يا محمد؟!

إنها جميلة يا أبي سأريها لأمي وإخوتي وكل أصدقائي.

حافظ عليها يابني فالذين يتلذذون بتحطيم اللعب كثيرون، وأحس الأب بشعور غريب ينتابه.

لم يفهم محمد مقصد كلام أبيه واستمر في الإسراع نحو المجهول وفجأة أثير غبار كثيف وارتفعت أصوات المحركات ونزل العدو بقوات من الجنود وكأنهم يحاربون العالم، وأحاطوا بالأب والطفل، واحتمى المسكينان خلف حجر كبير لا يكاد يرى من بعيد، فأشار الأب إلى الجنود إشارات لعلهم يحنون أو يعطفون على ابنه البريء، ولكن.. لا رحمة... أين الشعارات الواهية... أين العالم فليشاهد ساعة الاغتيال، صاح الطفل بأعلى صوته مستغيثاً بأمه وبأبيه وارتفع صوته ببكاء مرير وشديد وانطلقت الرصاصات القاتلة فأخمدت صوت الصبي، وأردت الأب أرضاً مغشياً عليه. انتهى المشهد ومات جمال، واغتيلت معه براءة شعب بكامله، وأرسل جيش العدو رسالة إلى العالم يقول فيها: «هذه لغتي... راحت أرض فلسطين وشعب فلسطين يداسان تحت أقدام من لا وطن لهم ولا شراب لهم إلا من دماء الدرة وأقرانه وضاع الحق بين أيدي كثيرين ممن أغمضوا أعينهم حتى لا يبصرون شيئاً... حتى ولا ساعة الاغتيال.

محمد مصباح - المغرب

استطلاع: سلوى عبدالسلام

٣ مشروعات خيرية افتتحها وزير الأوقاف في القاهرة

افتتح وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد باقر، يرافقه مفتي الديار المصرية الدكتور نصر فريد واصل، وسفير الكويت ومندوبها الدائم لدى الجامعة العربية عبدالعال القناعي، دار أيتام المستقبل في المقطم التي قام المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة بالإشراف على تنفيذها بتمويل من وزارة الأوقاف.

ويتكون المشروع من ثلاثة مبان يحتوي كل منها على «٥» غرف للإقامة ويتسع لـ«٢٠» طفلاً وصالة استقبال ومبنى للإدارة والأمن على مساحة ٤٢٠٠ متر مربع، بتكلفة نحو ٥٠٠ ألف جنيه مصري.

وحضر الافتتاح قدري أبو حسين نائب عن محافظ القاهرة، وعبدالعزيز المطوع نائب رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة، ومحمد هادي العوضي عضو مجلس إدارة بيت الزكاة، وعبدالقادر ضاحي العجيل المدير العام لبيت الزكاة، وعبدالله مهدي مدير مكتب وزير العدل والأوقاف، واللواء حمدي الملا رئيس حي الخليفة والمقطم، ورئيس مجلس إدارة جمعية الحق في الحياة المشرفة على الدار والقيادات الشعبية والتنفيذية بالمحافظة.

وصرح المستشار عبدالرحمن الهادي مدير المكتب الكويتي للمشروعات الخيرية في القاهرة، أن «المشروع أقيم في إطار اهتمام المكتب بتقديم الرعاية الاجتماعية والصحية لذوي الاحتياجات الخاصة والأيتام في ظل التعاون والتنسيق الكامل مع وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية ومحافظة القاهرة التي تولي اهتماماً كبيراً لأبناء المحافظة من ذوي الاحتياجات الخاصة»، مضيفاً: أن المشروع يأتي في إطار بروتوكولات التعاون القائمة بين وزارتي الأوقاف في الدولتين الشقيقتين في شتى مجالات العمل الخيرية وإسهاماً من الكويت في المشاريع الخيرية التي تُنفذ في جميع محافظات مصر، والتي بلغت نحو ٢٣٠ مشروعاً، منها ٤٦ مشروعاً متنوعاً في القاهرة وحدها، إضافة إلى المشاريع الخيرية الأخرى ككفالة الأيتام ومشاريع الدعم والخدمة العلاجية، تحقيقاً لروح التكافل والتكامل الاجتماعي بين الشعبين».

وفي الإطار نفسه قام الوزير باقر يرافقه كبار الشخصيات والمتبرع سعود الفليج بوضع حجر الأساس لمشروع مجمع المرحوم محمد سعود الفليج الإسلامي في منطقة الخيالة في القاهرة، والمقام على مساحة ١٢٠٠ متر مربع، ويتكون من مصلى للسيدات وصحن المسجد ودار مناسبات ومكاتب وخدمات، بتكلفة ٧٠٠ ألف جنيه، وكذلك تم وضع حجر الأساس لمشروع مسجد المرحومة شيخة حمد ناصر الغانم داخل حرم جامعة حلوان في القاهرة، بحضور الدكتور حسن حسني رئيس الجامعة، والدكتور عمرو سلامة نائب رئيس الجامعة ورئيس حي حلوان اللواء رمضان عبدالرؤوف ونائب محافظ القاهرة قدري أبو حسين، ويخدم المشروع نحو ١٠٠ ألف من طلبة الجامعة، ويُقام على مساحة ألفي متر مربع، ويتكوَّن من مصلى للسيدات، وصحن المسجد، ومكاتب خدمات تكلف مليوناً و٣٠٠ ألف جنيه مصري ●

احتفال بحافظات القرآن الكريم





احتفاء وتكريم للحافظات الفائزات في مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده قسم حلقات تحفيظ القرآن الكريم للبنات تحت رعاية سعاد بوحمرا نائبة مدير إدارة التنمية الأسرية أقيم حفل تكريمي لحافظات القرآن الكريم بدأ الحفل بتلاوة عطرة من القرآن الكريم رتلتها ريحانة من رياحين الحلقات، وأعقب ذلك كلمة سعاد بوحمرا راعية الحفل والتي أشادت فيها بجهود الدولة الممثلة بصاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح حفظه الله، والذي يتبنى هذه المسابقات كل عام، وشكرت بوحمرا جهود جميع الهيئات التي تشجع وتدفع بالناشئة للمشاركة في مثل هذه المسابقات الفعالة، ثم ألقت رئيسة قسم حلقات البنات خلود الدهيشي كلمة أشادت فيها بدور الدولة ودور وزارة الأوقاف في احتضان الناشئة وتوجيههم التوجيه السليم من أجل المحافظة على هذا الكنز العظيم من الفتيات، وتحمل الأمانة الكبيرة التي أودعها الله عز وجل في قلوبهن، وختمت كلمتها بالدعاء لهن بالحفظ والثبات. بعدها تم توزيع الجوائز وتكريم المنسقات والمحفِّظات القديرات اللواتي قمن بجهد فعَّال في توجيه بناتهن للفوز في هذه المسابقة الكبيرة، ثم دُعي الجميع بعد ذلك لحفل شاي أعد خصيصاً لهذه المناسبة البهيجة ●

الأوقاف عقدت ملتقاها الثقافي الخامس تحت شعار:

الهوية الإسلامية في ظل المتغيرات

بحضور وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأستاذ أحمد باقر، والوكيل المساعد د.عادل الفلاح، والوكيل المساعد للشؤون الثقافية عبدالعزيز بدر القناعي، وقيادي وزارة الأوقاف، وعدد من الشخصيات والمسؤولين، افتتحت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يوم ٥ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ الموافق ٢٦ يونيو ٢٠٠١م فاعليات ملتقاها الثقافي الخامس تحت شعار «الهوية الإسلامية في ظل المتغيرات».

إشكالية الهوية

وقد ألقى عبدالعزيز بدر القناعي كلمة قال فيها: إن إشكالية الهوية من أعقد الإشكاليات التي تواجه المجتمعات، والشعوب، حيث إن الهوية عبارة عن «الشفرة» التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه، وحدود علاقاته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

وأضاف: أن رموز هذه «الشفرة» تعتمد على التراث الثقافي، والبعد التاريخي، بالإضافة إلى الواقع الاجتماعي، والعادات السائدة فيه.

وبيَّن القناعي:: أن قطاع الشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ينطلق في نشاطه الثقافي من حرصه على قيم الدين، ومعتقداته، مراعياً تقاليد المجتمع، عاملاً على الإسهام في الثقافة العالمية بصورة إيجابية، تقوم على العطاء والأخذ، وانتقاء الطيب، ورفض الخبيث.

وقال: إن ديننا الإسلامي قد عنى بالشأن الثقافي، وبسط رداء الفضيلة على كل نشاط مفيد، فقامت دعائمه على الأخلاق السامية، وتنمية الذات، والحفاظ على الهوية الإسلامية في ظل المتغيرات، والتحولات الجارفة، التي تتعرض لها المجتمعات المعاصرة، ولفت إلى أن أكبر شريحة مستهدفة هي شريحة الشباب رجالاً ونساء فهم عماد الأمة، وهم الثروة الحقيقية لأي مجتمع، ولابد من حسن رعايتهم وتوجيههم، والتحاور معهم بالمنطق والحكمة، والموعظة الحسنة، واستخدام كل وسيلة ممكنة للوقوف على مشاكلهم، ووضع الحلول المناسبة لها، وفق ضوابط شرعية، تجنبهم الزلل، وتأخذ بيديهم إلى طريق النجاة.

من جانبه، بيَّن أستاذ هندسة الكمبيوتر بجامعة الكويت د.إبراهيم إسماعيل أهمية الهوية الإسلامية للشباب المسلم التي تمثل هوية الأمة ككل، وذكر عدداً من الإحصاءات بيَّن فيها أن ٦٠٪ من الكويتيين شباب سنهم أقل من عشرين سنة ويمثلون (٢٣٠) ألف نسمة من التعداد الكلي للكويتيين، وأن هناك ٨٠٠ ألف هاتف نقال في المجتمع، وهناك ٧٠٪ يستخدمون الإنترنت

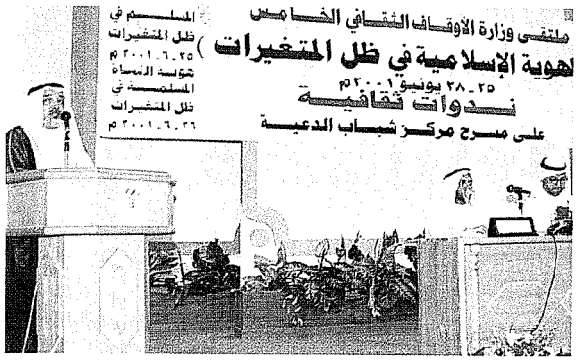

للمحادثة، وأن ٦٠٪ من البث الفضائي مستورد من الخارج.

وأشار د.إسماعيل إلى دور ثورة الإنترنت في الثقافة وعدم استغلالها الاستغلال الأمثل بتوجيه منتظم من قِبَل المسلمين واكتفائهم بالترفيه منها فقط.

وبين حالات الدمج العجيبة التي اشتملت عليها هذه الشبكة العنكبوتية التي أوجدت جهة فوق الواقع تخطت الحواجز والتفت على القوانين الموضوعة لحماية المجتمعات، وخلص بقوله: إن الإنترنت أوجدت عالماً لاتحكمه قيم ولا أخلاق ولا قوانين.

وحذَّر من سلبيات وخطورة هذا الأمر على الشباب بوجه خاص وطالب بضرورة إيجاد حلول علمية لمواجهة هذه الأخطار التي ستقضي على لغة الأمة خصوصاً وأن ٧٠٪ من لغة الإنترنت بالإنكليزية وما تبثه من أمراض اجتماعية كالكذب والتجسس وفتح أبواب الفساد الأخلاقي عن طريق المواقع الفاضحة، دون قيود في الوقت الذي لم يستفد فيه الشباب المسلم من حضارة الغرب.

من جهته بيَّن د.بشير الرشيدي أستاذ علم النفس التربوي بجامعة الكويت بتفاؤل شديد أن الأمة الإسلامية تعيش مرحلة طيبة من مراحلها العمرية، مشيراً إلى دور المسلمين الذين يعيشون في الغرب ممن وجد فيهم الغرب نموذجاً طيباً، وقال: إن أردنا أن ثبت هويتنا علينا ألا نحارب التكنولوجيا وإنما نستفيد منها بأفضل السبل الممكنة.

وقال د.الرشيدي: يجب أن نتخلص من الحنين إلى الماضي وأنين الحاضر، ويكون ذلك بالاستفادة من العصر الذي نعيشه ونفجر طاقات الشباب، الذين شبههم بوقود المحرك الذي يدفع المجتمعات إلى التقدم والرقي، وأضاف: إن مسؤولية الحفاظ على الهوية ليست مسؤولية الشباب وإنما مسؤولية الكبار وأهل الاختصاص من القادة والمسؤولين ●

استطلاع: سلوى عبدالسلام



لجنة النشء الإسلامي نفس تضيء وهمة تتوقد

علينا أن نفخر بتلك اللجان التي تحتضن النشء بدءاً من مدرسة المسجد إلى غرس الأخلاق الإسلامية الرائعة في النفوس وتنمية ذلك بالرعاية الدائمة من خلال المباشرة والملازمة والتوجيه والنصح، والتربية على أسس تربوية وفقاً للعقيدة الإسلامية، فإذا بالحصاد كثير، والعطاء جزيل والخير عميم، فبوركت العقول الناشطة، والأيدي العاملة والروح الرائعة.. التي تتجسد أمامك واضحة عندما تهم بالدخول إلى جمعية الإصلاح الاجتماعي لتجد هناك لجنة النشء الإسلامي ترعى تلك البراعم الجميلة من أبناء الكويت وتهيئ رجال المستقبل وفق أسس منتقاة بقواعد ثابتة وفق عقيدة راسخة، عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله علماً وعملاً وخلقاً.

وهنا كان لابد من وقفة مع سليمان خالد الرومي مدير المكتب الإعلامي لنتعرف إلى بعض الأعمال التي تقوم بها اللجنة، ومن خلال هذه الوقفة كان لنا هذا الحوار:

● بدأ... متى أنشئت لجنة النشء الإسلامي ولماذا؟

- لقد كان التفكير في رعاية النشء موجود منذ زمن طويل وقد تم العمل بها في جمعية الإصلاح الاجتماعي بطرق متعددة... وكان آخرها ما تم الاتفاق عليه بتكوين هذه اللجنة المتخصصة للاهتمام بشؤون النشء وفق خطة مرسومة وأهداف معروفة، فكان الإعلان عن إنشاء اللجنة الذي جاء مواكباً للمستجدات في عالم العولمة وما يمثله ذلك من تشابك في العلاقات العالمية عبر أجهزة الإعلام المتنوعة وما يصاحب ذلك من تأثير على الثوابت الإسلامية والأخلاق الفاضلة، بل حتى العادات والتقاليد، فكان لابد من تحصين النشء ضد كل تلك السموم بإيجاد لجنة تعمل على ذلك ومن ثمَّ كانت لجنة النشء الإسلامي.

● هل من نبذة عن كيفية تنفيذ ذلك وأهداف هذه اللجنة المباركة؟

- بما أن هذه اللجنة هي لجنة تربوية اجتماعية خيرية متخصصة في شؤون الناشئة في جميع محافظات الكويت... فقد اتبعت طريقاً واضحاً في العمل على تربية هذا النشء على فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً وأن يكون بالمصاحبة مع ذلك العمل على غرس العقيدة الإسلامية في نفس الناشئ وبكل ما تحمل من قيم وتعاليم إسلامية ومُثل عليا...



بحيث تعمل اللجنة على إكساب الناشئ المعارف والمهارات المختلفة وتنمية الاتجاهات السلوكية ليكون مؤسساً على عقيدة ثابتة ومعلومة راسخة وقيم معروفة ومطلوبة ومرغوبة وتلك هي القيم الإسلامية الرائعة... وكل ذلك يأتي عن طريق أهداف واضحة سارت وتسير عليها اللجنة ومنها، إعداد الناشئ ليكون لبنة صالحة في المجتمع الكويتي، وغرس مفاهيم العقيدة في نفسه، وتطبيق ذلك عملياً في سلوكه، تربية النشء على القيم والأخلاق الفاضلة، تنمية المهارات والقدرات العقلية والجسمية لدى الناشئ، والعمل على ربط الناشئ بصحبة صالحة تساعده على تطبيق تلك الأهداف.

● تلك أهداف رائعة... فكيف يتم تنفيذها؟ وما الوسائل المعينة على ذلك؟

- الحقيقة أننا نتبع في تنفيذ وتحقيق تلك الأهداف طرق متنوعة وأساليب متعددة مثل حلقات تحفيظ القرآن الكريم للناشئة، الدورات التربوية، الرحلات والزيارات، الدورات الرياضية، المسابقات الثقافية، الرحلات الخارجية للعمرة، وغير ذلك... وطبعاً لا يخفى عليك أننا من خلال تلك الأعمال نصل إلى غرس الأهداف وبطرق سهلة ووسائل مختلفة ومتنوعة محببة إلى نفسية الناشئ، فتنمي في نفسه حب كتاب الله جل وعلا مع المحافظة على تلاوته وحفظه وفهمه ليكون دستوراً حياتياً له... كذلك نزرع المبادئ الإسلامية، بما فيها من أخلاق وعلوم خلال المسابقات الثقافية التي نطعّمها بدورات رياضية تبني جسم



● سليمان خالد الرومي مدير المكتب الإعلامي

الناشئة ليتناسق البناء الجسدي مع البناء الثقافي والروحي فتبنى بذلك شخصية إسلامية متكاملة.

● وماذا عن المرحلة العمرية التي يمكن للجنة قبولها؟ وما نوعية المشرفين على اللجنة؟

- اللجنة تستقطب تلاميذ المرحلة الابتدائية والمتوسطة من سن ٩ سنوات إلى ١٤ سنة لأن المرحلة المتوسطة هي من أخطر مراحل العمر حيث المراهقة، والتي إذا لم يوجد لها التوجيه السليم والرعاية المنهجية، فربما ينحرف الناشئ مع ذوي الأخلاق السيئة (رفقاء السوء) فتسوقه نفسه الأمارة بالسوء إلى ما لا يحمد عقباه، ولذلك ارتأت اللجنة أن تحرص على الاهتمام بهذه الفئة العمرية لتحفظها من خطر الانحراف ومن ثمّ تؤهلها للحياة الصالحة... وقد قامت اللجنة باختيار مجموعة مميزة من الشباب العامل المتعلم ليكون قدوة للناشئة ويعمل وفق التوجيه والإرشاد، ويكون صاحباً لهم، حيث يكون عمره بين ١٧ إلى ٢٠ سنة، ومن هنا يكون الصديق والموجه والمربي، خصوصاً أن اللجنة تقيم دورات شرعية تسهم وبشكل مباشر في تثقيف المشرف ثقافة شرعية مناسبة لعمله باللجنة.

● وما مدى الإقبال على اللجنة وقد غرست الآن بالعمل الميداني؟

- الحقيقة بعد هذه التجربة من عمر اللجنة، نجد بفضل الله أن الإقبال زاد وبشكل كبير ما جعل الاهتمام يزداد، والخطوات تتخذ لمزيد من العطاء.

● ما دور اللجنة في بناء الناشئ في المجتمع والأسرة؟

- كما ذكرت سابقاً أن اللجنة تهتم بالناشئ من سن (١١ إلى ١٥ سنة)، وهذا العمر يعتبر للناشئ من أهم مراحل حياته، حيث يبدأ بتكوين شخصيته ويبدأ بتكوين العلاقات الاجتماعية مع بني جنسه، كما يبدأ بمعرفة العمل الصحيح من الخاطئ حسب التوجيهات، وكذلك يبدأ بهذا السن يلتصق بالذي يفوقه عمراً حتى يبرز، ويبدأ بإظهار مواهبه... وعموماً في هذه المرحلة نرى محبة الناشئ للظهور والتميز بأي شكل من الأشكال، ونلاحظ أن هناك بعض الأفراد في هذا السن سواء في الخارج أو في داخل الكويت يجب أن يظهر بمظهر سلبي، ومثال ذلك الإقبال على التدخين أو عمل بعض التصرفات الخاطئة وغيرها من الأمور، أما بالنسبة للناشئة في لجنة النشء الإسلامي، فهي تحاول إبراز هؤلاء الشباب ولكن بمظهر إيجابي، ومثال ذلك إبراز الناشئ في قضية النشيد الإسلامي أو الخط أو التمثيل أو في جانب المهارات الفردية، وكثيراً من الأمور التي يمارسها في حياته اليومية، فلابد من إبرازها، فإذا لم نبرزها نحن، فإنه سوف يبرزها من تلقاء نفسه، ولكنه لا يعلم أن هذا سيكون سلباً أو إيجاباً ومن هنا تكمن أهمية دور اللجنة في هذا المضمار بتوجيه الناشئ نحو مظهر إيجابي، وصقل شخصيته الإسلامية المميزة... وتحاول اللجنة قدر المستطاع أن تخرج الناشئ عضواً فاعلاً في المجتمع وعنصراً مساهماً في البناء، ويتم ذلك بالإعداد لبرنامج خاص للناشئة يقوم على أسس ثابتة لكل الناشئة على جميع المحافظات،

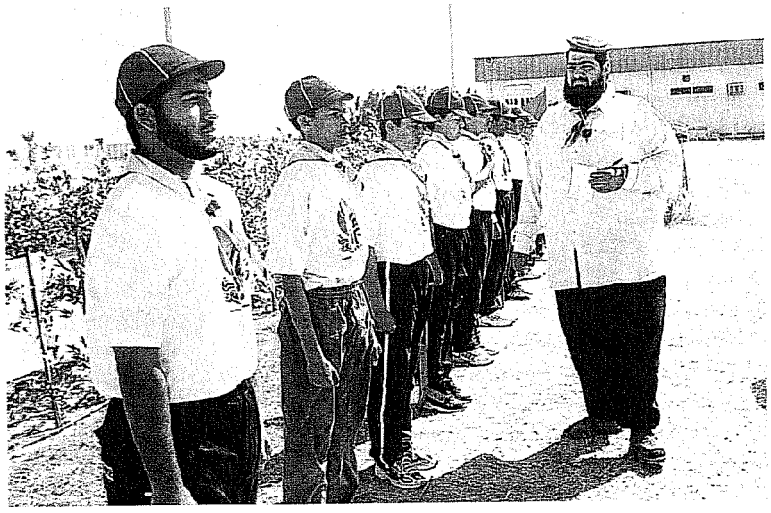

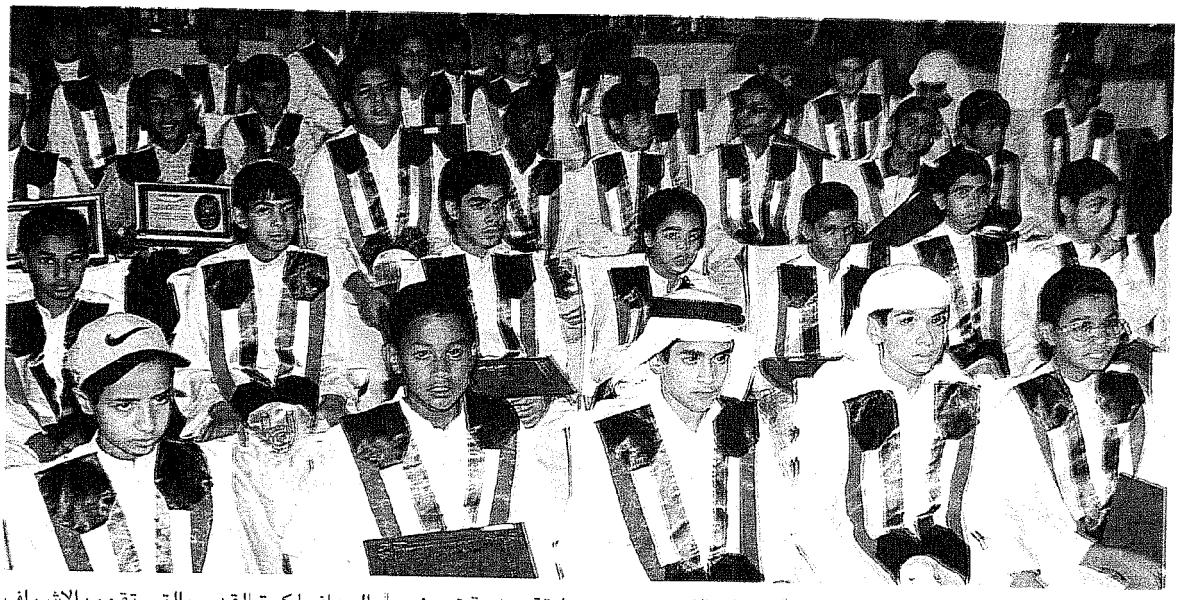

ويكون هذا البرنامج مدون في كتاب ويوزع للناشئة مجاناً ويشمل البرنامج على السيرة والفقه، والحديث، والقرآن، وكل الأمور التي يحتاجها الناشئ... وأحب أن أذكر ملاحظة في هذا الشأن أن اللجنة تحرص دائماً على غرس مفاهيم حب الوطن والولاء له.

● تقوم اللجنة بأنشطة ثقافية وترويحية كثيرة ومتنوعة، فهل من نبذة عن بعض منها؟

- هناك المسابقات الذهبية الكبرى لحفظ القرآن الكريم، وهي مسابقة سنوية تحرض اللجنة عليها لتحفيز النشء على حفظ كتاب الله تعالى، وهذه أمنية غالية على نفوسنا نسعى إليها دائماً، واللجنة أنشأت مركز «تاج الوالدين» لتحفيظ القرآن الكريم، وله إدارة مستقلة.

وهناك الأنشطة الرياضية مثل: كشافة الفتية، وهي عبارة عن رعاية كشفية في مخيم كشفي تقيمه اللجنة سنوياً ونختار فيه نخبة من المميزين من أعضاء اللجنة ممن يدرسون في الصف الرابع المتوسط، إضافة إلى دورة الهداف لكرة القدم، والتي تقوم بالإشراف عليها لجنة النشء بالتعاون مع مراكز الشباب التابعة للهيئة العامة للشباب والرياضة وفرق المحافظات التابعة للجنة النشء ويكون التعاون في التنظيم وفي مشاركة الفرق مما يوجد روحاً تنافسية، ويخلق أجواء للصحبة الصالحة، إضافة إلى الترفيه والبناء الجسماني الرياضي.

وأيضاً هناك واحات الناشئ المبدع، وهي من أضخم أنشطة اللجنة ولها برنامج صيفي متنوع ومتكامل يحتوي على الكثير من الدورات التي يخرج منها الناشئ بخبرات عملية ميدانية مثل تعليم الكمبيوتر والخط والمهارات اليدوية والكراتيه، إضافة إلى الرعاية الروحية الممثلة في القرآن الكريم حفظاً وتلاوة، وكذلك تدريس الثقافة الإسلامية بقيمها الخالدة... إضافة إلى دورات الارتقاء التطورية الخاصة وهي التي تكون خاصة بالمشرفين، حيث تعمل على تطوير المشرف والارتقاء به في مستوى المتابعة والتربية للناشئ والاستعانة بأصحاب الخبرة والدراية في ذلك، والأمثلة كثيرة والأنشطة متنوعة، وهناك الفرحة التي أشعر بها حينما أجد ناشئاً مميزاً ومحافظاً على حضوره ويستفيد من الأنشطة وينمي خبراته، وتغمرني سعادة أكبر حينما أجد تعاوناً مع الأسرة لتطوير قدرات الناشئ، وأتمنى أن تتسع اللجنة بفروعها لكل أبناء الكويت، وباقة ورد لكل ناشئ مجد وأب مخلص وإنسان متعاون ومشرف مجتهد متجدد ●

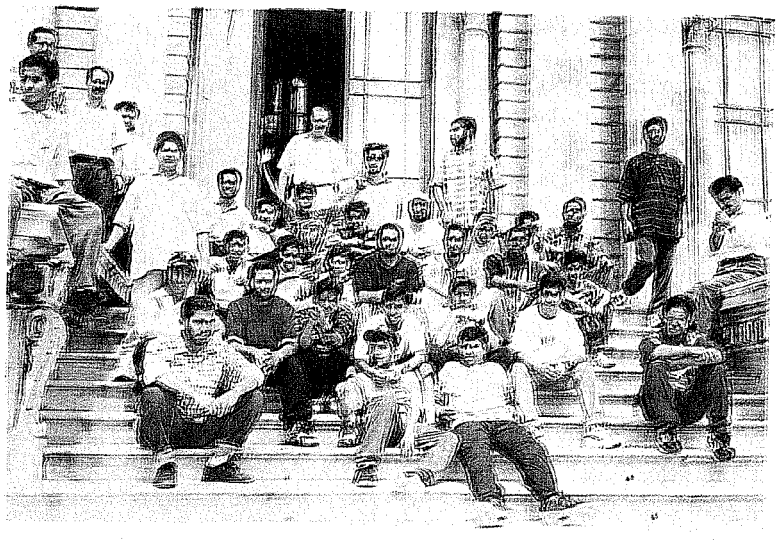

الحركة الإسلامية من وجهة نظر غربية

بقلم: سمير أحمد الشريف

ظن الكثيرون أن الاستعمار قد انتهى برحيل آخر جندي في جيوشه عن بلاد المسلمين. والحقيقة أن عدونا انسحب من بلادنا نعم، لكن بعد أن غيَّر من أساليبه التي جاءت أكثر خبثاً ودهاء مما كنا نعرفه أيام دباباته وطائراته وقطعات جنوده، إنه غادرنا، ولكنه وبوسائل شتى لا يمكن حصرها آلى على أن يواجهنا من وراء جدار بثقافاته وإعلامه وأنماط حياته التي أوشكت أن تشكك المسلمين وتبلبل أفكارهم وتتركهم حائرين.

لعل قراءة هادئة واعية لأدبيات واحد من المستشرقين الذين أخذوا على عاتقهم حمل تلك الرسالة كافية لنعرف ماذا يُراد بنا وكيف ينظر الغربيون لنا وذلك بالاطلاع على ما خطه «ريتشارد كمجيان» في كتابه «الأصولية في العالم العربي».

يرصد «دكمجيان» إحدى وتسعين جماعة إسلامية، يشكل مجموعة في نظره صورة عن الحركة الأصولية في العالم العربي معترفاً - رغم دقته وجهده في الاستقصاء والبحث - أن معلوماته بعيدة عن الكمال، منبهاً لضرورة استمرار البحث حتى يحصل الغرب على تصور كامل للواقع الإسلامي في المنطقة العربية، وهو يعترف أن معلوماته هُنا استقاها من نحو ٢٠٠ مرجع وصحيفة ونشرة ودورية كُتبت بأكثر من لغة، إضافة لمقابلات شخصية مع مراجع علمية وحركية في المنطقة.

حسب استقراء «دكمجيان»، فإن كل الدلائل تشير إلى وجود الأصولية في قطاعات المجتمع جميعاً، وإن كانت الطبقات الدنيا والوسطى هي المصدر الرئيس.

حكم «دكمجيان» على أن ٧٥٪ من أعضاء الجماعات الإسلامية «نضاليون» بسبب توجهاتهم الثورية، وسجلاتهم التي تتسم بالعنف مع بعض استثناءات هنا وهناك، ثم يربط بين حجم الجماعات ونضالها، فيقول: إن الحركات كلما كبُرت كانت نشاطاتها أكثر علنية ونضاليتها أقل.

أما مذهبياً فيلاحظ «دكمجيان» وجود فروق بين النظم العقدية والممارسات حيث تميل الجماعات الأحدث إلى التركيز على الجهاد في حين لا تلجأ الجماعات الكبرى له إلا كوسيلة حين يبدو لها أن العنف انفع لقضيتها، أما القيادات الإدارية للجماعات فيغلب عليها صفة «الأسرة» وتتخذ لنفسها لقب الأمير أو الإمام أوالمرشد أو المهدي، هذه القيادات تتصف عموماً بجذورها الهامشية وإحساسها بالغربة عن المجتمع، وبحثها الدائم عن التعويض مع وجود الخلفيات الصوفية لدى كثير من هذه القيادات التي تحولت إلى نضالية بسبب معاناتها الشخصية.

إن «ريتشارد دكمجيان» في تناوله للحركات الإسلامية نراه يفرد للهوية الفردية والجماعية فيها مساحة كبيرة، ويعتبر «الأصوليون» من أوائل من أثاروا هذا الموضوع في المجتمعات الإسلامية!!.

ويرجع «دكمجيان» سبب حدوث هذه الأزمة «الهوية الفردية والجماعية» إلى أن الإسلام يؤلف نظاماً شاملاً للحياة يحتوي على الدين والدولة، ولهذا فإن إيجاد بديل للشخصية حسب «دكمجيان» أمر مستحيل، إضافة لبروز القوميات التي تنامت بعد انهيار الخلافة العثمانية ما ساعدت في ذوبان الشخصية أو إيجاد بديل لها.

هذا ويُرجع «دكمجيان» سبب ظهور أزمة الهوية إلى عوامل كثيرة أهمها الأزمة الشرعية وقهر النخب الحاكمة ذات الشرعية الضعيفة وصراع الطبقات الذي أفضى إلى عجز في إقامة عدالة اجتماعية، يضاف إلى ذلك العجز العسكري والنزعة الثقافية التحديثية التي كان هدفها مجرد اللهث خلف الغرب وتقاليده وما تضمنه من استيراد لأنماط سلوكية مخالفة لما اعتدنا عليه واعتادت عليه مجتمعاتنا.

هذه الأسباب مجتمعة ومتفرقة أفضت بمجملها إلى تحديد شخصية الأصولي بسمات كثيرة كالتعصب والتطرف مما يظهر - حسب وجهة نظر «دكمجيان» - في عزلة المتطرف نتيجة لبيئة الأزمة العربية الإسلامية، كما يعود التعصب والتطرف إلى اكتمال شخصية المتطرف قبل أوانها حيث يؤدي الالتزام الحاد في حال الشباب إلى الاكتمال قبل الأوان فتتميز بالشدة والتشدد ورفض للقبول بقيم جديدة.

أما مشاعر الدونية لدى المتطرف فتتحول إلى مشاعر استعلاء عدواني لحظة أن يدخل في حظيرة العقيدة الإسلامية، ومن هنا ينشأ لديهم الميل للعدوانية في تعاملهم مع الكفار كنوع من التعويض عن الحرمان في المجتمع أولاً، ولقناعتهم أن كل من ليس معهم فهو ضدهم، وهو بمفهومهم ضال، ينظرون إليه بعين غير متسامحة مستريبة تحملهم على الإيمان بنظريات تآمرية من جانب، وتعلقهم بأحلام مثالية يثبتونها بالطاعة العمياء والاستعداد للتضحية والتشدد في التعاطي مع أبجديات الحياة التي تمثل لهم أقصى حدود الالتزام من خلال إعطاء بيعة تمثلها طاعة مطلقة للقائد.

وإذا ما انتقلنا لزاوية أخرى، فإن «دكمجيان» يرصد مجموعة نقاط في أسباب معاداة الحركة الإسلامية لأمريكا، وتتمثل في الدعم غير المحدود لإسرائيل الذي يُبقي على الضعف العسكري العربي مدة طويلة وبالتالي يزيد من الوجود الأمريكي، ودعم الحكومات ذات التوجه العلماني وولائها الغربي وتسهيلها لانتشار القيم الغربية بسهولة في المجتمعات العربية المسلمة وانتهاجها سياسات تزيد من سوء التوزيع في مداخيل أفراد الشعب.

أما كيف يتسنى للحكومة الإسلامية السيطرة على الأصوليين واحتوائهم، فيلخصها «دكمجيان» في نقاط أهمها:

- التزام القيادات بإجراء مجموعة إصلاحات سياسية اقتصادية.
- تقديم فكر يُلغي ما تقتنع به الحركات الإسلامية كنوع من التدجين الاجتماعي بهدف تقوية وضع النخبة.
- اجتذاب الأصوليين للمشاركة في الأنظمة بعد خطوات تدجينية.
- إثارة الشقاق بين الجماعات الإسلامية.
- الحذر الشديد في قمع الحركات الإسلامية حتى لا تزداد شعبيتها.

وبعد، فهذه نظرة مستشرق واحد في مؤلف واحد، فهل أدركنا كم يبذل الغربيون من مال وجهد في سبيل أن يعرفوا ماذا يجري في بلادنا، لكن السؤال المرُّ هنا: كم من الجهد والمال نبذل نحن لنعرف غيرنا، وكم عدد المراكز الرسمية والخاصة التي تقوم حتى ترفد هذا الجانب؟ ●

المرجع:

«ريتشارد هرير دكمجيان» - الأصولية في العالم العربي - ترجمة: عبدالوارث سعد - دار الوفاء - المنصورة - د.ت.

حوار: محمود عبدالرحمن

المراكز الإسلامية في الغرب متهمة بالتقصير في مواجهة التيار الطاغي الذي يسيء للإسلام والمسلمين، ومن أجل بيان دور المراكز الإسلامية في الدفاع عن الإسلام في الغرب والمشاكل التي يواجهها المسلمون هناك، ومن أجل الصعوبات التي تقف أمام نشر الدين الحنيف في الغرب وغيرها من التساؤلات كان هذا اللقاء مع الدكتور أبوسليم محمد عبدالرحيم رئيس المركز الإسلامي في برمنغهام في بريطانيا وأمير مجلس علماء بريطانيا، والمدير لدار العلوم العربية والإسلامية. سألته أولاً:

رئيس المركز الإسلامي في برمينغهام ببريطانيا لـ «الوعي الإسلامي»

القدس لن تعود بالكلام... وإنما تعود بالفعل والعمل المخلص

● ما دور المركز الإسلامي في برمنغهام وكيف يقوم بخدمة الدعوة الإسلامية في بريطانيا؟ وما الأنشطة التي يقوم بها لخدمة المسلمين هناك؟

- المراكز الإسلامية في المملكة المتحدة هي أهم المؤسسات الإسلامية التي تعنى بنشر الدعوة الإسلامية الصحيحة عن الإسلام، حيث تقوم هذه المراكز والتي منها المركز الإسلامي في برمنغهام بتنظيم اللقاءات الدينية من أجل التوعية والإرشاد والإجابة على كل الفتاوى والاستفسارات المتعلقة بالأحكام الشرعية، والرد على المغالطات التي تُنشر عن الإسلام، ويدعى لهذه اللقاءات شخصية إسلامية كبيرة موفدة من الأزهر، أو من إحدى الدول الإسلامية مثل السعودية ويحضر هذه اللقاءات عدد من غير المسلمين في بريطانيا.

كما يقوم المركز الإسلامي بتعليم اللغة العربية وتدريس علومها والعلوم الإسلامية لأبناء المسلمين وغير المسلمين هناك، وذلك من خلال كلية العلوم العربية والإسلامية، والتي تعد أحد المؤسسات التعليمية الخاصة للمسلمين في بريطانيا والتي تم الاتفاق - على إنشائها وعلومها والمواد التي تدرس فيها - مع الجهات الحكومية البريطانية.

حرية الشعائر

● هل يوجد في بريطانيا تضييق على المسلمين في ممارسة شعائرهم الدينية... وكم يبلغ عدد المساجد هناك؟

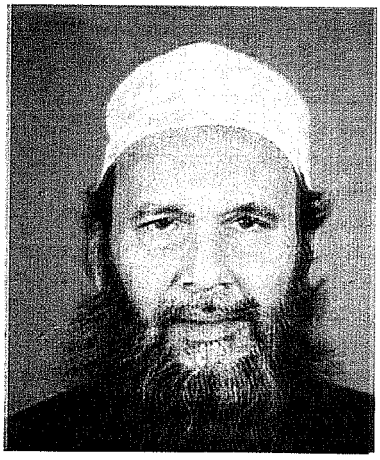

- في الحقيقة لا يوجد في بريطانيا ما يمنع المسلمين من أداء شعائرهم الدينية، بل إن الحكومة البريطانية تتيح لكل الديانات حرية كاملة في أداء شعائرها، غير أن الوضع يختلف من منطقة إلى أخرى، فنحن في برمنغهام يُتاح لنا الإعلان بالأذان عند كل صلاة في مكبرات الصوت، وكذلك إقامة الحفلات الدينية في المناسبات، إلا أن هذا لا يتحقق لبعض المراكز الإسلامية في بريطانيا، فبعضها يُحرم من ذلك، أما عدد المساجد في بريطانيا فقد وصل نحو ١٥٠٠ مسجد، ويبلغ تعداد المسلمين في بريطانيا نحو مليوني مسلم، منهم ٣٠٠ ألف في برمنغهام.

● من خلال الواقع العملي لكم، ما طبيعة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في بريطانيا، وما نظرة غير المسلمين للإسلام والمسلمين هناك؟

: أرى أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم في برمنغهام علاقة حميمة، فالمسلم يحترم عقيدة المسيحي، والمسيحي يحترم عقيدة المسلم، خصوصاً المعتدلين منهم، فالأديان من شأنها أن تعمق في نفوس أهلها حب العقيدة والتمسك بها، والحرص على التعاون والإخاء بين الجميع، وهذه هي رسالتها، أما أن يحدث تطاول أو إساءة لدين أو عقيدة، أو نبي من الأنبياء، أي كان، فهذا لا نقبله بأي حال من الأحوال.

وكل ما نطالب به الدعاة والمسلمين بعامة، وخصوصاً في بريطانيا أن ينشروا دعوة الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والأخلاق الطيبة والسلوك والمعاملة والالتزام بالآداب الإسلامية، التي أمر بها الإسلام وشريعته السمحة، ولكننا نجد أن هناك بعض المؤسسات أو الأفراد ممن ينشرون مغالطات عن الإسلام، أنه دين عنف وإرهاب، وأنه دين لا يسوِّي بين الرجل والمرأة وغيرها من الادعاءات الباطلة، ونحن بدورنا نقوم بالرد على كل ذلك في خطب الجمعة أو النشرات والكتيبات التي توزع من خلال المركز الإسلامية، ومن الجدير ذكره أن غير المسلمين حين يعرفون حقيقة الإسلام ويعلمون أنه بريء من كل التهم التي تلصق إليه زوراً وبهتاناً، يُقبلون على دراسته واعتناقه، الأمر الذي يتطلب من المؤسسات الدينية والإعلامية في العالم الإسلامي، أن تمد المراكز الإسلامية في أوروبا والغرب بكل الوسائل الإعلامية الحديثة، والمؤلفات المترجمة إلى الإنكليزية واللغات الأخرى التي تشرح وتقدم الإسلام الصحيح، وتفنِّد وترد رداً علمياً على الافتراءات والشبهات التي يرددها أعداء الإسلام في الغرب.

● يتردد بين الحين والآخر في العالم الغربي أن الأقليات المسيحية لا تأخذ حقها من الاهتمام في البلاد الإسلامية التي تعيش فيها... فما قولكم في ذلك؟

- ما تردد حول هذا الموضوع في أميركا والغرب غير صحيح. وهذه إشاعات الغرض منها إيقاع الفتنة بين المسلمين والمسيحيين وبخاصة في مصر، ولكن ما نعلمه أن مصر بلد آمن ومستقر ولا تفرق بين مسلم ومسيحي، بل الجميع متساوون في الحقوق والواجبات، وأن مصر أقل بلاد العالم نسبة في وقوع الجريمة، وأن

المسيحيين فيها يحصلون على كل حقوقهم، والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين قائمة على الإخاء والتعاون والمودة، ويا ليت مسيحيي العالم وبخاصة الذين يعيشون في أميركا والغرب وأوروبا بشكل عام يعاملون الأقليات المسلمة في بلادهم مثلما يعامل المسلمون المسيحيين في بلادهم، وإذا بحثنا عن الحقيقة وجدنا أن الذين يقع عليهم الاضطهاد والظلم هم المسلمون في بلاد الغرب.

الحركات التبشيرية

● وماذا عن الحركات التبشيرية في الغرب، وما حجمها في بريطانيا؟ وما واجب المؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي في مواجهتها؟

- لاشك أن التبشير هو أحد الطرق والخطط التي تُحاك ضد الإسلام والمسلمين في قارات وبلاد العالم، وهذا موجود في بريطانيا، إلا أنه لم يجد سوقاً رائجة له، وأن معظم المسلمين واعون لهذه الخطط والأساليب، ويجب على الدول الإسلامية الغنية أن تبطل الخطط التبشيرية بأساليب أكثر فعالية، وذلك بسخائها على المراكز الإسلامية في بلاد الغرب حتى تتمكن من زيادة وتوسيع نشاطها الإسلامي، كما يجب عليهم التوسع في بناء المدارس والمراكز والمعاهد والكليات الإسلامية في الغرب وذلك في زيادة عدد البعثات من علماء المسلمين لمواجهة هذا الخطر.

● ما طبيعة المشكلات التي تواجه المسلمين في بريطانيا؟

المشكلات التي يعاني منها المسلمون في بريطانيا ليست بعيدة عن المشكلات التي يعانون منها في أي دولة في الغرب، إلا أن طبيعة المشكلات الكبيرة التي تواجه المسلمين في بريطانيا بشكل خاص تتمثل في ضعف الانتماء إلى الدين الإسلامي، وذلك نتيجة الغزو الثقافي الغربي الذي يستهدف زعزعة الهوية الإسلامية في نفوس المسلمين الذين يعيشون في الغرب، كما أن هناك مشكلة كبرى تواجه الكثيرين من المسلمين في بريطانيا، وهي الخلافات المذهبية، وهذه هي مصيبة المسلمين الكبرى في بريطانيا، لكن الصفة الغالبة هي الاعتدال وهم من أهل السنّة والحديث.

● ما تقويمكم لدور بعثات الأزهر الشريف التي توفد إلى المراكز الإسلامية في أوروبا أو في الغرب عموماً؟

- في الحقيقة نحن نتطلع إلى دور أكبر للأزهر الشريف في هذا الشأن، ولا شك أن الأزهر وعلماءه يقومون بدور كبير من خلال البعثات إلى دول العالم لنشر الدين الصحيح، إلا أننا نطالب بزيادة وتكثيف هذا الدور خصوصاً وأن الأزهر ومصر لهما الثقل الإسلامي الكبير في العالم، والأقليات الإسلامية في العالم تتطلع إلى إمدادها بالثقافة الدينية والفكرية، باعتبارهما المرجع والرمز لكل مسلم، أما عن نصيبنا من هذه البعثات، فهو ما زال قليلاً، ولا يوجد سوى مدرسين من الأزهر يقومون بالتدريس في كلية العلوم العربية والإسلامية.

● من بين المقولات التي تُنشر ظلماً عن الإسلام في الغرب أنه العدو المقبل للغرب... فكيف ترون الحقيقة من وراء هذه المقولات؟

- الذين يروِّجون لهذا الكلام هم الإعلاميون في الغرب، وبخاصة غير المنصفين والحاقدين على الإسلام والمسلمين، وهؤلاء بأجهزتهم وأساليبهم يصورون للجماهير الأوروبية الإسلام على أنه إذا انتشر وتمكّن في المجتمعات، فسوف تتقيد الحريات، ويُحرم الإنسان من ملذات وشهوات كثيرة.

وأعتقد أن الذين يروِّجون لهذا الكلام عن الإسلام يخشون منه، لأنه الدين الذي يسوِّي بين

الذين يروّجون في الغرب أن الإسلام هو العدو المقبل... لا يريدون للبشرية أن تعيش في سلام واستقرار

الناس جميعاً في الحقوق والواجبات، فلا فرق لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح. كما أنه دين يدعو إلى محاربة الرذائل وينشر الفضائل ويعمِّق الحب والإخاء والمودة والسلام بين البشر جميعاً، لأنهم جميعاً من أب واحد وأم واحدة، ولأن هناك أناساً من البشر لا يريدون للشعوب والأمم أن يكون هذا هو حالها ومنهجها ودستورها، ومن ثمَّ فهم يروِّجون لمثل هذه الأفكار الكاذبة والمضللة عن الإسلام، ولكن الله دائماً يكذِّب ظنهم، ويُبطل خططهم، ففي الوقت الذي يحاربون فيه الإسلام بكل السبل والوسائل، ويشوِّهون صورته، نجد المئات يدخلون في دين الله وهم راضون ومقتنعون عن يقين أنه الدين الصحيح والصالح، لكل زمان ومكان، وأنه الدين الخاتم، وصدق الله العظيم إذ يقول: (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

● من خلال قراءتكم لواقع الأمة الإسلامية... كيف يمكن للأمة مواجهة التحديات التي ستواجهها في القرن الجديد؟

- أرى أن أكبر تحدٍ يواجهه المسلمون في القرن الجديد هو ضرورة أن يتربى أطفال المسلمين على تعاليم وآداب وأخلاق وقيم الإسلام، وأن يتحدوا على كلمة واحدة، ويرأبوا الصدع والشقاق، كما لا بد للمؤسسات الإسلامية في العالم الإسلامي من العمل على ضرورة إحياء فكرة الوحدة والتضامن، وأن تنشأ آلية تحقق هذه الوحدة سواء كانت عسكرية أو اقتصادية، ولابد أيضاً من عقد لقاء قمة دولي يجمع بين ملوك وأمراء ورؤساء الأمة الإسلامية لدراسة المشكلات والتحديات التي تطرأ على الساحة المحلية والعالمية أولاً بأول. وهذا يتطلب منَّا أن نعد العدة لمواجهة العدو التي يعتدي على مقدسات الأمة الإسلامية وينتهك حرمتها، ومن ذلك قول الله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدكم)، لذلك فنحن نؤيد القوة النووية للمسلمين ضد أعدائهم، فليس من المعقول أو المقبول أن يتسلح العدو بأحدث الأسلحة ويعد العدة لمواجهتنا، ونحن جالسون ننتظر الاعتداء علينا.

فالإسلام يدعونا إلى اتخاذ أسباب القوة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، سواء كانت القوة العسكرية أو الاقتصادية أو العلمية أو غير ذلك، فالإسلام يريد لأتباعه أن يكونوا في موقع القوة لا الضعف، والإنتاج لا الاستهلاك، والابتكار والتجديد لا التقليد والاتباع، فإذا تحقق كل ذلك في المسلمين، تغيَّرت أوضاعهم في العالم، وكانت كلمتهم هي العليا كما كانت في الماضي.

● من خلال متابعتكم لما يحدث في فلسطين والقدس الشريف... ما تقويمكم للدور العربي والإسلامي والمواقف التي اتخذها الجانبان تجاه قضية القدس؟

- الحقيقة أن قضية القدس أخذت حقها من الشعوب والحكومات الإسلامية في الكلام فقط، لكن الواقع يؤكد أن الكلام لن يسترد حقوقاً ضائعة، وهو أيضاً لن يعيد لنا القدس، فالقدس تعود بالفعل والعمل المخلص الذي لا يكون إلا ببذل كل غال، ومجاهدة النفس، وأرى أن العامل المهم في قضية القدس يرجع إلى ضرورة اتخاذ قرار حاسم مع إسرائيل ومن يناصرها، وهذا لا يعني شن حرب، وإنما المقاطعة الاقتصادية ربما تكون أكثر ضرراً من آثار الحرب، وعلى الشعوب العربية والإسلامية تنفيذ المقاطعة لكل المنتجات الأميركية والإسرائيلية منذ اليوم، وتعتبر هذا العمل جهاداً في سبيل الله، فإذا استطعنا أن نفعل ذلك نكون بالفعل جاهدنا مع إخواننا الفلسطينيين، وساعدناهم على تحرير أرضهم واسترداد المسجد الأقصى السليب ●

بقلم: أ.د. مصطفى رجب

صورة الإسلام في الدراسات الأكاديمية الغربية

تهتم الجامعات الغربية بدراسة الإسلام، هذه حقيقة لا شك فيها، ولكن الشك كله يحيط بدوافع «تلك الدراسات، فما الذي يبحث عنه الباحثون في الجامعات الغربية وهم يدرسون الإسلام في أبحاثهم العلمية؟ هل تكون لديهم آراء مسبقة يريدون تدعيمها بنتائج بحوث معتمدة بأختام كبريات جامعاتهم لتغدو وكأنها حقائق؟ وهل يبحثون فعلاً عن الحقيقة بقلوب وعقول فارغة من أي أحكام مسبقة؟.

في السطور التالية سنحاول - من خلال استعراضنا عدداً من تلك الدراسات - فهم نظرة الغرب للإسلام والمسلمين كما تعكسها الدراسات الأكاديمية في بعض الجامعات الغربية.

أولاً: الاهتمام بأحوال تنصير المسلمين(١):

اهتم بعض الباحثين بدراسة أحوال المسلمين المرتدين عن دينهم، وأوضحت دراسة قدمها «سوراجارامان» للحصول على درجة (EDD) من مدرسة «الثالوث اللاهوتي البروتستانتية» عام ١٩٩٣م، وتقع في ١٧١ صفحة تناول ما سماه بـ«الخبرات المتطورة للمسلمين المتحولين إلى النصرانية».

وسعى الباحث في هذه الدراسة للتعرف إلى أحوال المسلمين المتحولين إلى النصرانية من خلال اختيار عينة من ثلاثين رجلاً وامرأة تنصَّروا من مسلمي ولاية «النيوين» الأميركية، وقابلهم الباحث مقابلات شَخصية، وقد راعى الباحث بعض المعايير عند إجراء مقابلاته مع هؤلاء المفحوصين منها:

١ - أن تتوافر لديهم قدرة على التحدث والتفاهم باللغة الإنكليزية.

٢ - أن يوافقوا على إجراء هذه الدراسة عليهم ويعلموا بأهدافها المعلنة «المغلفة بعبارات طنانة مثل: التقارب، والتفاهم الأفضل... إلخ».

٣ - أن يكون منهم ممثلون لمناطق جغرافية مختلفة فكان منهم أفراد من آسيا، وأفريقيا، والشرق الأوسط.

وقدم الباحث لهذه العينة قائمة موضوعات مرتبة أبجدياً ليجيبوا عنها، وفي نهاية دراسته توصل إلى عدد من النتائج نعرضها فيما يلي باللغة التي عرضها بها صاحب الدراسة:

١ - اتضح من النتائج أن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين مهمة لبناء ثقة متبادلة وتفاهم متبادل من خلال الصداقات والتواد العائلي!!.

٢ - يجب أن يتعاون المسلمون والمسيحيون في انفتاح بعضهم على بعض وذلك بعقد ندوات مفتوحة لمناقشة بعض الأمور المتعلقة بالإنجيل والقرآن!.

٣ - التعاون المسيحي - الإسلامي مطلوب من أجل مصلحة الطرفين!.

ويبدو من صوغ هذه النتائج أن أداة البحث التي وزعت على عينة المفحوصين لم تكن محايدة، وإنما اختيرت عباراتها بذكاء شديد لتسمي «الاستهواء» تعاوناً، و«الاستقطاب» تفاهماً مشتركاً، ولا سيما أن الباحث حين تحدث عن أسباب تحول المسلمين إلى النصرانية ركَّز على «المعاناة» بوصفها أحد الأسباب التي دعت للتنصر، كما أشار الباحث إلى قيام المجتمع المسيحي بتلقف هؤلاء المتنصرين وتوافر الراحة والمأوى والنصيحة لهم، بعد نبذ عائلاتهم المسلمة لهم إثر ارتدادهم عن دينهم.

وركَّزت نتائج البحث على ما يعانيه المتنصرون من مشاكل تتعلق بعائلاتهم المسلمة السابقة وعلاقاتهم بها، وعلى الضغوط التي يتعرضون لها من السلطات الإسلامية بنوعياتها المختلفة.

وقد أوصى الباحث الكنائس بتوجيه دراسات تتعلق بالتخطيط التعليمي لاستقطاب المزيد من المسلمين لكي يتنصروا، وتدريب المسيحيين على مهارات إنشاء علاقات مع المسلمين القابلين للاستهواء، وتوجيه دراسات نحو المعاناة الناجمة عن التحول للنصرانية ومحاولة تذليلها.

وعموماً، فإن مثل هذه الدراسة تهدف - بوضوح - إلى مد يد العون لهؤلاء المسلمين المرتدين لتخفيف معاناتهم!!.

ثانياً: ارتباط الدين بالسياسة في المجتمعات النامية(٢):

ومما يهتم به الباحثون في الجامعات الغربية، العلاقة بين الدين والسياسة، ولا سيما السياسة الخارجية، في عدد من كبريات الدول النامية.

فقد قدم الباحث «أوليوفولا جيمي ادجوكن» رسالته للدكتوراه إلى جامعة «هاوارد» الأميركية» عام ١٩٩١م في ٢٨١ صفحة حول «تأثير الدين في السياسة الخارجية النيجيرية»، وقام الباحث بتحليل المعلومات التي حصل عليها من الوثائق الحكومية والمقالات الصحفية والمقابلات الشخصية مع عدد من الشخصيات المسؤولة في الحكومة والتي تنتمي إلى الديانتين الكبريين في نيجيريا وهما: الإسلام والمسيحية.

وعند حديثه عن الإسلام كان الباحث يشير كثيراً إلى ما سماه: «ارتباط المتدينين بالجماعات التي لها المعتقدات نفسها خارج نيجيريا»، وكأنه يريد أن يقول: إن المسؤولين الحكوميين غير منتمين لمصالح دولتهم بقدر ما هم منتمون لدينهم، ومن ثمَّ فإن السؤالين الكبيرين اللذين قامت عليهما الدراسة هما:

١ ـ هل يعكس الانقسام المسيحي ـ الإسلامي في نيجيريا خلافاً عرقياً؟

٢ ـ ما درجة تأثير الجماعات الدينية الخارجية على سياسة نيجيريا الخارجية؟

ومن النتائج العجيبة التي توصلت إليها هذه الدراسة هو أن المسيحيين الذين يتركزون في جنوبي البلاد يصدقون أن إسرائيل دولة مسيحية!! أو أوعز إليهم بهذا!!.

ولا يشترط أن يكون الباحثون في مثل هذه الموضوعات من الغربيين، فقد يوجه الأساتذة طلابهم المسلمين المبتعثين إلى دراسة موضوعات تلبي حاجات الأساتذة وأجهزة الاستخبارات التي يعملون لصالحها، فلا ينكر أحد أن كثيراً من الجامعات الغربية تتيح نتائج بحوثها لمن يطلبها من الأفراد، ولأي هيئة تطلبها مادامت تدفع التكاليف.

وقد يكون من هذا النوع رسالة الدكتوراه التي تقدم بها «محمد نور مونتي»(٣) إلى جامعة «تمبل» ١٩٩٠م وتقع في ٤٥١ صفحة وتدرس «التغير الاجتماعي في ماليزيا المعاصرة» وبالرغم من هذا العنوان، فإن اهتمام الدراسة انصبَّ على التنظيم الطلابي المؤثر الذي نشأ في ماليزيا عام ١٩٧١م تحت اسم «جمعية الطلاب المسلمين الوطنية» والتي يرمز لها بالحروف (A.B.I.M) ومدى قدرة هذا التنظيم على التأثير في قرارات الحكومة الماليزية داخلياً وخارجياً، فقد اهتم

الغرب يدرك الدور الخطير المنوط بالمرأة في بناء المجتمعات

الباحث بمحاولة استكشاف توجهات وقرارات الحكومة الماليزية خلال سنوات طويلة ومدى تأثر تلك التوجهات والقرارات بجامعة الـ(A.B.I.M) بوصفها جماعة ضغط لها تأثيرها في الأوساط الشبابية بخاصة وفي الحياة بمجالاتها المختلفة بعامة.

ثالثاً: الاهتمام بدراسة أوضاع المرأة المسلمة

إن الغرب يدرك تماماً الدور الخطير المنوط بالمرأة في بناء المجتمعات، ومن ثمَّ فإن هناك اهتماماً متزايداً بتوجيه الدراسات نحو المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية، أو غير الإسلامية «الأقليات المسلمة».

ففي دراسة الدكتوراة التي قُدِّمت من الباحثة «دينا إسحاق جراح» عام ١٩٩٠م عن «المرأة الفلسطينية: وضع ودور المرأة الفلسطينية في الضفة الغربية»(٤)، أشارت نتائج الدراسة إلى تأثير الدين على الاتجاهات الثقافية والفلسفات الاجتماعية، والعلاقات بين الأجناس المختلفة، وبعد أن درست الباحثة تعليم المرأة الفلسطينية وتاريخها، توصلت في نتائجها إلى أن العادات الاجتماعية والدين هما السبب في الاضطهاد الاجتماعي للمرأة!!.

في حين اهتمت دراسة أخرى للدكتوراه في جامعة «إلينوز» للباحثة «لوسي آني والي» عام ١٩٩٣م بدراسة الأوضاع المجتمعية لنساء إحدى مناطق إندونسيا في غرب سومطرة، حيث ركَّزت الباحثة على نساء الطبقة الوسطى من المجتمع من خلال فئتين تناولتها بالبحث وهما: المسلمات اللاتي يعملن بحرف بسيطة وهن غير متزوجات، ومسلمات أخريات يعملن كمعلمات في مدارس إسلامية داخلية للبنات.

وقد أثبتت الدراسة أن النساء في إندونيسيا ـ كما تظهرهن عينة الدراسة ـ يحافظن على الالتزام بأحكام الإسلام وآدابه في سلوكهن وعاداتهن اليومية، لكن في النهاية كما وصفتهن الباحثة في عنوان دراستها: تقيات ومنتجات.(٥)

ومن العروض الموجزة السابقة نستطيع أن نستنتج ما يلي:

١ ـ أن الجامعات الغربية تعمل كوكالات لأجهزة الاستخبارات سواء أعلنت ذلك أم لم تعلن، أو قصدت ذلك أم لم تقصده فمن المستبعد أن يكون اختيار موضوعات البحوث يتم بشكل عشوائي، كما هو الحال في الجامعات العربية والإسلامية التي يعاني البحث العلمي فيها من النمطية والتكرار والسطحية في كثير من الأحوال.

٢ ـ أن الطلاب المبتعثين إلى تلك الجامعات من الدول النامية يعانون حالاً من الاستلاب الثقافي يجعلهم ـ تحت تأثير الانبهار الحضاري ـ أبواقاً للثقافة الغربية يروجون لها، ويخدمون قضاياها أعلنوا ذلك أم لم يعلنوه، قصدوا ذلك أم لم يقصدوه.

٣ ـ أن موضوعات البحوث حول الإسلام تدور في محاور عدة تستهدف في النهاية إما التنديد بالإسلام والزراية عليه والحط من شأنه كدين، وإما خدمة قضايا التنصير والتهويد ●

المراجع

1 - Raman. Suraja. "christian Conversion And Development Of Muslim" A Thesis Submtted To (Trinity Evangelical Divinity School) For EDD Degree. 1993. U.S.A

2 - Adejokun, Olufalajimi, "the Influence Of Religin On Nigerian Foreign Policy" Ph. D Thesis Submitted To Haward University. 1992.

3 - Monutty, Mohammad, Nor. "perception Of Social Change In Contimporary Malysia: A Yhesis Submitted To Temple University, 1990.

4 - Harrah, Dina, Issac "palestiniam Women: The Statue And Roles Of Palestinian Women In The West Bank (Feminist, Tradition, Islam) Ph. D Thesis Submitted To Golden Gate University, 1990.

5 - Whalley. Lucy. Anne "virtuous Women. Productive Citizens: Negotiating Tradition Islam University Of Lllinois. 1993

بقلم: محمد عودة

الترويح في المجتمع الإسلامي

إن المتأمل في الشريعة الإسلامية وما حوته من أحكام وقواعد، وما رمت إليه من أهداف وغايات، يدرك بوضوح أن هذه الشريعة الغراء قد راعت جميع مراحل وأطوار حياة الإنسان، ولما كانت النفس الإنسانية أحياناً ينتابها الملل من الدأب في الجد والعمل، وقد يتطرق إليها السأم من الإجهاد والنصب، كان الترفيه عنها من عناء الجد أمراً ذا بال، ذلك أن التزام طريقة الحزم والجد في كل حال شاق على النفس ويورث الملل والضيق، وإذا وجد هذان العاملان أثرا على قدرة الفرد على العطاء والإنتاج، فيقل بذلك إبداعه، وتتعطل مواهبه أو تضعف، لذا كانت النقلة من الحياة الصارمة بين فينة وأخرى ضرورية لضمان استقرار النفوس والاستفادة من قدراتها بشكل أكبر.

ولما كان الإسلام دين الفطرة السليمة والواقعية السامية، فقد راعى في توجيهاته وآدابه حظ النفس الإنسانية من الترويح ببعض الهلو المباح الذي يضفي على حياة صاحبها ألواناً من الجدة والنشاط مما يدفعها إلى المزيد من العمل والعبادة، وأن كل محاولة لطمس هذه الطبيعة في نفس الإنسان، وإلزام النفس بالجد في كل شأن محاولة تسير ضد الفطرة ولا يقرها الإسلام، ولذلك عندما اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفقوا على المداومة على العبادة وحرمان أنفسهم من الراحة، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر فلا أفطر، وقال الثالث: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».(١)

وقد كان من خلقه صلى الله عليه وسلم، مع وقاره، وجديته، مداعبة أهله، كما روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته، ثم لما سمنت سابقها فسبقها، وقال: «هذه بتلك»(٢)، وكان يلاعب الصغار، كما روى أنه كان يُرْكِبُ الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره ويسير بهما على أربع، وكما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل علينا ولي أخ صغير يُكنى أبا عُمير وكان له نغر يلعب به فمات - أي النغر - فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرآه حزيناً فقال: ما شأنه؟ قالوا له: مات نغره، فقال: أبا عمير، ما فعل النغير؟»(٣)، كما كان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ضمن قواعد المروءة والأدب، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له: يا رسول الله، احملني، قال: «إنا حاملوك على ولد ناقة». قال



الرجل: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تلد الإبل إلا النوق؟!»(٤). وقال له أصحابه رضوان الله عليهم: إنك لتداعبنا، فقال: «إني لا أقول إلا حقاً»(٥)، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم، مع جدهم واهتمامهم، يتمازحون فيما بينهم حتى روي أنهم كانوا يتبارحون بالبطيخ - أي يترامون به، ولم ينقص ذلك من أقدارهم، ولم يعبهم الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن ذلك من طبائع النفوس، والإسلام لم يأتِ لاجتثاث الغرائز وإنما جاء ليهذِّبها ويقومها.

وبالنظر إلى ما تقدم، يتضح لنا اهتمام الإسلام بمبدأ التخفيف عن النفوس بالترويح عنها حتى يعود إليها نشاطها، وحتى تستطيع مواصلة مسيرة الحياة في اطمئنان وسلامة، ولكن الإسلام لم يترك هذا الأمر مطلقاً من دون تقييد، بل بيَّن ما يحل منه وما يحرم، فليس كل الترويح مباحاً في الإسلام، لأن من الترويح ما يخل بالمروءة، وما يسقط الكرامة، ويؤذي الآخرين، فالترويح نوعان: نوع أباحه الإسلام وعمل به المسلمون، ونوع حذَّر منه ونهى عنه.

الترويح المشروع

أباح الإسلام أموراً كثيرة في مجال اللهو واللعب يمكن للمسلمين أن يجدوا فيها ترويحاً لنفوسهم وتخفيفاً عنها من أثقال الجد والكد، وفي الوقت نفسه يستغنون بها عن وسائل اللهو المحرم وأساليب الشيطان الصارفة عن ذكر الله وعن الصلاة، وهي مشروعة في الإسلام، وذلك لما ينشأ عنها من النفع الخاص أو العام، ولا ينتج منها مفاسد، حيث تطغى على تلك المنافع أو المصالح.

وهذا الترويح المشروع مبني على أسس وفلسفات يتحقق بها، ما ذكرناه من المنافع والمصالح والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

أولاً: الإعانة على الجهاد في سبيل الله وذلك بالتدرب على آلات القتال والركوب ونحو ذلك، فالجهاد في سبيل الله من أعظم الأمور في

الإسلام، إذ فيه رفعة الأمة وعلو شأنها، فإنه ذروة سنام الإسلام، ولذلك فإن الترويح الذي يكون به عون على الجهاد في سبيل الله مأمور به المسلم شرعاً، وذلك كالرماية والفروسية وكل ما فيه استعداد للقتل من عمل، مصداقاً لقوله تعالى في الآية ٦٠ من سورة الأنفال: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدكم).

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لما مرَّ بنفر من أصحابه ينتصلون: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»(٦).

وكذلك فإن السبق مشروع لما ينتج عنه من التدريب على الجهاد والإعانة عليه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سابق الخيل التي اضمرت من الحفياء وأمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق.

واللعب بالحراب مشروع أيضاً لما ينتج منه كذلك من الحكمة الجليلة، وهي التدريب على الجهاد ومزاولة ما يعين عليه، ولنقرأ في ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرابهم، إذ دخل عمر بن الخطاب فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعهم يا عمر»(٧).

ثانياً: إن هناك نوعاً من الترويح شرع في الإسلام لما فيه من التقوية للجسم والتعود على الفتوة والخشونة وترك الرخاوة والنعومة، كما هو في العدو والمصارعة، فعن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق أبداً، فجعل يقول: ألا من مسابق إلى المدينة؟ فقلت: أما تكرم كريماً أو تهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ذرني أسابق الرجل، فقال: إن شئت فسبقته إلى المدينة.(٨) وروي أن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم(٩).

الترويح شرع في الإسلام لما فيه من التقوية للجسم والتعود على الفتوة والخشونة

وكذلك السباحة فيها تقوية للجسم وترويح، كما أنها سبب من أسباب الأمان من الغرق، فروي في أثر مرفوع: «كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لغو وسهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة»(١٠). وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «علموا أولادكم السباحة والرماية».

ثالثاً: إظهار المرح والسرور في المناسبات السعيدة فالمناسبات السعيدة كالعيد والزواج أبيح فيها شيء من اللهو والترويح، إذا كان ذلك في نطاق ما شرع الله تعالى، وليس فيه شيء مما نهى الله عنه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»(١١)

فإظهار الفرح والسرور في أيام العيد بما ذكر من غناء البنات الصغيرات بأناشيد خالية من الكلام المحرَّم، وكان إنشادهن خالياً من التمايل والتكسر فلا بأس بذلك، لأن هذا واقع هذه الرخصة التي ثبتت بالسنة، وكذلك إظهار الفرح والسرور في مناسبات الزواج ثابت شرعاً، يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عائشة، ما كان معكم من لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو»(١٢).

فهذا النوع من الترويح مباح، إذ حصل في أوقات المناسبات السعيدة وبخاصة في العيد أو في الزواج، على أن يكون وفق ما وردت به الرخصة، وذلك خاص بالجواري بأن يقلن الأشعار الخالية من الفحش والبذاءة والفجور، ولابأس أن يصحبه دف خال من الأصوات الموسيقية التي نهى الشرع عنها، أما الرجال فليس من سماتهم التغني في هذه المناسبات ولا ضرب الدفوف، ولم يرد في الشرع ما يرخص لهم في ذلك، فالرخصة خاصة بالنساء في تلك المناسبات.

رابعاً: تسلية النفس بالقول المباح فقد رخصت الشريعة الإسلامية بترويح النفس بالقول المباح، وذلك كما في المزاح والمداعبة بين الأصحاب والأصدقاء شرط أن يكون ذلك حقاً فلا يشتمل على باطل، فلا مزاح ولا مداعبة بقول محرم أو بما يثير الأحقاد والعداوة بين الأصدقاء، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح ولكنه لا يقول إلا حقاً.

فقد أتته يوماً عجوز أنصارية، فقلت: يا رسول الله، ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال لها يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز، فولت المرأة تبكي، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لها أما قرأت قوله تعالى في الآيتين: ٣٦ ـ ٣٧ من سورة الواقعة: (إنا أنشأهن إنشاء. فجعلناهن أبكاراً. عُرباً أتراباً) (١٣) ولأبي داود والترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: يا ذا الأذنين، يعني يمازحه.

وكان رجل من أهل البادية اسمه زاهر يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية، فيجهزه إذا أراد أن يخرج، فقال: إن زاهر باديتنا ونحن حاضرته، وكان دميماً فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال أرسلني من هذا، فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من يشتري العبد، فقال يا رسول الله: إذاً والله تجدني كاسداً، فقال: «لكن عند الله لست بكاسد» أو قال «لكن عند الله أنت غال».(١٤)

والرسول صلى الله عليه وسلم في هذا كله لم يقل إلا حقاً، فمثل هذا المزاح تطيب به نفس المخاطب وتكون المؤانسة، ولا يجوز الإفراد في المزاح أو المداومة عليه، لأنه يشغل عن مهمات الحياة ويؤذي الناس

ويسقط المهابة، والوقار، وينتهي إلى الهذر، وربما الهذر يسقط المروءة، وهذا هو الذي ورد فيه النهي.

خامساً تثبيت أواصر المودة والمحبة بين الزوجين وما ينمّي تلك العلاقة وما يحصل به الانبساط بينهما، فإن ذلك مشروع ويؤدي إلى أمر مقصود للشارع وهو صلاح الحال بين الزوجين وبقاء تلك الرابطة على هذا الصلاح وهذه القوة، وذلك بالمداعبة والملاعبة بينهما.

يدل على ذلك ما رواه عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فإنهن من الحق»(١٥).

فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم مشروعية ملاعبة الزوجة ومداعبتها وإن ذلك من الحق وليس من الباطل، وذلك لما ينتج منه من الأثر المحمود من حسن العشرة الزوجية ودوامها.

الترويح غير المشروع

هناك نوع من الترويح حظره الإسلام، ولم يبح للمسلمين ممارسته، بل اعتبر الذين يمارسونه خارجين على مبادئ الإسلام وتعاليمه إذ إن الترويح في الإسلام ليس بهدف ملء الفراغ ولا قتل الوقت ولا ممارسة اللهو، ولكن الأصل في الترويح هو ما يعود على الإنسان منه بالفوائد الجسمية أو الروحية أو العقلية، فإذا انتفت كل هذه الفوائد ولم يتحقق للإنسان منها شيء، وجب على الأمة الجادة أن تحاربه وأن تسد طريقه في وجوه الذين تسول لهم أنفسهم التلهي به، وبالتأمل في هذا النوع من الترويح الذي حرّمته الشريعة الإسلامية، فإنه يمكن إجمال أسباب تحريمها فيما يلي:

الأصل في الترويح هو ما يعود على الإنسان منه بالفوائد الجسمية أو الروحية أو العقلية

أولاً: الدعوة إلى الفجور والخنا وإماتة الغيرة الدينية والشهامة وإضعاف المعنويات، ونمثل على ذلك بالغناء بالأشعار الغزلية والهزلية التي تثير الغرائز وتهيج الشهوات، وتذكي في النفس نار الشوق إلى مواقعة الفعل الحرام، وانتهاك الأعراض والاعتداء على الحرمات.

ويتمثل أيضاً في الآلات الموسيقية والمعازف التي هي من أعظم الدوافع إلى وقوع الإنسان في الحضيض وتنزل به إلى الحياة البهيمية، وتهيج فيه الغرائز الحيوانية ويدعوه الشيطان بها إلى الفجور، وذلك أن الغناء رقية الزنى ومدخل إلى الشر والإثم والضلال والصد عن سبيل الله.

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تدل على تحريم هذا النوع من الغناء، منها قول الله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) لقمان:٦، قال ابن عباس وابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم: هو الغناء وأشباهه.

وفي مسند الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين، وأمرني أن أمحق المزامير والمعازف والخمور والأوثان التي تُعبد في الجاهلية».

وفي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»، والاستحلال لا يكون إلا لشيء محرم.

ثانياً: الصد عن ذكر الله تعالى والإلهاء عنه وشغل الوقت بالباطل.

ذلك أن هناك من الأقوال والأفعال ما نهى الشرع عن مباشرتها ومزاولتها لأنها توقع الإنسان في حبائل الشيطان عند الإقدام عليها.

ونمثل على ذلك بالأقوال الباطلة المتضمنة للكذب والزور ولو كان ذلك على سبيل المزاح. وكما في الألعاب التي ورد الشرع بتحريمها لما فيها من الضرر الذي يغلب ما فيها من جانب ضئيل من المصلحة إن وجد، وذلك مثل اللعب بالنرد ونحوه، فعن سليمان عن بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لعب (بالنردشير) فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه»(١٨).

ومن هذه الألعاب أيضاً ربط بعض الحيوانات واتخاذها هدفاً للرمي أو التحريش بينها للتناطح، ويدخل في هذا مصارعة الثيران، لنهيه صلى الله عليه وسلم أن يتخذ شيء من الحيوانات غرضاً ونهيه عن التحريش بين البهائم.

ونخلص من كل ما تقدم إلى أن الترويح في الإسلام يختلف عن غيره في وجود ضوابط خلقية تضبطه، وفي كونه هادفاً يقصد إلى تنمية الروح والجسم وإعداد الفرد ليكون صالحاً قوي الجسم صحيح العقل متزن النفس بعيداً عن الإثارة، وإنه يسير في ضوء القواعد الشرعية، وأنه لا يصح التمادي فيه حتى لا يطغى على كل أنشطة الفرد ويستحوذ على كل وقته ●

الهوامش:

١ ـ رواه البخاري في كتاب النكاح، انظر الجامع الصحيح ٢١٧، والإمام مسلم في كتاب الصوم، انظر شرح النووي ١٢٩:٧.
٢ ـ السنن الكبرى للبيهقي جـ١٠/١٨.
٣ ـ رواه أبوداود، انظر مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن ٢٦٤:٧.
٤ ـ رواه أبو داود، انظر مختصر سنن أبي داود مع معالم السنن ٢٨٥:٧.
٥ ـ رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٧٧.
٧ ـ صحيح البخاري ٩١/٦.
٧ ـ صحيح مسلم ٦١٠/٢.
٨ ـ الفروسية لابن القيم ص ٣، وذكر أن الإمام مسلم أخرجه.
٩ ـ سنن أبي داود ٣٤٠/٤ ـ ٣٤١، سنن الترمذي ٢٤٧/٤.
١٠ ـ الفروسية لابن القيم ص ٩٢.
١١ ـ صحيح البخاري ٤٤/٢، صحيح مسلم ٦٠٧/٢ ـ ٦٠٨.
١٢ ـ صحيح البخاري ٢٢٥/٩.
١٣ ـ الآيات ٣٥ ـ ٣٧ من سورة الواقعة، والحديث رواه الترمذي في الشمائل.
١٤ ـ السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٨/١٠.
١٥ ـ سنن ابن ماجه ٩٤٠/٢، سنن الترمذي ١٧٤/٤.
١٦ ـ صحيح مسلم ١٧٧٠/٤، سنن أبي داود ٢٣٠/٥ ـ ٢٣١.

الصد عن سبيل الله

تتجدد للإنسان في حياته معارف وتجارب، وتشرق في قلبه إشراقات ربانية أو إيحاءات ملكية، تجعله يبدل مواقفه، أو يعدل أفكاره، سواء أكانت طاعة أم معصية، والسعيد من كانت فيئته إلى الحق، والشقي من كانت ردته إلى الباطل.

وقد يمضي المسلم من عمره زمناً يعمل بعمل ما، ثم يبدو له فساد ذلك العمل لحظة سمعها أو لنصيحة نصحها، أو لصحوة ضمير كان غافياً، أو لحادث من حوادث الدهر ذكره بعاقبة أمره، فيشرع في ترك ما كان فيه، أو التوبة منه.

بقلم: د. محمد محمود متولي
كلية الشريعة جامعة الكويت

وللناس ممن يتوبون موقفان، أولهما: موقف أصحاب الضمائر الحية، والفطر السليمة فهم فرحون بعودة صاحبهم إلى الحق، وولادته من جديد، وانضوائه تحت لواء التوبة النصوح، إن ربه يفرح بتوبته، فكيف لا يفرح بها إخوانه، وهي فضل، فكيف لا تتهلل قلوبنا به بشراً، قال تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يونس:٥٨، وقوله تعالى: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد) الشورى:٢٥، ٢٦.

وثاني الموقفين هو موقف المبتئسين، لأن حزبهم نقص واحداً أو واحدة، وهم يريدون أن يكونوا كُثراً، وإربما كشف ذلك التائب، أو التائبة عن بعض عيوبهم، أو أغرى غيره بالتوبة لأنه نبهه إلى العاقبة الخُسر لما هو فيه، ولذلك تنهال الاتهامات على ذلك التائب



أو التائبة، فمرة تابت لملايين اعطيتها، ومرة لأنها - أو لأنه - لم يعد عنده ما يعطيه، فقد أصبح مفلساً مهيناً، ومرة لأنها شاخت، ولم يعد أحد يطلبها في عمل، ويعمى هؤلاء عن الحقيقة، وهي أن العناية الإلهية إذا لاحظت عيونها أحداً انقلبت حياته إلى نعيم وسرور واغتباط ورضى، وماذا بعد إفناء العمر في حياة السهر والضجيج، وقلب الليل نهاراً، والنهار ليلاً، وكم سنة يتحمل جلد الوجه تلك الأصباغ، ويتحمل شعر الرأس هذه الألوان، وماذا بعد الاشتهار عند البشر والهوى إلى قاع حضيض المعصية أمام رب البشر، لهو يضيع فيه العمر، وسهر يذبل فيه الشباب ومظاهر يبعثر فيها المال، ثم يكون الحساب والسؤال في وقت انصرف فيه القرين عن قرينه والولد عن أبيه والزوجة عن زوجها، قال تعالى: (ليجزي الله كل نفس ما كسبت. إن الله سريع الحساب) إبراهم:٥١.

المؤمن ليس معصوماً

نحن لا ندّعي العصمة لأحد، أو أن الذنوب تُمحى من هذه الدنيا، أو أن الالتزام يعني عدم الذنب ألبتة، لأن المعصية من لوازم البشر، سواء أكان ذلك نسياناً أم جهلاً، أم تزيين شيطان من شياطين الإنس والجن، أو غلبة شهوة أو طبع، فشأن المؤمن أن يذنب، ويتوب، فإذا صدقت التوبة رُجي عفو الله، وقد علّمنا ربنا في كتابه أنه لا يكلفنا إلا بما في وسعنا، فإذا أخطأنا أو نسينا دعوناه ألا يؤاخذنا، قال تعالى: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) البقرة:٢٨٦.

ولا ينبغي لمسلم أن يقنط أخاه من رحمة الله، فلعله أقرب إلى مولاه منه، ولا حجر على عفو الله فقد غفر لبغي من بني إسرائيل سقت كلباً عطشان، وحديثها معروف، وقد نُهينا عن القنوط من رحمة الله، أو تقنيط عباده من رحمته، قال تعالى: (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو

الغفور الرحيم) الزمر:٥٣، وعلى هذه الآية يعلق الشيخ مخلوف. كاتباً: «أسرفوا على أنفسهم، أفرطوا في المعاصي... والخطاب للمؤمنين المذنبين والإسراف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك أشهر في الإنفاق - (لا تقنطوا من رحمة الله) لا تيأسوا من مغفرته تعالى لكم. (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) يسترها، أو يمحوها ولا يؤاخذ بها، لمن شاء من عصاة المؤمنين، تابوا أو ماتوا من غير توبة، فإن تابوا قبل توبتهم كما وعد فضلاً منه. وإن لم يتوبوا فهم في مشيئته تعالى، إن شاء غفر لهم، وإن شاء عذبهم، ثم أدخلهم الجنة بفضله ورحمته»(١).

وقد صور الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تردد المسلم في حياته بين الوقوع في المعصية والتوبة منها تصويراً بديعاً، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمن ومثل الإيمان كمثل الفرس في آخيّته يحول، ثم يرجع إلى آخيته، وإن المؤمن يسهو، ثم يرجع، فأطعموا طعامكم الأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين»(٢).

والآخية هي الحبل الذي يُربط فيه الفرس حتى لا يفر، فالمؤمن مرتبط بالإيمان، وأصله مغروس في قلبه، كارتباط الفرس بحبله، فهو يخطئ ثم يتوب، ويسهو ثم يذكر، لكن أصل الإيمان باق ولله سبحانه وتعالى أسماء حسنى منها: الرحيم والرحمن، والغفور والغفار... إلخ، فلو لم يكن مذنبون أين كانت تعمل تلك الأسماء الحسنى، وانظر إلى الحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»(٣).

باب التوبة مفتوح

إن الذين يقولون فلان أو فلانة صنعا كذا وكذا، ثم جاؤوا يتوبون الآن، كيف تُقبل توبتهم؟ هم في الحقيقة خاطئون، حتى وإن كان من يعترضون على توبهم زنوا وسرقوا وقتلوا وشربوا الخمر... إلخ، وتعمد فضح هؤلاء التائبين أمر لا يليق من مسلم، وتذكير

المؤمن مرتبط بالإيمان وأصله مغروس في قلبه كارتباط الفرس بحبله فهو يخطئ ثم يتوب

الناس بمعاصيهم التي تابوا منها لا ينبغي، لأن المطلوب من المسلمين أن يعينوا من يريد التوبة لا أن يحولوا بينه وبينها، والآيات كثيرة في الأمر بالتوبة، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفِّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) التحريم:٨.

ويقول: (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور:٣١.

ويقول: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم) النساء:١٧.

وقد رويت أحاديث كثيرة تدعو إلى التوبة وتبشر بقبولها، ومنها ما رواه أبوموسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(٤).

ومغفرة الله أوسع من ذنوب عباده، وقد تعلمنا من رسولنا صلى الله عليه وسلم دعاءه: «اللهم مغفرتك أوسع من ذنبي فاغفر لي»، وقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو أخطأتم حتى تبلغ السماء، ثم تبتم لتاب الله عليكم»(٥).

وقد عُدَّ الندم على ارتكاب الذنب توبة، فعن

التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون

حميد الطويل قال: قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه: أقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الندم توبة»؟ قال: نعم.(٦)

والله سبحانه وتعالى يرضى لعباده التوبة، ويقبلها، وهو ما عبَّر عنه بفرحه سبحانه بتوبة عبده وهو فرح يليق بجلاله سبحانه وتعالى وكماله، وقد روى أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:: «لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة»(٧)، وفي بعض روايات هذا الحديث أنه لما يئس من العثور على بعيره قال: أرجع مكاني الذي كنت فيه لأموت، فنام، فاستيقظ، فوجد بعيره عنده، فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح.

وجوب التناصح

التناصح واجب على المسلمين جميعاً، لأنه من باب التعاون على البر والتقوى، ومن باب التواصي بالحق والصبر، ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعليها مدار إصلاح الفرد والجماعة والنفوس والقلوب، ولو كان التواصي بآية أو حديث، فالشجرة الباسقة أصلها بذرة صغيرة، والكلمة الطيبة صدقة، وشهادة أن لا إله إلا الله (أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) إبراهيم:٢٤ - ٢٥.

ومن يهده الله يجب عليه الأخذ بيد غيره، حتى يؤدي واجب البلاغ، ويخرج من وزر الكتمان والتضييق على الباطل ففسح نطاق الحق واجب على كل مسلم، وكل من علم ولم ينصح فهو إثم لأنه شارك في نشر الباطل بسلبيته، وعليه ألا يلوم إلا نفسه يوم يجتاح الباطل حماه، فأما الداعي إلى الباطل فويل له، وويل له.

فعن تميم الداري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٨).

وعن جرير بن عبدالله قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم.(٩)

وأما السكوت على الباطل، فإن فاعله يسلك مع الشياطين لسكوته عن نصرة الحق، ويصدق على صاحبه قول من قال: «إنما أكلت يوم أُكل الثور الأبيض».

الصد عن سبيل الله

بعض الناس لهم غرام عجيب بالمنكرات تعاطياً وتشجيعاً لمتعاطيها، وبغضاً للاستقامة والمستقيمين وهم كالميكروبات لا تعيش إلا في جو ملوث، فإذا بدرت بوادر توبة، أو صحوة نفروا وجفلوا، إنهم يريدون قلوباً لا تعرف الإخلاص، ونفوساً لا تعرف الطهر، فإذا بدا لأحدهم اقتراب من حمى الله تكالبوا عليه لصده عن هذا الحمى، وقد حفل القرآن الكريم بهذه الظاهرة الخطيرة، ظاهرة الصد عن صراط الله، ومن الآيات التي عنيت بذلك قوله تعالى: (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً) الأعراف:٨٦.

(الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون) هود:١٩.

فهم في الآية الأولى القاعدون بكل طريق يحولون بين دين الله، ومن يؤمنون به، ويريدون التمسك به، ويبغون الطريق العوج، وفي الآية الثانية فاعل هذا الصد كافر بالآخرة يعيش دنياه هملاً همجاً، وهو لا يريد التدين لأنه يحول بينه وبين شهواته، مع أن من المعلوم أننا لم نخلق عبثاً، ولن نترك سدى.

وهؤلاء الصادون عن سبيل الله تُقيض لهم شياطين تزين لهم المعاصي، وصدق الله العظيم: (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين. وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون. حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) الزخرف: ٣٦ ـ ٣٨.

وأغرب ما يؤثر عنهم مع هذا العشي عن الحق زعمهم أنهم تقدميون ومتحررون، ولو تفكَّروا لعلموا أن سعيهم ضلال، وآخرتهم نكال.

والتعاون على المنكر من صفات المنافقين قال تعالى: (والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون. وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) التوبة:٦٧ ـ ٦٨.

بعض الناس كالميكروبات لا تعيش إلا في جو ملوث

من سنَّ سنة حسنة ومن سنَّ سنة سيئة

يعيش المؤمن قبساً من نور الله، ينشر الهدى بين الناس بقوله وعمله، ويرجو لهم الخير، ويحضهم عليه، فإن استجابوا حمد الله على هدايتهم، وإن لم يستجيبوا حزن لهم، تلك مشاعر أهل الخير، ومحبي الحق، وعارفي حقوق الأخوة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(١٠).

وقد توعد الرسول الأكرم من يسن السيئ فيتبعه الناس فيه، أن وزره متصل إلى يوم القيامة ما عمل الناس بما زيَّنه لهم، فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل»(١١).

يعيش المؤمن قبساً من نور الله ينشر الهدى بين الناس بقوله وعمله

فلماذا إذاً نعيب على من يريد التوبة من عمل يرى أنه قد عصى الله بعمله في ميدانه، وقد روى واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من سنَّ سنة حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته، وبعد مماته، حتى تترك، ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها حتى تترك، ومن مات مرابطاً جرى عليه عمل المرابط حتى يبعث يوم القيامة»(١٢).

وماذا يصنع من يبوء الناس بوزر، ويبوء هو بأوزار ثقال، وقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقض ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».(١٣)

لذلك ننصح الهاجمين على التائبات من أهل ما يدعونه الفن، بالكف عن الهجوم، وعدم إذاعة ما سبق لهم أن عملوه قبل التوبة، ونحذِّرهم بأن من أراد فضح مسلم أو مسلمة سيفضحه الله ولو في جوف بيته، ونقول لهم: إن حرمة المسلم مالاً ودماً وعرضاً أشد على الله من حرمة الكعبة ونذكرهم بقول الله تعالى:

(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) الأحزاب:٥٨ ●

الهوامش

١ ـ صفوة البيان لمعاني القرآن ص ٥٩١.
٢ ـ رواه ابن حبان في صحيحه.
٣ ـ رواه مسلم وغيره.
٤ ـ رواه مسلم والنسائي.
٥ ـ رواه ابن ماجه بإسناد جيد.
٦ ـ رواه ابن حبان في صحيحه.
٧ ـ متفق عليه.
٨، ٩ ـ مختصر صحيح مسلم للمنذري رقم ١٢٠٩، ١٢١٠.
١٠ ـ متفق عليه رقم ٢٥ من اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبدالباقي.
١١ ـ رقم ١٠٩٢ من المرجع السابق.
١٢ ـ رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به، الترغيب والترهيب ج١، ص٤٩، طبعة أوقاف مصر.
١٣ ـ حديث رقم ١٨٦٠ من مختصر صحيح مسلم للمنذري، تحقيق الألباني، طبعة أوقاف الكويت.

بقلم: المهندس محمد عبدالقادر الفقي

التلوث الصوتي وموقف الإسلام منه

أثِرَ عن «روبرت كوخ» أنه قال: «سيأتي اليوم الذي يتعين فيه على الإنسان أن يناضل ضد الضوضاء بلدد، مثلما ناضل ضد الكوليرا والطاعون»(١)، والحقيقة ان الضوضاء صارت سمة مميزة لعالمنا المعاصر. فالإنسان في ظل الحضارة الحديثة صار محاصراً من كل مكان بالضجيج، يأتيه من بين يديه ومن خلفه وجانبه، حتى أصبح من الصعب عليه أن ينعم بالراحة أو الهدوء، أو أن يخلد إلى السكينة وراحة البال والأعصاب.

وقد دخل موضوع التلوث الصوتي بالضوضاء مجالات القصص والروايات، فالكاتب الأميركي «دون دوليلو» أصدر قصة له عنوانها: «الضوضاء البيضاء»، تعد الآن وثيقة مهمة تعكس حياة الأميركيين وطريقتهم في الحياة ومبادئهم وآمالهم وخوفهم من الموت بسبب التلوث والتكنولوجيا الحديثة، ومن سيل الأخبار المتدفق عن الكوارث والحوادث والأزمات المتوقعة التي تتسرب إلى آذان البشر كل دقيقة من هنا وهناك.

نتساءل ما التلوث الصوتي؟

يستخدم الكثيرون كلمة الضجيج أو الضوضاء للتعبير عن التلوث الصوتي، والعلاقة وثيقة بين هذه المصطلحات لارتباطها جميعاً بالصوت، ويتولد الصوت نتيجة اضطراب ميكانيكي خلال المادة، وقد يكون الاضطراب ضاغطاً مثل التفجيرات الناجمة عن المفرقعات أو الأصوات المنبعثة من دق ناقوس، وقد يكون الاضطراب على شكل اهتزازات مستمرة مثل الحديث أو استعمال آلة موسيقية.(٢)

ويُعرِّف العلماء الصوت بأنه شكل من أشكال الطاقة ينتج من التغيرات التي تحدث في ضغط الهواء، والصوت بالنسبة للهواء كالأمواج بالنسبة للماء، وليس هذا مجرد تشبيه بلاغي، فالموجات الصوتية تتحطم فعلاً على طبلة الأذن، أو ترتطم على نحو ما ترتطم أمواج البحر بالشاطئ(٣)، وينتقل الصوت في الهواء بضغط جزيئات الهواء غير المرئية بعضها مع بعض بطرق منتظمة جداً، وعندما يتذبذب مصدر الصوت، فإنه يدفع أمام ذبذباته الهواء ثم يعود إلى وضعه الأصلي، ثم يدفع الهواء مرة أخرى ويعود، وهكذا دواليك، إلا أن يفرغ جهد مصدر الصوت أو يوقف، وهذا التذبذب يُحدث حزمات تبادلية متعاقبة من التكاثف والتخلخل في الهواء، وينجم عن ذلك نطاق في إثر نطاق من الهواء الكثيف ينتشر صوب الخارج من مصدر الصوت، مما يشبه كثيراً تلك الدوائر التي تنداح على وجه الماء حين يلقى فيه بحجر، وهكذا، عندما يصدر الصوت من متحدث عادي أو من آلات ومحركات وغيرها، فإنه يحدث سلسلة من الموجات المتتابعة، بحيث تدفع كل موجة الموجة التي سبقتها، حتى تزيد من مسافة انتشارها، إلى أن تصطدم بحاجز أو تتلاشى.

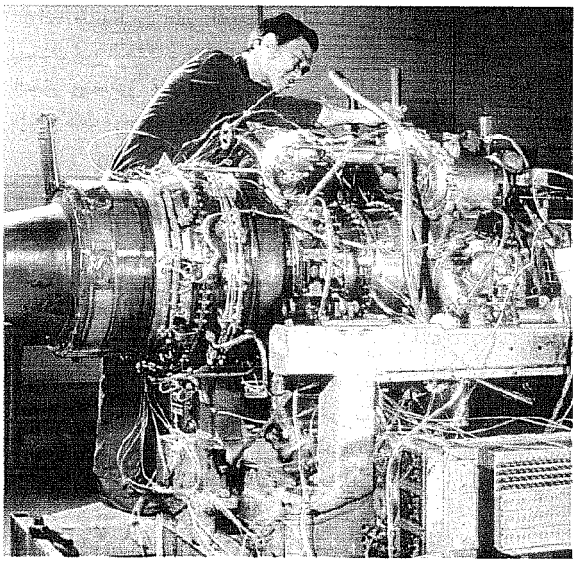

أما الضوضاء، فإنهاتعرف بأنها: «التغير المستمر في أشكال حركة الموجات الصوتية، التي يترجمها الجهازالعصبي إلى أصوات عالية»(٤)، إنها باختصار: «الأصوات غير المرغوب فيها التي تسبب إزعاجاً لمن يسمعها»، أو هي كما عرفها بعضهم: «الصوت الخاطئ في المكان الخاطئ».

والضوضاء شيء نسبي، فقد يكون الصوت العالي مقبولاً لدي شخص ما، في حين يكون الصوت الهادئ مزعجاً لدى شخص آخر أو لدى الشخص نفسه، ولكن في ظروف مختلفة، وحتى يمكن أن نحكم على الأصوات بأنها ضوضاء، فإن ذلك يعتمد على قوة ضغط الموجة الصوتية ومعدل تكرارها، وشدة الصوت.

قياس الضوضاء

إن مدى الطاقة الصوتية الذي تستطيع الأذن البشرية أن تسمعه ضخم جداً لا يكاد يصدق، فالصوت المؤلم بشدة يبلغ عشرة ملايين ضعف أخفت الأصوات المسموعة في القوة، وبالتعبير العلمي يُقال إنه: ٢٠٠٠ «داين في مقابل (٠,٠٠٠٢ داين) للسنتيمتر المربع، و«الداين» هو الوحدة الفيزيائية للضغط «وهو ما يعادل تقريباً «الميكروبار» Microbar أو جزء على مليون من وحدة ضغط الهواء على سطح البحر»، وقد قيل: إن «الداين» يساوي عزم أو قوة الدفع التي لدى بعوضة في تمام صحتها، ولكن «الداين» ليس سهل القياد مطلقاً في قياس مستوى الصوت، لأن مدى الضغوط التي يمارسها الصوت المسموع مترام جداً.

ومن هنا جاء استخدام «الديسيبل»، وهو الوحدة المقررة عالمياً لقياس شدة الصوت، وهو ليس وحدة بالمعنى الحقيقي، وإنما هو نسبة، فهو مقياس «لوغاريتمي» قائم على «الداين» (الديسيبل يساوي ٠,٠٠٠٢٠٤ من الداين) في السنتيمتر المربع، وهو منسوب إلى «بل» تكريماً لـ«إسكندر غراهام بل» الذي اخترع الهاتف، وله أبحاث عن

الصم، ولأن هذا المقياس «لوغارتيمي، فإنه قلما يستخرج بالحساب، بل يقرأ من خرائط أو جداول بيانية أو من أدوات قياس الصوت.(٥)

وثمة تعريف لـ«الديسيبل» بأنه: «أدنى فرق بين صوت وآخر تستطيع الأذن البشرية أن تحسه»، وعرّفه محمد جمال المير بأنه: «جهارة الصوت الذي تكون شدته مساوية لعشرة أمثال شدة الصوت الذي يمكن اعتباره مرجعاً للمقارنة»، وحيث إن حساسية الأذن ليست واحدة بالنسبة للترددات المختلفة، فقد اتفق على أن يكون تردد الصوت المرجعي ١٠٠٠ «هيرتز»(٦).

وفيما يلي أمثلة لبعض الأصوات المعروفة ومستوى كل منها بـ«الديسيبل»(٧):

١ ـ الهمس «من بعد ثلاث أقدام»: ٢٠.

٢ ـ محادثة عادية «على بعد ثلاث أقدام»: ٤٠ ـ ٦٠.

٣ ـ الضوضاء المتسببة عن المواصلات بشارع مزدحم: ٨٠.

٤ ـ جهاز ثقب الصخور الذي يعمل بضغط الهواء «من على بعد ١٠ أقدام»: ٩٠.

٥ ـ ماكينة تقطيع المعادن بالضغط: ١٠٥.

٦ ـ الطرق على لوح صلب: ١١٥.

٧ ـ صوت محرك طائرة نفاثة: ١٤٠.

الضوضاء والسمع

للتلوث الصوتي أو الضوضاء أثره وأخطاره على السمع، وتنعكس هذه الأخطار على الأذنين بصفة خاصة، وتأخذ تلك الخطورة ثلاث مراحل:

الأولى: يحدث فيها ضعف في السمع لفترة محدودة، ثم يعود بعد ذلك السمع إلى حاله الأولى خلال دقائق عدة أو ساعات، ويحدث ذلك عادة للذين يتعرضون لضوضاء عالية لفترات محدودة داخل المصانع أو الورش أو الأماكن المزدحمة.

الثانية:: ضعف مستديم في السمع لا يستطيع الإنسان مع وجوده سماع الحديث الخفيف أو الهادئ، ويحدث ذلك نتيجة التعرض المستمر يومياً لضوضاء عالية.

الثالثة: يحدث عندها الصمم الكامل المستديم، وذلك نتيجة التعرض اليومي المستمر لسماع صوت عال مدوٍّ مفاجئ، مثل أصوات الانفجارات، حيث إنه في هذه الحال تُثقب طبلة الأذن أو تنكسر عظيماتها أو تتلف الأعصاب الحسية فيها.

وفي بعض الحالات يتأثر جهاز التوازن الموجود في الأذن الداخلية، فيشعر الإنسان بالدوار والقيء.

ويحدث الصمم الناجم عن الضوضاء نتيجة لعمليات السحق التي تتلقاها خلايا الأهداب الدقيقة جداً في «الحلزونية»، وتبين الدراسات المجهرية للأذن الداخلية لدى الحيوانات ـ التي عرّضوها معملياً للضوضاء ـ كيف أن هذه الخلايا تتورم ويتغير شكلها. ويبدو أن الضوضاء إذا توقفت بسرعة كافية فإن الخلايا الهدبية لا تعاني العطب الدائم، وتستعيد حالها السوية بنفسها. أما إذا لم تتوقف الضوضاء بسرعة كافية، أو إذا لم تحدث هدنة سكون بين فترات الضوضاء، بحيث تتيح لتلك الخلايا أن تشفى مما تعانيه، فإن العطب في هذه الحال يصبح مستديماً، وكذلك ما فُقِدَ من قدرة السمع الذي سببه الضوضاء يصبح مستمراً، وتبين الدراسات المجهرية أيضاً أن الخلايا التي لا تشفى تضمحل ببساطة وتختفي إلى الأبد، وإذا كانت الضوضاء شديدة شدة كافية، واستمرت فترة طويلة طولاً كافياً، وتكررت تكراراً كافياً، فإن تدمير خلايا الأهداب السمعية يتفشى. وبتفشيه يتسع مدى الترددات الذي يفقد السمع الإحساس بها. وعلى حسب طبيعة التعرض للضوضاء يمكن أن تدمر كل الأجزاء الفعالة في «الحلزونية» بمرور الوقت(٨).

وقد تبيَّن أن المجتمعات التي تعيش في بيئة خالية من التلوث الصوتي لا تعاني من فقدان السمع كما في المجتمعات الحضارية والصناعية. وأثبتت الأبحاث أن قبائل «المايان» في المناطق الهادئة بجنوب السودان، وجماعات «اللاب» التي تعيش في شمال فنلندا في ظروف هادئة يتمتع أفرادها بحالة سمع جيدة مقارنة بما هو عليه الأمر في المجتمعات الصناعية.(٩)

أثر الضوضاء في الدورة الدموية

تؤثر الأصوات العالية في الدورة الدموية للإنسان، فالأصوات المرتفعة المفاجئة تجعل الشعيرات الدموية تتقلص. كما أنها تحدث ذبذبات في الجلد. وربما تحدث تغييرات في نشاط الأنسجة. وقد أثبتت الدراسات العلمية أن التعرض للضوضاء لفترة طويلة يؤدي إلى حدوث انقباض في الأوعية الدموية وارتفاع في ضغط الدم عن طريق إثارة مركز انقباض الأوعية الدموية في المخ. ولعل هذا هو أحد العوامل المؤدية إلى زيادة نسبة مرضى ضغط الدم بين سكان المجتمعات الصناعية عنه في المجتمعات الريفية والبدائية.

الضعف المستديم في السمع يحدث نتيجة التعرض المستمر يومياً لضوضاء عالية

آثار أخرى للتلوث الصوتي

يتأثر الجهاز العصبي للإنسان بالأصوات العالية، ويرتفع معدل إفراز هرمون الأدرينالين بكثرة، ومن المعروف أن زيادة هذا الهرمون تؤدي إلى حدوث ارتفاع في نسبة السكر بالدم، وتؤدي أيضاً إلى زيادة نسبة الدم، وقد تنشأ بعض الأمراض الفسيولوجية أيضاً نتيجة التعرض الطويل للضوضاء.

ويؤكد العالم الفرنسي «سوبريون» أن أهم أسباب التقلب المزاجي الذي يشكو منه الكثير في العصر الحديث يعود إلى الضوضاء. والتعريف العلمي للتقلب المزاجي هو الشعور بالفرح، ثم الشعور بالضيق بطريقة مفاجئة، وتؤدي الضوضاء إلى ذلك عن طريق إحداث توتر عصبي لايزول بالابتعاد عن مصدر الضوضاء. وهذه التقلبات المزاجية تؤدي إلى الأرق واضطراب الجهاز الهضمي وارتفاع مستوى نسبة الكوليسترول في الدم، وعدم القدرة على التعبير عن المشاعر والأحاسيس بصفة مستمرة.

ويقول «تيودور بيرلاند»: «إن الضوضاء قد تدفع الناس إلى نوبات عصبية»(١٠)، وأثبت الدكتور «فرانسيس م.فورستر» في المركز الطبي بجامعة «وسكونسن» في «ماديس» أن بعض النوبات التشنجية التي

تحدث لبعض المصابين بالصرع يرجع سببها إلى رد فعل المخ إزاء الضوضاء.

تأثير الضوضاء في الحيوان

إن التأثيرات السلبية للضوضاء لا تصيب الإنسان وحده، فقد وجد أن لها تأثيرات ضارة على الحيوانات الأليفة والبرية، فمثلاً تبين أن لها تأثيراً كبيراً على الأبقار، فكلما كان الصوت مرتفعاً انخفضت كمية الحليب، لأن الضوضاء في فترة الحلب تؤثر في النظام العصبي لدى البقرة، ومن ثمّ ينعكس ذلك على حركة العضلات التي تساعد على تفريغ الضرع، كذلك يؤدي التلوث الصوتي الذي يحدث بالقرب من حظائر تربية المواشي إلى نقصان وزنها.

تنخفض كمية الحليب عند الأبقار إذا كانت في وسط أجواء فيها أصوات عالية

ويؤثر التلوث الصوتي كذلك في الدواجن، حيث تبين أنه يسبب انخفاضاً في معدل إنتاجها من البيض.

ويؤثر ضجيج الطائرات النفاثة، وخصوصاً عندما تخترق حاجز الصوت، في الطيور، ويسبب موت صغارها. وقد اكتشف العلماء الفرنسيون كذلك تأثير ضوضاء الطائرات في النحل، حيث يفقد إحساسه بالمكان موقتاً ويتوقف عن العمل.(١١)

مكافحة التلوث الصوتي

هناك طرق عدة لمكافحة التلوث الصوتي منها: منع استعمال آلات التنبيه في السيارات في المناطق المزدحمة، وبناء الورش والمصانع والمطارات بعيداً عن المدن لتفادي الأصوات العالية التي تحدث فيها، واستخدام كواتم الصوت في المصانع، وغير ذلك من الوسائل التي تمنع وصول الأصوات إلى الأذن أو تمنع حدوثها عند المصدر.(١٢)

موقف الإسلام من التلوث الصوتي

نهى الإسلام «من خلال آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله» عن رفع الأصوات وإحداث الجلبة الشديدة، وأمر بالهدوء والسكينة حتى يستطيع كل إنسان أن يؤدي ما بيده من عمل دون توتر أو إثارة، وبذلك يتم إنجاز الأعمال، مع الاحتفاظ بالصحة والحيوية ومداومة النشاط.(١٣)

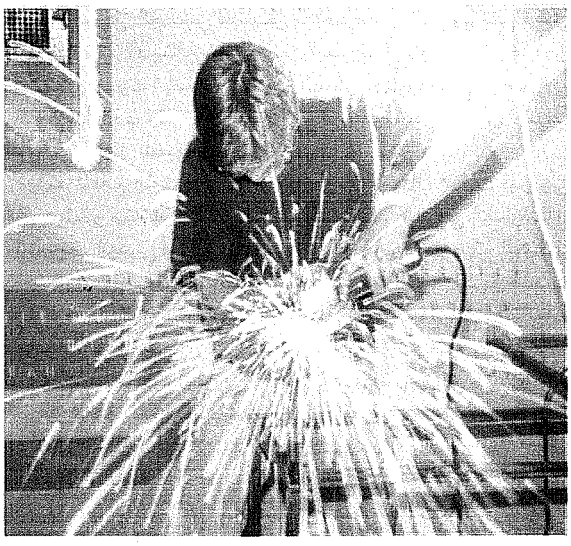

وفي القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى أن شدة الصوت تؤدي إلى الوفاة، وقد أثبتت الأبحاث العلمية ذلك، وثمة أمم قديمة بغت وظلمت وأفسدت في الأرض فكان عاقبتها أن دمرها الله بالصيحة. قال تعالى: (وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) هود:٦٧.

وقد نزلت الآية الكريمة السابقة في قوم ثمود، حيث أرسل الله عليهم صيحة من السماء «أي صوتاً عالياً» فسقطوا على وجوههم موتى قد لصقوا بالتراب كالطير إذا جثمت.

ويقول الحق عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) لقمان:١٩.

ومعنى الغض من الصوت: عدم المبالغة في الكلام، وألا يرفع الإنسان صوته في ما لا فائدة فيه، وقد شبه المولى عزَّ وجلَّ الصوت العالي من هذا القبيل بصوت الحمير الذي هو بغيض إليه. فأوله «كما يُقال» زفير مما يُكره، وآخره شهيق مما يستقبح. وهذا التشبيه يقتضي تحريم الصوت العالي الذي لا فائدة فيه وذمه(١٤). «ويستثنى من ذلك رفع الصوت بالأذان، أو التلبية بالحج، أو التكبير في الجهاد، أو الدعاء عند الخوف، وما شابه ذلك».

وقد نهى القرآن الكريم عن إحداث الضوضاء والضجة والأصوات المرتفعة في الطريق، وحتى داخل المسجد، ولو كانت الضجة لتلاوة القرآن. قال تعالى: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) الإسراء.١١٠.

واعتبر الإسلام الحديث بصوت منخفض من صفات المؤمنين المطيعين، والقرآن الكريم يأمر المسلمين بألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ما في هذا الأمر من دعوة لاحترام الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أنه يحث أيضاً على خفض الصوت، وبخاصة إذا علمنا أنه لم يُؤْثَرْ عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يتكلم بصوت عال في المجالس، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون. إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) الحجرات:٢-٣.

وهكذا، تبين لنا الآيتان الكريمتان السابقتان أن الحديث بالصوت المرتفع لا يؤذي من يستمع إليه فحسب، بل إنه يُذهب ثواب الأعمال الصالحة، وفي هذا ترهيب من إحداث الضجيج، وتحذير من عاقبة الإقدام عليه. أما الحديث بصوت منخفض فعلاوة على أنه لا يحدث تلوثاً سمعياً، فإنه يعد طاعة لأمر الله، ودليلاً على طهارة القلب من كل قبيح، ولهذا يستحق صاحب هذا الحديث أن يُثاب عليه بمغفرة وأجر عظيمين»(١٥).

وقد أشار الحق عزَّ وجلَّ إلى أنه لايوجد تلوث صوتي في جنة

الخلد، فقال تعالى: (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً. إلا قيلاً سلاماً سلاماً) الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦. وقال أيضاً: (لاتسمع فيها لاغية) الغاشية:١١.

وإذا كانت الجنة هي الغاية، فإن القيام بما يؤدي إليها، أو محاولة التخلق بأخلاق من سيدخلها من عباد الله الصالحين، من شأنه أن يحيل كوكبنا الأرضي إلى جنة أخرى، صحيح أنها ليست مثل جنة الخلد التي وعدها الله عباده المتقين، ولكن لماذا لا يصنع الإنسان جنته في حياته الدنيا، بدلاً من الحياة في جحيم التلوث بشتى صوره؟ وليس هناك في ديننا الحنيف ما يحرم ذلك، مادام مثل هذا العمل لن يحيق الضرر بالآخرين أو بالبيئة نفسها، والنصوص الواردة في شريعة الإسلام تحض الإنسان على أن ينحو هذا المنحى، فهو مطالب بالغرس والزرع وعدم الإفساد في الأرض.

وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إحداث الضوضاء في المساجد والأسواق. فعن أبي قتادة قال: «بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة خارج المسجد فقال: ما شأنكم؟ قال: استعجلنا إلى الصلاة، فقال الرسول:: لا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا وما سبقكم فأتموا».

ففي هذا الحديث الشريف ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إحداث الضوضاء خارج المسجد، حتى ولو كان ذلك السبب الخوف من عدم اللحاق بصلاة الجماعة، وقد رفض الرسول صلى الله عليه وسلم استخدام الأبواق أو الطبول في الأذان، ولم يستحب كل تلك الآلات المزعجة لما يصدر عنها من جلبة وأصوات عالية. ومن أحاديث الرسول الكريم في النهي عن الضوضاء في الأسواق، حديث أخرجه ابن حبان، وفيه يقول الرسول الكريم: «إن الله يبغض كل صخاب في الأسواق».

والصخاب هو الرجل الكثير الجلبة والضجيج، أي الذي يثير ضجيجاً عالياً.

وفي رواية مسند الإمام أحمد بن حنبل: عن عبدالرحمن بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار «كل جعظري جواظ، مستكبر جماع مناع»، وقد قيل إن الجعظري هو الرجل الذي يتصف بالغلظة والفظاظة والتسخط وسوء الخلق.(١٦) فهو في العادة يرفع صوته ويجعجع، تغطية على ضعف حجته وقلة حيلته(١٧)، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه دفع مع النبي يوم عرفة، فسمع النبي وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار بسوطه إليهم وقال: «أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع» رواه البخاري.

فالرسول صلى الله عليه وسلم حينما سمع وراءه الجلبة والصياح والأصوات العالية للإبل «بسبب ضربها» لم يعجبه هذا، وطلب إلى الناس الالتزام بالهدوء والسكينة والطمأنينة، ونصحهم أن الخير ليس في سرعة مشي الإبل، وإنما في السير المعتاد الذي لا يصحبه ضجيج أو ضوضاء»(١٨).



وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن إحداث الصوت ولو بكلمة واحدة، في أثناء خطبة الجمعة فقال: «إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب: صه فقد لغوت»، وذلك لأن كل مصلّ لو تحدث ـ ولو بلفظة واحدة ـ مع جاره لأصبح الأمر فوضى، ولن يصبح أحد قادراً على الإنصات للخطيب. كما حذّر صلى الله عليه وسلم من الإعلان في المسجد عن شيء ضاع أو إبل أبقت أو ما شابه ذلك، فقال حين سمع أحداً يعلن عن شيء فقده: «لا رد الله عليك ضيعتك» رواه أحمد في مسنده، وذلك لأن المسجد لم يخصص لذلك، كما أن الإعلان عن فقد الشيء يتطلب رفع الصوت.

موقف فقهاء المسلمين من التلوث الصوتي

اعتبر فقهاء المسلمين التلوث الصوتي من مصادر الضرر الذي يجب دفعه، وعملاً بالحديث الشريف الذي رواه عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاضرر ولا ضرار» رواه الإمام مالك في الموطأ، ذلك أن الضرر ممنوع في الإسلام في جميع صوره وأشكاله. كما أن منع الضرر والفساد قبل حدوثه أولى من معالجته بعد حدوثه. والقاعدة الفقهية تقول: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، ولهذا فإن جميع الأعمال التي تهدف إلى تحقيق المصالح والمنافع للإنسان يجب أن تكون في منأى عن المفاسد والمضار. ومن ثمّ يجب أن يحتاط في تصورها وتخطيطها وتنفيذها، بحيث لا ينتج منها أي ضرر أو مفسدة قدر الإمكان.(١٩)

وقد قسّم الفقهاء الضرر الناتج من الأصوات إلى قسمين: ضرر يجب درؤه، وضرر يمكن احتماله، ومثال القسم الأول: الأصوات والذبذبات الناتجة من حركة البوابات، إذ إنها تؤثر في سلامة المباني المجاورة لها، يروي ابن الرامي «توفي عام ١٧٩هـ» في كتاب «الإعلان بأحكام البنيان» أن

نهى الرسول ﷺ عن إحداث الضوضاء خارج المسجد حتى ولو كان ذلك السبب الخوف من عدم اللحاق بالصلاة

مجموعة من الناس أقاموا بوابة لحارتهم، يفتح بابها على حائط جار لهم، فقاضاهم هذا الرجل بدعوى أن فتح الباب وغلقه المستمرين قد أضرا به وأقلقا راحته. فتحرى ابن الرامي الأمر، ووجد الحائط يتذبذب جراء فتح الباب وغلقه، فأمر القاضي بهدم البوابة وإزالة بابها».

أما القسم الثاني من الضرر فينتج من الأصوات التي تسبب الضيق دون الضرر. وقد اختلف الفقهاء في حكمهم عليه، فلم يعتبره الفقهاء الأوائل ضرراً يجب درؤه، أما من لحقهم من الفقهاء فقد كان لهم رأي مغاير، فقد اعتبروا الصوت والصدى ضوضاء ومصدراً للضرر يجب مكافحته. فقد وضع قضاة «طليطلة» - حسب رواية ابن الرامي - قواعد صارمة لمنع وجود «الكمادين» في المدينة لما يسببونه من ضرر وضيق للجيران بما يصدر عنهم من أصوات، كما أعرب القاضي ابن الرافع في تونس عن تفضيله منع بناء حظائر الحيوانات، المتاخمة للمباني لما تسببه حركة الحيوانات الدائمة في أثناء الليل والنهار من إزعاج قد يمنع الجيران من النوم.(٢٠)

وتحفل كتب الفقه الإسلامي بالأحكام والقضايا المرتبطة بمنع التلوث الصوتي، فقد ذكر الرازي في كتاب «الاستحسان»: «لو أراد - أحد - أن يبني في داره تنوراً للخبز الدائم كما يكون في الدكاكين أو رحى للطحن أو مدقات للقصارين لم يجز له لأنه يضر بجيرانه ضرراً فاحشاً»(٢١).

وجاء في «المجموع»: «ولا يسمر - أحد - مسماراً في حائط جاره إلا بإذن، ولا في الحائط المشترك بينه وبين غيره إلا بإذنه، لأن ذلك يوهي الحائط ويضر به»(٢٢).

وقد اختلفت آراء فقهاء المذهب المالكي في تفسير ضرر الأصوات. فعندما سئل ابن عبدربه عن نازلة نصب فيها رجل مطاحين في بيت له، وشكا جاره دوي المطاحين أجاب قائلاً: «قال أبو بكر بن عبدالرحمن رحمه الله: إذا اجتمع ضرران أسقط الأصغر الأكبر، ومنع الرجل من الانتفاع بمنزله وضيعته التي يقوم بها معاشه أكثر من الذي يتأذى بدوي مطاحنه، وحضرت محمد بن عمر بن لبابة رحمه الله وقد استفتي في هذه المسألة وفي الندافين «القطانين» الذين يندفون الخز في الليل والنهار، فأفتى بألا يمنعوا من ذلك وألا يمنع أحد بضرب الحديد في داره من ذلك».

وعلى عكس هذا الرأي السابق يقول ابن حارث في هذه النازلة: «... الضرر درجات، واتخاذ مطاحين عند حائط بيت الإنسان، وحيث لا يعدم دويها، هو عندي من أعظم الضرر»، وكنت أرى قطع ذلك على الجار الذي شكا ضرره به إن شاء الله»(٢٣).

الضرر السمعي نوعين: مباشر كالدق على حائط الجار وغير مباشر كهز حائط الجار

وهناك من الفقهاء من قسم الضرر السمعي إلى نوعين: ضرر مباشر كالدق على حائط الجار، وضرر غير مباشر كإحداث فعل يهز حائط الجار كتحويل منزل إلى حظيرة للحيوانات، وكان الفقهاء يركزون على الضرر المحدث على الآخرين عند إصدار الحكم دون الالتفات إلى تأثير ذلك الحكم على المتسبب في الضرر. فعندما سئل السيوري عن من يدق النوى ببيته لبقره وبيتهم في الشتاء في بيته فأراد الجار منعه من ذلك قال: «يمنع من دق النوى لأنه يضر بالبناء، وحس سماع الضرب يضر بالساكن إلا في بعض الأوقات. وإذا تكرر الأمر منع منه، وأما تبييت البقرة في بيت المالك فلا مقال له «أي الجار» وليس عليه في ذلك ضرر»، فهذه الإجابة لم تقض بقطع مسبب الضرر وذلك بإخراج البقر من المنزل، كما أنها لم تنظر إلى الضرر الكلي، ولكنها فصصته إلى أجزاء، فمالك البقر سيحتاج لا محالة إلى دق النوى لإطعام بقره، ولكن هذه مشكلته هو، فمتى يمنع وصول الاهتزاز لجدار جاره، فإن فعله سيستمر»(٢٤).

وسأل ابن الرامي الفقيه أبا عبدالله بن الغماز عن رجل أراد أن يعمل في داره رحى: «كم يبعد من الحائط الذي يجاوره من دار جاره؟» فأجابه بأنه ليس له في ذلك حد. وقال: «أنتم أهل المعرفة تعرفون ذلك، كم يبعد الرحى عن الحائط، وهذا لايعمل فيه حد». ومعروف أن الرامي كان بنّاء، وقد قال ابن الرامي في ضرر الرحى: «إن الذي يريد أن يعمل في داره رحى «عليه أن» يتباعد عن حائط الجار بثمانية أشبار من حد دوران البهيمة إلى حائط الجار، ويشغل ذلك بالبناء إما ببيت أو بمخزن أو بمجاز. لابد لذلك من حائل بالبناء لأن البناء يحول بين المضرة وحائط الجار».(٢٥)



وفي أحد النوازل، عمل رجل في داره رحى، فاشتكى جاره ضرر اهتزاز جداره من الرحى، فما كان من القاضي إلا أن طلب من ابن الرامي أن يتوجه إلى الدار وأن يعمل على قياس شدة الاهتزاز وبيان ضرره، ويبدو أن القاضي كان ذا خبرة بطرق قياس اهتزاز الأصوات، فقد شرح لابن الرامي كيف يقوم بذلك بطريقة فنية، حيث قال لابن الرامي: «تأخذ طبقاً من كاغيد - ورق - وتربط أركانه بأربعة أخياط

في كل ركن خيط، وتجمع أطراف الأخياط وتعلقهم من السقف الذي على الحائط الفاصل بين الدار وبين الرحى من جهة الدار، وتعمل على الكاغيد حبة من كزبر يابس، وتقول لصاحب الرحى هز رحاك، فإن اهتز الكزبر على الكاغيد قيل لصاحب الرحى: اقلع رحاك لأنها تضر بالجار، وإن كان لايهتز الكزبر على الكاغيد قيل لصاحب الدار اترك صاحب الرحى يخدم لأنها لا تضر بك».

وقد سأل ابن الرامي الفقيه نفسه بعد ذلك قائلاً: «فإن كان الحائط الساتر بين الرحى والدار ليس فيه خشب وإنما هو سترة لا خشب فيه فأين يعلق الكاغيد؟ قال لي: تأخذ قصبة غليظة وتحفر لها في الحائط الفاصل بين الدار والرحى قدر نصف شبر، وتدخل طرف القصبة في الحائط وتشدها في جهة الدار، وتعلق الكاغيد في تلك القصبة وتعمل الكزبر على الحائط وتقول لصاحب الرحى هزّ رحاك، فإن اهتز الكزبر منع صاحب الرحى، وإن لم يهتز لم يمنع. قلت له: فإن كان الحائط الفاصل بين الرحى والدار، من أملاك صاحب الرحى ويهتز بدوران الرحى، أيمنع أم لا؟ قال: إن كان لايهتز شيء من حيطان صاحب الدار فلا يمنع إذا كانت تهتز حيطانه ولا تهتز حيطان غيره».(٢٦)

وفي نازلة أخرى أحدث رجل خلف بيت جاره رواء دابة صغيرة «أي حظيرة لها»، فاشتكى صاحب البيت من ضرر الرواء، فعند النظر قال أهل البصارة: إنه محدث وإنه مضر، فأمر بزواله، ولفعل ذلك كان لابد من خروج الدابة، فصاح صاحب الدار ولج في أيام كثيرة وقال: «ليس لي غنى عن الدابة لأن عليها معاشي ولا بد لي منها». وكان الحل الأمثل لدفع الضرر هو حفر أساس «فينزل فيه قدر القامة خلف الحائط الذي هو صدر البيت، ويرفع في حقه حائط من تحت وجه الأرض بخمسة أشبار، ويكون عرض الحائط شبرين، ويجعل بينه وبين الحائط الذي هو مصدر البيت نصف شبر ترويحاً بين الحائطين، والترويح بين الحائطين من تحت وجه الأرض بخمسة أشبار إلى منتهى السقف... فلمافعل ذلك انقطع الضرر عن صاحب البيت».(٢٧)

اهتم المسلمون القدامى ببناء المصانع خارج المدن وبخاصة تلك التي ينتج منها تلوث صوتي

وسئل الفقيه ابن حارث «عن رجل نصب مطاحين في بيت له، وشكا جاره دوي المطاحين، والحيطان كلها لصاحب البيت، وأراد منعه من ذلك، وإنما في دار هذا الرجل من هذاالبيت حائطان أحدهما في بيته والثاني في داره»، وكانت إجابة ابن حارث: «... الضرر درجات، واتخاذ مطاحين عند حائط بيت الإنسان، وحيث لايعدم دويها، هو عندي من أعظم الضرر، وكنت أرى قطع ذلك على الجار الذي شكا ضرره به إن شاء الله»(٢٩).

ومن ذلك كله نرى أن الفقهاء اعتبروا الأصوات والذبذبات مصدراً للضرر يجب منعه. ومن هذا المنطلق، اهتم المسلمون القدامى ببناء المصانع خارج المدن وبخاصة تلك التي ينتج منها تلوث صوتي أو كيمياوي أو أي صورة أخرى من صور التلوث البيئي ●

الهوامش:

١ - تيودور بيرلاند، مكافحة الضوضاء، ترجمة الدكتور نظمي لوقا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٣.

٢ - د. محمد أحمد محمود جمعة، التلوث الضوضائي وفرق الصوتيات، دار الراتب الجامعية، بيروت، بدون تاريخ، ص ٩.

٣ - تيودور بيرلاند، مكافحة الضوضاء، مرجع سابق، ص ١٩.

٤ - محمد عبدالقادر الفقي، البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث - رؤية إسلامية، مكتبة ابن سينا، صفحة ٧٠.

٥ - تيودور بيرلاند، مكافحة الضوضاء، مرجع سابق، ص ٢٤: ٢٦.

٦ - محمد جمال المير، التلوث بالضجيج، سلسلة قضايا بيئية، الكتاب رقم (٧) جمعية حماية البيئة، الكويت، ربيع أول ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، ص ١٤.

٧ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، مرجع في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام، تونس ص ٤٧٠.

٨ - تيودور بيرلاند، مكافحة الضوضاء، مرجع سابق، ص ٤٣.

٩ - معالي عبدالحميد حمودة، أخطار الضوضاء على البيئة، مجلة القافلة، مايو - يونيو ١٩٩٢م، ص ٣٦.

١٠ - تيودور بيرلاند، مكافحة الضوضاء، مرجع سابق، ص ١٠٦.

١١ - محمد عيسى أحمد، الضوضاء، والضجيج مصادر تلوث جديدة، مجلة القافلة، صفر ١٤١٧هـ - يونيو - يوليو ١٩٩٦م، ص ٣٤:٣٥.

١٢ - محمد عبدالقادر الفقي، حماية البيئة من التلوث: رؤية إسلامية، القاهرة، ص ٤١.

١٣ - د.علي علي السكري، البيئة من منظور إسلامي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٤م، ص ٦١.

١٤ - المرجع السابق، ص ٦٢.

١٥ - محمد عبدالقادر الفقي، البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث - رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص ٨٣.

١٦ - ابن منظور، لسان العرب، بيروت، الجزء الرابع، ص ١٤١: ١٤٢.

١٧ - د.غالب محمد الشاويش، تصوير المعنى بجرس اللفظ في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٣، ذوالقعدة ١٤١٥هـ - أبريل ١٩٩٥م، ص ١٤٣.

١٨ - د.علي علي السكري، البيئة من منظور إسلامي، مرجع سابق، ص ٦٣.

١٩ - محمد عبدالقادر الفقي، البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث - رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص ٨٥: ٨٦.

٢٠ - د.صالح الهذلول، التحكم في استعمالات الأراضي في المدينة العربية الإسلامية، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، ص ٢٨٩: ٢٩٠.

٢١ - جميل عبدالقادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، الرياض، ص ٢٠٦.

٢٢ - النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، الجزء الثالث عشر، ص ٤٠٥.

٢٣ - أبوالعباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب، الرباط، الجزء التاسع، ص ٦٠.

٢٤ - المرجع السابق، الجزء الثامن، صفحة ٤٤٥.

٢٥ - جميل عبدالقادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، مرجع سابق، صفحة ٢١٨، ٤٨٤، نقلاً عن: ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنيان، ص ٣٠٥:٣٠٦.

٢٦ - المرجع السابق، صفحة ٢١٨، ٤٨٤، نقلاً عن: ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنيان، ص ٣٠٥: ٣٠٦.

٢٧ - المرجع السابق، ص ٢١٨، ٤٨٤.

٢٨ - أبوالعباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، مرجع سابق، الجزء التاسع، ص ٥٩.

بقلم: محمد عودة



خطورة الحيل على مصالح العباد

بقلم: د. أحمد كروم
كلية الآداب - العلوم الإنسانية - المغرب

حينما تطرق الأصوليون لمقاصد التشريع حدوها في مراعاة مصالح العباد في العاجل والآجل، فكانت الوظيفة من مقصد شريعة الإسلام الحفاظ على مصلحة المكلف العبد المسؤول ذكراً كان أو أنثى، حافظة لحقوقهما كاملة مرتبة حسب اللزوم والإيجاد. فحققت لهما أموراً ضرورية تكفّل الشارع برعايتها وصيانتها من كل هدم أو تقويض، وهي المسمات بالضرورات الخمس المتعلقة بالدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال. وهذه الخمس مرتبة حسب الأولية والأهمية في الإيجاد، تتفق كلها في رعاية مصالح العباد. وقد أوجدت الشريعة لوازم لهذه الضرورات تحقيقاً لحفظها وصيانتها وتعمير الأرض بوجودها، حيث إن مدار البقاء الآدمي يتوقف عليها. وكل تهديد لهذه الضرورات سواء بالإتلاف أو الانتهاك يؤدي إلى عقاب شرعي اصطلح عليه بالحدود الشرعية. كالقتل للمرتد صيانة للدين، والجلد والرجم في قضية الزنى صيانة للعرض، والدية والعقوبات المختلفة حداً أو تعزيراً صيانة للنفس، وعقوبات الإسكار صيانة للعقل، والقطع في السرقات صيانة للمال، وغيرها من الحدود الحامية لهذه الضرورات، بوجه أو بآخر قصد البقاء واستمرار الحياة في الدنيا.

أشار القرآن الكريم في أصول التشريع إلى نماذج كثيرة من الحيل الآدمية المتجاوزة للأحكام الشرعية

كما نشطت المقاصد الشرعية في واجبها أمام المكلَّف المستحق لحقوق حاجية، وتحسينية يستأنس بها في الحياة عوناً على بقاء الضرورات المراعية للمصلحة العامة. فضمنت له كل ما يحتاج إليه من أسباب الترفيه والكماليات المستحبة والمندوبة والمقبولة في الطعام والشراب والملبس وسائر العادات، فكان الضابط لتحقيق المصلحة العامة للعباد، بحفظ الضرورات وضمان الحاجات والكماليات، لكن ضمان البقاء والصيانة لا يتحقق إلا بالحكم الشرعي، حيث أوجب الشارع أشياء وحرَّم أشياء، سواء أكان الوجوب أم التحريم مطلقاً، أو مقيداً بأسباب. فمطلق الوجوب كالصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، وأشباه ذلك. ومطلق التحريم كالردة، والزنى، والربا، والقتل وغيرها. أما المقيدة بأسباب، كالشفعة للشريك، والوفاء بالنذر، والكفارات المبنية على أسباب. وعليه، فإن مقاصد الشريعة لم يكلف العبد فيها إلا بمقدور مستطاع تطيقه نفسه وتستطيعه إرادته سواء أكان أمراً أم نهياً. لكن إذا أخرج المكلف نفسه من مناط التكليف ومسؤولية المصلحة المتوخاة من مقاصد التشريع فأسقط الوجوب عن نفسه،

وأباح المحرَّم عليه بوجه من وجوه التسبب، ليصير ذلك الواجب التكليفي المسؤول عنه غير واجب في الظاهر، أو تعامل مع المحرَّم تعامل الحلال لإسقاط الحكم المترتب يكون قد «تحايل» على الأحكام، واستعمل الحيلة إرضاء لنفسه لاستمراء الحرام بدافع التدليس والإيهام المتضمن في الحيل الآدمية.

وكلما جدَّ زمان إلا وتجددت حيله، وتكاثرت مراوغاته للتبرم من التكاليف والتملص من إنجاز العهد المتعلق بالواجب والحق. والمسلم المعاصر يعيش ويسمع ألواناً عدة من الحيل التي أساءت إلى شرف المسلم وانتقصت من كرامته، فنعتته بالمكر والخداع وأزالت أسباب الثقة عنه لتضعها في ميزان الآخرين ممن لا عهد لهم ولا حجة معهم في الدنيا والآخرة. فوعي الأمة بمصلحتها الدينية والدنيوية تقتضي الابتعاد عما هو مذموم من الحيل التي يترتب عليها عقاب أو لعنة مساويين أو ما يُقاس عليهما من ألوان العقاب.

نماذج من الحيل المذمومة

١ ـ الحيل المحرمة: لقد أشار القرآن الكريم وهو الدليل الأول في أصول التشريع إلى نماذج كثيرة من الحيل الآدمية المتجاوزة للأحكام الشرعية والتي رتب عليها عقاباً سماوياً منها قوله عزَّ وجلَّ: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) البقرة:٦٥(١)، حيث إنهم يحتالون للاصطياد يوم السبت بأن يضعوا الشصوص والحبائل والبرك ويحفرون الحياض فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت بالموج على عادتها في الكثرة، فإذا انقضى يوم السبت أخذوها حيلة لتجاوز هذا اليوم. فكان هذا التجاوز من العبد المكلَّف مذموماً غير مشروع يستوجب عقاباً سماوياً لا رحمة فيه مراعاة لحكم تكليفي إلا هي، فكان مسخهم إلى صورة القردة أولى مجانسة لفعلهم، وهي أشبه بالأناسي في الشكل الظاهر، وليست بإنسان حقيقة، وهو برهان واضح على جزاء الحيلة في الدين.

فالحيل المذمومة مفوتة للمصالح المقصودة من التشريع، حيث كان من ورائها الهوى المجرد. يقول الشاطبي في موافقاته: «إن أحكام الشريعة تشتمل على مصلحة كلية في الجملة وعلى مصلحة جزئية في كل مصلحة على الخصوص. أما الجزئية فما يعرب عنها كل دليل لحكم في خاصته. وأما الكلية فهي أن يكون كل مكلف تحت قانون معين من تكاليف الشرع في جميع حركاته وأقواله واعتقاداته، فلا يكون كالبهيمة المسيبة تعمل بهواها حتى يرتاض بلجام الشرع»(٢).

أما بالنسبة للسنة النبوية وهي الدليل الثاني، فقد أشارت في أحاديث واضحة إلى خطورة الحيل المذمومة في شريعة الإسلام، وهوَّلت من شأنها في مسخ الأحكام وتضليل الأنام، يقول صلى الله عليه وسلم: «ليشربن ناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها»(٣)، وهو نوع من التحايل على الخمر المحرَّمة شرعاً واستمرائها بقياس تحايلي مع سائر المشروبات الأخرى المميزة عنها بالمصدر والطبيعة. كما ذكر الحديث أيضاً: «يأتي على الناس زمان يستحل فيه خمسة أشياء بخمسة أشياء، يستحلون الخمر بأسماء يسمونها، والسحت بالهدية، والقتل بالرهبة، والزنى بالنكاح، والربا بالبيع»(٤)، فالتحايل واضح من خلال الحديث على اسم المحرَّم وخلطه باسم الحلال تدليساً وإيهاماً حتى يرتفع المانع فيحل. وحينما قرأ أحمد بن حنبل قول الله عز وجل: (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) النحل:٩١، قال: «عجبت مما يقولون في الحيل والإيمان يبطلون الإيمان بالحيل»(٥).

السنة النبوية أشارت في أحاديث واضحة إلى خطورة الحيل المذمومة في شريعة الإسلام

٢ ـ الحيل الباطلة: فهي التي نافق بها المنافقون وراءى بها المراؤون لانتهاك حرمة الشرع في أحكامه الثابتة أمراً أو تحريماً أو نهياً. وقد تكون هذه الحيل نافذة إلى كل صيغة نهي أو تحريم وارد في القرآن الكريم في مختلف القضايا والأحوال لنقض عهود أحكمتها الشريعة في الدين والمعاملات، وقد أشار القرآن الكريم إلى مجملها بقوله: (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) آل عمران:٧٧، وهم الصنف الآثم المتحايل على عهود الله، حيث اعتاضوا ما عاهدوا الله عليه من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وأيمانهم الكاذبة بعروض الحياة الزائلة، وصور هذه الحال كثيرة في القرآن والسنَّة، ففي القرآن الكريم يقول الله عزَّ وجلَّ: (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم) القلم:١٧ـ٢٠، لما احتالوا على إمساك حق المساكين، بأن قصدوا الصرام في غير وقته. إتيانهم، كأنه كان في شرعهم أن من لا يحضر الجذاذ يسقط حقه، فاحتالوا بهذه الحيلة لسقوط حق المساكين. ومنه أيضاً في غرض آخر قوله عزَّ وجل: (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) البقرة:٢٢٩، فيمن كان يلحق الضرر بزوجته لتفتدي منه أو تخلعه، وهي حيلة واضحة لبلوغ غرض لم يشرع الحكم من أجله. وهو تضييع لحق من الحقوق يرتبط بضرورة المال من جهة، وبضرورة الدين من جهة أخرى. ونظيره قول الله عزَّ وجلَّ: (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) النساء:٦، وقوله أيضاً: (ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) النساء:١٩، وغيرها من الحالات التي قد يخدع فيها الخادع، ويتحايل فيها المحتال ليستهزئ بحق من حقوق الله أو حقوق العباد. وقد عبَّر الفاعلون لهذه الحيل الباطلة بقولهم: (إنما نحن مستهزؤون) البقرة:١٤، لأنهم تحيلوا بملابسة الدين وأهله إلى أغراضهم الفاسدة، وقال سبحانه في

الحيل الغامضة هي التي لم يتبين فيها دليل قطعي واضح

أعمال هؤلاء: (كالذي يُنفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب) البقرة:٢٦٤.

كما وضعت السنّة بالأمثلة صور هذا النوع من الحيل الباطلة، نذكر منها: «قاتل الله اليهود حُرِّمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها»(٦). أي تحايلوا على الحرام بأن أذابوا هذه الشحوم حتى صارت في صورة الشحم، ولم يأكلوها هي، بل أخذوا أثمانها فانتفعوا بها، وفي حديث آخر: «من أدخل فرساً بين فرسين وهو لا يأمن أن تسبق فليس بقمار، ومن أدخل فرساً بين فرسين وقد أمن أن تسبق فهو قمار»(٧)، وهذا الفعل حيلة منهي عنها وذلك بإدخال فرس معروف فيها أنها تسبق الخيل ليحقق شرط حوز الرهان فهو مخل بقصد المسابقة ومقترن بقصد حصول الشرط.

٣ ـ الحيل الغامضة وهي التي لم يتبين فيها دليل واضح قطعي يلحقها بالقسم الأول أو الثاني، ولم يتبين فيها للشارع مقصد على أنه مقصود له. ولا ظهر أنه على خلاف المصلحة التي وضعت لها الشريعة، فكانت محل نزاع. ومثال هذه الحال: نكاح المحلل، فإنه تحيل إلى إرجاع الزوجة إلى مطلقها الأول، بحيلة توافق في الظاهر قول الله تبارك وتعالى: (فإن طلقها فلا تحلُّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره) البقرة:٢٢٨. فقد نكحت المرأة هذا المحلل، فكأن رجوعها إلى الأول بعد تطليق الثاني موافقاً، خصوصاً وأنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»، واضح في ظاهره أنه المقصود في النكاح الثاني ذوق العسيلة، وهو حاصل ما حدث للصحابي رفاعة بن سموال، حيث طلّق امرأته تميمة بنت وهب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثاً، فنكحت عبدالرحمن بن الزبير، فاعترض عنها، فلم يستطع أن يمسَّها ففارقها، فأراد رفاعة أن ينكحها، وهو زوجها الأول الذي كان طلّقها، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عن تزويجها وقال الحديث السابق الذي روي برواية أخرى: «لا تحل لك حتى تذوق العسيلة»(٨).

وقد حصل في المحلل شرط الحديث وهو ذوق العسيلة، فمصلحة هذا النكاح ظاهرة لأنه قصد فيه الإصلاح بين الزوجين إذ كان سبباً في التآلف بينهما على وجه صحيح، وهذا رأي من ذهب إلى الاستدلال بجواز هذا النوع من الحيل، أما تقرير المنع فأظهر.(٩)

البناء التكافلي في المجتمع يقتضي احترام حقوق وواجبات قد لا يفقهها إلا المكلف

وعموماً نقول: إن استعمال الحيل في الشرع لإفساد المصلحة العامة وتضييعها وذلك بهدم الضرورات التي جاءت لإقرار مصالح العباد محرم شرعاً، ومن مظاهر خطورتها أن لها تأثيراً على الطباع والنفوس، وفساد المجتمعات والأمم وهي أساس نعت النفاق ومدار أغلب آيات النهي والتحذير في القرآن والسنة، وقد كانت سبب المسخ والطمس والخسف عند الأمم السابقة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لاترتكبوا ما ارتكبت اليهود والنصارى يستحلون محارم الله بأدنى الحيل». وهو تنبيه إلى أن المجتمع السليم القويم المخلص، هو الذي أسس على الوضوح في السرائر والنوايا حتى تظهر النتائج على الأعمال، وهي ثمرة الاعتقاد الصحيح والإيمان الجازم والعمل الهادف والسلوك المرجو لأجيال الخير التي تنتظرها الأمة الإسلامية. لذلك نجد مبادئ السلوك والتربية في مقاصد الشريعة تقتضي تطهير الأحكام من كل أسباب التعطيل في منهجية التنفيذ والتطبيق. وذلك بتسليط الحيل المغرضة الباطلة في تأويلها، المفوتة للمصلحة العامة قصد الأغراض الشخصية الذاتية المبنية على الهوى والابتداع الباطل.

فالبناء التكافلي في المجتمع يقتضي احترام حقوق وواجبات قد لا يفقهها إلا المكلف، وذلك بوعيه بحرمات أكبر من أن تؤطر في وضع قانوني. فلا غرابة إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهو في مجلس حكم بين خصمين: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً، فإنما أقطع له قطعة من النار»(١٠)، وهو دليل على أن هناك أشياء خفية لا يراها القانون مفوضة إلى نية ووعي المكلف يتصرف فيها حسن الاعتقاد وطيب السلوك، كما تفعل فيه الحيل أفاعيلها لتأثر بالطبع الفاسد فتجلب منه ومن مظانه الخبيثة وسائل يرى فيها الحق باطلاً والباطل حقاً، لذلك شنَّع القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة والأدلة الشرعية كاملة على أن يكون هذا الوصف في حوزة العبد المسلم، المكلف صاحب الأمانة السماوية التي لا تُخان ولا تُها ●

الهوامش:

١ ـ انظر ابن كثير في تفسير الآية من سورة الأعراف: (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الآية.

٢ ـ الموافقات: ج١١/ ص٣٨٦.

٣ ـ رواه أبو داود وابن ماجه «يسمونها» بغير واو، ورواه كذلك في الجامع الصغير عن أحمد وأبي داود ورواه الشوكاني في نيل الأوطار عن أحمد وأبي داود.

٤ ـ هذا الحديث علق عليه عبدالله دراز ـ رحمه الله ـ وقد رواه ابن بطة بإسناد إلى الأوزاعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع»، يعني العينة: وهذا المرسل للاعتضاد به والاستشهاد. وإن لم يكن عليه وحده الاعتماد، انظر الموافقات: ج١/ ص٢٩٠.

٥ ـ الموافقات ج١/ص ٢٩٠.

٦ ـ الحديث رواه ابن ماجه، وابن حبان والطبراني في الكبير والبيهقي وإسناده حسن.

٧ ـ رواه في التيسير عن أبي داود.

٨ ـ أخرجه البخاري في ٨٧ كتاب اللباس، ومسلم في ١٦ كتاب النكاح، ومالك في ٢٨ كتاب النكاح (باب نكاح المحل وما أشبهه).

٩ ـ أخرجه البخاري في ٥٢ كتاب الشبهات، وفي ٢٧ باب من أقام البيِّنة بعد اليمين. وأخرجه مسلم في ٣٠ ـ «كتاب الأقضية» وفي ٣ ـ الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، حديث ٤. وأخرجه مالك في الموطأ في ٣٦ كتاب الأقضية «باب الترغيب في القضاء باللحن».

وهب الله الكون من الحسن والجمال ما جعله مظهراً لعظيم قدرته وحكمته، ولطيف إحسانه، سواء في المرئيات وألوانها، كالزهور والخضرة وغيرها، أو في المسموعات، كتغريد الطيور وحفيف الأشجار. وخرير المياه ونحو ذلك. أو في المشموم، كعبير الزهور وشذى العطور التي أودعها الله تعالى في كثير من مخلوقاته، أو في المطعوم والمذوقات، في طعم الفاكهة وسائر المأكولات التي جعلها الله تعالى قوتاً وغذاء للإنسان، أو في التناسق البديع الذي أعطى الأشياء رونقاً وجمالاً، في الجبال والسهول، وفي الحقول والغابات، وفي السماء ونجومها وغيومها وسائر ما يزينها.

وإذ كان الإنسان هو المخلوق المميز بتذوق واع وإحساس مرهف لذلك الجمال، إذ حباه الله رقة الشعور، ورهافة الحس، فقد كان أكثر المخلوقات تفاعلاً مع ذلك الجمال وتأثراً واعياً به. فللجمال في حياة الإنسان وظيفة سامية راقية إلى جانب الوظائف التي يؤديها... إنه وسيلة تسمو بالمرء إلى معرفة مبدع هذا الجمال، وسبيل يغذي في قلب المرء محبة الله تعالى وتعظيمه. وما ينبغي أن يكون هذا الجمال حجاباً يحول بين العبد وخالقه، ولا ينبغي أن يكون سبباً لنسيانه والغفلة عنه.

وفي النصوص الشرعية، من السنّة المطهرة، ما يشير إلى تقدير الإسلام للحسّ الفني والجمال عند الإنسان..

فن الرسم والتصوير في الإسلام ما له... وما عليه



بقلم:
د. محمد توفيق سعيد رمضان البوطي
أستاذ الفقه المقارن. كلية الشريعة
جامعة دمشق

ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة»، فقال: «إن الله جميل يحب الجمال».

وما يؤكد تقدير الإسلام للحس الجمالي عند الإنسان ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على صوت أبي موسى الأشعري، عندما قال له: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»، إشارة إلى تأثره صلى الله عليه وسلم بجمال صوته. وقد أجابه آنذاك أبو موسى بقوله: لو كنت أعلم أنك كنت تسمعني لحبرته لك تحبيراً.

والفن انسجام مع هذا المعنى الذي أشرت إليه، وتذوق له، ومظهرٌ لرهافة الحس الإنساني وتفاعله مع جمالية الكون.

ولعل من أقدم الفنون البشرية ظهوراً في التاريخ البشري فن الرسم الذي كان - إضافة إلى كونه فناً - أداة من أدوات التعبير، ولغة يستخدمها الإنسان للتفاهم مع الآخرين. ومن أبرز الفنون المبتكرة في العصر الحديث فن التصوير، الذي يعد من أعظم الفنون المعاصرة أهمية وتأثيراً في مختلف جوانب الحياة والحضارة.

فما موقع كل من هذين الفنين في ميزان الشريعة الإسلامية؟

لقد ثار جدل حول حكم كل من هذين الفنين بين العلماء في القرن المنصرم، ففيهم المحلل وفيهم المحرّم، والمسألة تستلزم وقفة تأمل وتحقيق. فسبب هذا الجدل يعود إلى ورود أحاديث في شأن التصوير، تمنعه وتحذر منه، من ذلك ما روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون»(١)، وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الذين يصورون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم»(٢)، والمراد بالصور هنا صور الأحياء من الأناسي والحيوانات، وهذا ما صرّح به ابن عباس عندما قال لمن سأله: «يا أبا العباس إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير»، فقال ابن عباس: «لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ أبداً» فربا الرجل ربوة شديدة واصفرَّ وجهه، فقال ابن عباس: «ويحك إن أبيت إلا أن تصنع، فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح»(٣).

ولهذا الحديث أطلق كثير من العلماء الحكم بمنع التصوير بنوعيه الرسم بفنونه، والتصوير الضوئي على اختلاف أنواعه.

والمسألة تحتاج إلى بحث وتحقيق ، وقد وجدت أن عليَّ إذا ما أردت الخوض فيها أن أتناول في بيانها الأمور التالية:

حكم الرسم الذي تناول النص بمختلف أنواعه وأغراضه، والحكمة

من ذلك، ثم بيان حدود إمكان توظيف هذا الفن توظيفاً جائزاً شرعياً.

حقيقة التصوير الضوئي، ومدى علاقته بالنص الذي تضمن التحريم.

حكم التصوير الضوئي على اختلاف أنواعه وأغراضه، ودور التصوير الضوئي في خدمة أهداف الدعوة والتعليم والتربية وغير ذلك من الأهداف المشروعة السامية.

أولاً: حكم رسم ذوات الروح من البشر والكائنات الحية

إن المتأمل في الحديث المذكور آنفاً يلاحظ أنه قد أطلق الحكم في المصورين بالتحذير والوعيد بالعذاب عندما قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون».

والصورة لغة: الشكل والهيئة والحقيقة والصفة والوجه.

والتصوير: صُنع الصورة أو إعطاء الشيء شكله وهيئته ووصفه، ففي القرآن الكريم: (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) آل عمران:٦.

وقد اختلف العلماء في معنى التصوير الذي ورد المنع له. هل المراد به صنع التماثيل؟ أم أنه يشمل الرسم أيضاً؟ وسبب الاختلاف ورود حديث استثنى من المنع الرقم في الثوب.

والقول المعتمد في ذلك تحريم الرسم والنحت والنقش. لأن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على أهله الستر الذي عليه تصاوير، قائلاً: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»(٤).

واحتج بعضهم لجواز غير النحت بوجود رسوم لأحياء من حيوانات وأسماك وأشخاص على النقود وغيرها. والجواب على ذلك: أن النص حجة على من فعل ذلك. وليس فعلُ ذلك حجة على النص.

والسؤال هنا: ما الحكمة من تحريم تصوير الأحياء؟ «أعني بالرسم والنحت ونحوه».

قبل عرض الحكمة من تحريم تصوير الأحياء، أرى من الضرورة أن أشير إلى أمر مهم:

إن كثيراً من الأحكام الشرعية معقولة المعنى، واضحة الحكمة، منضبطة العلة. ولكن هذا لا يعني أن التزامنا بهذه الأحكام وتطبيقنا لها متوقف على مدى اتضاح حكمتها، وظهور مغزاها، بعد أن علمنا يقيناً أن هذه الأحكام إنما أنزلها الخالق الحكيم سبحانه وتعالى.



ومع أن القرآن الكريم قد طالبنا بأن نتأمل ونتدبَّر، بحثاً عن الحكمة في الكون والشريعة، وكلاهما مظهر لحكمة الله وقدرته، إلا أننا في التزامنا بهذه الشرائع والأحكام إنما نعبد الله، وليس الحكمة والمغزى. وإن عدم اتضاح الحكمة لنا في أمر ما، إن دل على شيء، فهو إنما يدل على ضعف مداركنا وقصور فهمنا لعظيم حكمته سبحانه في نظام الخلق وتشريع الأحكام. مع أنه سبحانه وتعالى قد منح العقل الإنساني القدرة على فهم وإدراك كثير من الحكم الكامنة في شريعته وخلقه، والإنسان لايزال يكتشف الكثير مما كان يجهله من هذه الحكم يوماً بعد يوم.

ولكن ذلك لا يعني أن من حق الإنسان أن يفاوض الله تعالى فيما أحل وفيما حرَّم على مائدة مستديرة، فلا يلتزم بالحكم إلا إذا أدرك الحكمة منه.

إن الإنسان اليوم يكتشف جوانب عظيمة من حكم الشريعة الغراء، وقد مضى على جهله بها قرون.

فهل تتعطل الأحكام طوال تلك القرون بانتظار فهم الإنسان لها وإدراكه لحكمتها؟

إن إيماننا بأن هذا الدين تنزيل من الله تعالى، يجعلنا نذعن للحكم، ويجعلنا في الوقت ذاته نتدبره ونتأمل مظاهر الحكمة فيه، لنكون أشد يقيناً بحكمة ربنا وأكثر إيماناً بأن هذا الدين هو الحق.

وقد ذكر العلماء في بيان الحكمة من تحريم تصوير الأحياء والعلاقة بينهما أموراً، منها:

- قالوا: إن من شأن صنع هذه الصور أن يؤدي إلى عبادتها، ومن صنع الصورة لتعبد، وهو صانع الأصنام ونحوها، فهو كافر، وهو الأشد عذاباً.

- وقالوا: إن في التصوير معنى المضاهاة لله تعالى في الخلق، مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم: «يُقال لهم: أحيوا ما خلقتم، ومن قصد المضاهاة فقد كفر».

أما إذا كان لايقصد العبادة ولا المضاهاة، فهو آثم، وليس كافراً.

ومن خلال نوع من التأمل والاستقراء أرى، إضافة إلى ذلك، أن قصد المضاهاة، أو قصد عبادة الصورة كفر بحد ذاته، لاشك في ذلك، ولكن الحكمة من التحريم إنما تكمن في أن رسم الأحياء وتصويرهم مزلق يمكن أن يؤدي بصاحبه إلى أحد الأمرين

المذكورين، أي المضاهاة أو العبادة.

فالتحريم جاء سداً للذريعة وليس لذات التصوير.

ذلك لأن المصور عندما يبلغ عمله درجة من الدقة في محاكاة الواقع، فإن من شأنه أن يؤدي به ذلك إلى أحد الأمرين المذكورين غالباً، فهو إما أن يصاب بحال من الغرور فيرى في نفسه القدرة على مضاهاة الخالق سبحانه في خلقه، وإما أن يصاب بحال إعجاب بالصورة التي صنعها إلى درجة تصل به إلى التقديس والعبادة.

فقد ذكر في التاريخ أن «مايكل أنجلو» عندما أتم صنع تمثال موسى أعجب بصنعه، حتى صار يقول للصنم: انطق. وقصته معروفة في كتب تاريخ الفن.

ولعل معظم تماثيل اليونان التي أطلقت عليها أسماء آلهة خرافية إنما اكتسبت أسماءها من مشاعر الإعجاب بتلك التماثيل.

وهذه المشاعر مظهر ضعف في النفس البشرية، يمكن أن ينتاب الإنسان عند اقتحامه ميدان هذا الفن. ولاسيما عندما يكون «الفن للفن» كما يقولون، ولا يكون موظفاً لهدف سام وغرض شريف.

أما إذا كان هذا الفن هادفاً لغاية سامية، يقرها الإسلام ويؤيدها، فإن الحكم الشرعي عندئذ يختلف.

فالشريعة الإسلامية قد سمحت بصنع دمى البنات، على الرغم من أنها مجسمات وأصنام، وذلك لسمو الغاية المقصودة من ذلك، ولكونها غاية سليمة يقرها الشرع ويؤيدها. إذ وجود تلك الدمى من شأنه أن يحقق هدفاً تربوياً سامياً، لأنها تنمي فطرة الأنوثة في الفتاة، وتغذي مشاعر الأمومة فيها تأهيلاً لها، في أسلوب تربوي حكيم، يشبه ما يسميه علماء التربية اليوم: «العب وتعلم».

وقد ذكر في مواهب الجليل شرح مختصر الخليل: «وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال النووي: قال القاضي عياض: فيه جواز اللعب بهن، قال وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها بهذا الحديث، لما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن. قال وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن»(٥).

بناء على ذلك: فإنني أرى أن هذا التحريم يزول، عندما يكون الرسم ذا هدف تربوي أو تعليمي أو نحو ذلك. بحيث يحقق هدفاً مشروعاً تؤيده مبادئ الشريعة والأخلاق السامية والفطرة الإنسانية السليمة.

وبناء على ذلك أيضاً: فإنني أرى أنه من الممكن أن تكون كتب الأطفال، وسائر الطلاب، مزودة بالرسوم التعليمية والتوضيحية، وأن نقدم لهم المجلة المصورة التي تروي لهم القصة موضحة بالصورة، سواء للحيوانات أو للأناسي أو للطيور. إذ من المعلوم أن التعليم الموضح بالصور يساعد على فهم الموضوع بصورة أتم.

وبناء على ذلك أيضاً فإنني لا أرى ما يمنع من أن تزود العملية التعليمية بمجسمات توضيحية لبعض الأحياء على سبيل التعليم والشرح.

أما التصوير الضوئي فالبحث فيه أدق وأخطر

لابد أولاً من بيان حقيقة التصوير الضوئي، ومدى علاقته بالتصوير المحرَّم:

لا أجد ما يقتضي البحث في تقنية التصوير الضوئي بمختلف فنونه الحديثة، إلا أن عرض تعريف بسيط بحقيقته، يفيد في بيان أثر هذا الفن على سلوك الفرد وبناء شخصيته وثقافته، وأثره على الحضارة المعاصرة، ومن ثمَّ إبراز موقعه في ميزان الأحكام الشرعية.



من المعلوم أن التصوير الضوئي منه الثابت، ومنه المتحرك. وكل منهما يتم بانعكاس الصورة على طبقة حساسة طلي بها الفيلم. فالتصوير الثابت منه هو الذي تؤخذ منه الصور الفوتوغرافية، الملونة أو العادية المستخدمة في الوثائق الرسمية والصور التذكارية ونحوها. والمتحركة هي تلك التي تصنع منها الأفلام السينمائية كما هو معلوم.

ومن التصوير ما يعتمد على طريقة متطورة مبدؤها تحويل الصورة المنعكسة على الطبقة الحساسة إلى إشارات كهربائية، يمكن تخزينها بطرق عدة:

١ ـ تخزينها على مواد حساسة «كشرطة الفيديو والأقراص الليزرية».

٢ ـ تخزينها في ذاكرة الحاسوب بشكل ملفات رقمية ((Digital).

كما يمكن عرضها مباشرة على شاشات حاسوب أو شاشات عرض لمشاهدتها حسب رغبة المشاهد.

هذا النوع من فنون التصوير ظاهرة جديدة لم تكن في العصور السابقة. ولم تتحدث عنها النصوص الشرعية.

إنها غير الرسم والنحت الذي عرف في عصر الرسالة الإسلامية. والذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم تصويراً كما لاحظنا قبل قليل.

ولئن سمي هذا الفن تصويراً في كثير من البلاد «والتصوير هو صنع الصورة في أصل المعنى اللغوي»، فإن ذلك اصطلاح في

التسمية، لا دلالة له على أنهما شيء واحد، بل إن بعضهم سمَّى هذا العمل عكساً ولم يسمه تصويراً.

فالرسم مهارة في تصوير الشيء، تعتمد على قدرة الرسام في حسن استخدام ريشته أو قلمه في محاكاة الموضوع الذي يرسمه، أما التصوير فإن المهارة فيه لا تعدو حسن التعامل مع آلته، ومع شروط الإضاءة والأبعاد، لتنقل الآلة خيال الشيء إلى الفيلم أو نحوه، أو بعبارة أخرى، إن فنون التصوير الحديثة لا تتجاوز كونها حسن استفادة من الخصائص الطبيعية والتقنية للمادة الحساسة على اختلاف أنواعها، والشروط الملائمة لها.

نعم إن الصورة التي تنشأ عن الآلة المتطورة يمكن أن تصف الواقع أدق وصف، ولكن ذلك ليس لمجرد مهارة من ضغط على زر التصوير في الآلة، بل لدقة وصفاء الآلة، وتطور المادة التي تنطبع عليها الصورة من الأفلام، بالإضافة إلى حسن التعامل مع الشروط ا لفنية لعملها.

المصور إذا كان لا يقصد العبادة ولا المضاهاة فهو آثم وليس كافراً

وهذا لا يعني الحكم على هذا التصوير بالحل أو بالحرمة، إنما أقول: إن هذه المسألة ظاهرة جديدة، يجب أن نبحث في حكمها، من خلال المبادئ العامة في الشريعة الإسلامية.

قد يُقال: إن المبادئ العامة في الشريعة الإسلامية تقتضي القول بحل هذا النوع من التصوير، للقاعدة التي تقول: «الأصل في الأشياء الإباحة»(٦) استناداً إلى الحديث المروي بألفاظ متقاربة ونصه: «ما أحل الله فهو حلال وما حرَّم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو» وفي رواية... «وما سكت عنه فهو مما عفا عنه».

وقد يقال بالمقابل: إن هذا الأمر مما لم يكن في عصر النبوة، فلا يشمله القول إنه مما سكت عنه.

والجواب: أنه على كل حال يندرج تحت الأصل العام الذي ذكرته، وتحت مبدأ (سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه).

ولكن إذا كانت «الأمور بمقاصدها»(٧) كما ذكر العلماء في القواعد الفقهية، فإن علينا أن ندرس الأمور التالية:

١ ـ ما مجالات استخدام التصوير المعاصر؟

٢ ـ وما موقع هذا الفن من ميزان الأحكام الشرعية؟

٣ ـ وما مسؤولية المسلمين تجاه توظيف هذه الفنون توظيفاً صحيحاً؟

لا أعتقد أن أمراً من مستحدثات هذا العصر بلغ من التأثير، في مختلف جوانب الحياة والحضارة، ما بلغه التصوير بمختلف فنونه: الضوئي والسينمائي والتلفازي، ولاسيما في مجال الاتصالات الحديثة المتطورة، التي حوَّلت العالم، كما يقولون، إلى قرية صغيرة، يتواصل أهلها صوتاً وصورة. ويتبادلون التأثير والتأثر. فالمستقبلات الفضائية وشبكة الإنترنت، كل من هاتين الوسيلتين تعتمدان على فن التصوير بالدرجة الأولى، وقد أتاحتا المجال للإنسان أن يتصل بغيره، فيأخذ ويعطي، ويؤثِّر ويتأثَّر.

وهل بقي من يجهل مدى تأثير هذا الفن في مجال الإعلام والدعاية؟ أو مدى تأثيره في مجال التعليم والوسائل التعليمية؟ أو في مجال عرض الفنون المختلفة، والأفكار والتصورات؟ أو في مجال الأمن في مختلف المجالات، الحكومية منها وغير الحكومية، أو في المجال العسكري والمجالات الاستراتيجية، أو في مجال التربية والدراسات الاجتماعية، أو في مجال الاقتصاد والتسويق... إلخ.

لقد غدا من الواضح لكل من يهتم في مجال التعليم والسياسة والدراسات الاجتماعية مدى تأثير هذا الفن، وتطوره السريع، على الحياة الاجتماعية، والأخلاق، وانتشار الجريمة والعنف، وكذلك تأثيره على انتشار الأفكار والمفاهيم الصحيحة والباطلة، الخيرة والشريرة، في أرجاء الدنيا، دون حواجز أو موانع مجدية.

إننا بمقدار ما نقدِّر أهمية هذا الفن بالنظر إلى فوائده وآثاره الإيجابية، في مجالات التعليم والطب والدعاية والإعلام والأمن والدفاع، والتربية... وغير ذلك، فإننا يجب أن نقرَّ أيضاً بمدى خطورته وآثاره السلبية، على الخلق والفضيلة وتربية المراهقين واتزانهم السلوكي، بل مدى تأثير هذا الفن على الأمن وأثره في انتشار العنف بمختلف أسبابه وعوامله. ومدى تأثيره أيضاً على تماسك الأسرة واستقرارها.

فما موقع هذا الفن من ميزان الأحكام الشرعية في الإسلام؟

إن الحكم على التصوير المعاصر ليس مترتباً على مجرد الضغط على زر التصوير في هذه الآلة، أو توجيه عدسة آلة التصوير التلفازية، وتحرك شريط التسجيل فيها، إن الحكم هنا إنما يترتب على مجال الاستخدام.

إن مجال استخدام هذا الفن، قد يكون أمراً تقتضيه الضرورة الأمنية وسلامة الأمة والمجتمع، وعندئذ يغدو واجباً دينياً تفرضه علينا شريعتنا. كما أن استخدام هذا الفن لتعليم طلاب الطب وعلوم الحياة مثلاً، واجب ديني لأن تعلم هذه العلوم واجب. و«ما يتم الواجب إلا به فهو واجب»(٨)، ويقول القرافي في«أنوار البروق»: «القاعدة الشرعية أن جواب الوسائل تبع لوجوب المقاصد ولأن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب».

وبالمقابل، فإن استخدام هذا الفن في بعض المجالات يغدو عملاً محرماً، إذا أدى هذا الاستخدام إلى فساد ومنكر. فالقاعدة الشرعية تقول: (ما أدى إلى حرام فهو حرام)، أو كما في عبارة أخرى: «ما أدى إلى معصية فهو معصية»(٩).

لا مانع من تزويد العملية التعليمية بمجسمات لبعض الأحياء على سبيل التعليم والشرح

إن الإسلام ليؤيد كل ابتكار جديد، ويحث على ابتكار الجديد، لأنه مقتضى تسخير الله الكون لخدمة الإنسان، قال الله تعالى: (سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً

منه) وهو مقتضى ممارسة الخلافة التي عهد الله بها إلى الإنسان، إذ قال: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)، مشيراً إلى الإنسان، وكذلك هو مقتضى الالتزام بواجب التعلم، إذ كانت أول آية أنزلها الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تأمر بالقراءة (اقرأ باسم ربك الذي خلق)، وميَّزه بهذه المزية على من سواه، في نصوص القرآن والسنة، لأن العلم مفتاح القوة والحضارة والعمران. تلك الأمور التي طالب الإسلام الإنسان بحسن الإعداد لها والتعامل معها.

لذلك كله، فإن الحكم على التصوير إنما ينبني على الموضوع الذي يتم تصويره، وما يترتب عليه من مصالح معتبرة في ميزان الشريعة الإسلامية، أو ما يترتب عليه من مفاسد، ولعلنا نستطيع أن نقول إنه يمكن أن تعتريه الأحكام الخمسة باعتبار الموضوع الذي يتم تصويره، إذ قد يكون حراماً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون مباحاً، كما قد يكون مندوباً أو واجباً.

وبناء على ذلك، فإن من واجب المسلمين أن يوظفوا هذا الفن لتحقيق الأهداف المطلوبة شرعاً، بحيث يوطد تقدمهم العلمي، ويضعهم في الموقع الصحيح من هذا العالم، ولن يتحقق ذلك إلا بشعور قوي بالمسؤولية، وتقدم علمي تقني، ووعي يمكِّنهم من حسن توظيف هذه التقنيات لما يحقق أهدافهم في الحضارة والتقدم. وهذا التوظيف، في الوقت ذاته، يمكن أن يوجد بديلاً راقياً ونظيفاً عن تلك الاستخدامات الهابطة والسيئة التي من شأنها أن تدمر أخلاق أمتنا. إن من شأن التوظيف الصحيح لهذا الفن أن يقدم بديلاً جاداً نظيفاً ينتفع به المسلمون وغيرهم. سواء في مجال العلم أو الثقافة أو الفن أو غير ذلك.

كما أن من المهم أن يكون للمسلمين حضور في شتى المواقع الإعلامية، التي يمكن أن تحقق التواصل الحضاري بينهم وبين الآخرين. ليكون ذلك سبباً لحوار جاد، يحقق فهم كل من الطرفين للآخر. وهو شرط اللقاء النافع، الذي من خلاله يحقق المسلمون للآخرين الرؤية الواضحة الصحيحة، في وقت أصبحت فيه الرؤية غائمة، بسبب عدم تحقيق هذا التواصل الصحيح.

لقد غدا التصوير، من خلال وسائل الاتصال الحديثة، لغة جديدة تتواصل الأمم من خلالها وتتحاور. لقد غدا لغة تنسج العلاقات التجارية والفكرية والحضارية. وتبني من خلالها - فيما لو أرادت - حواراً جاداً حول مختلف القضايا المهنية لتحقيق سعادة الإنسان كل إنسان.

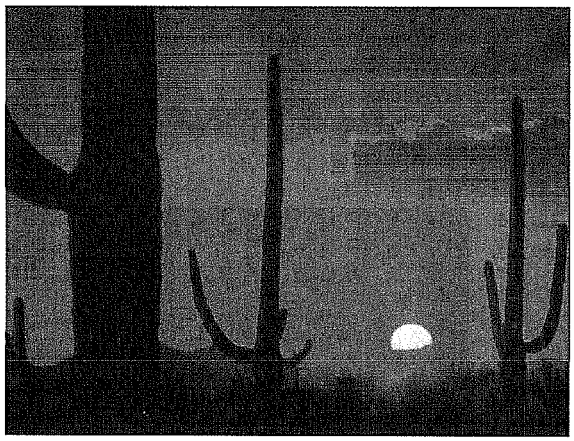

والمهم هنا أن نؤكد على أمور:

إن علينا أن نتجنب ونجنب أبناءنا وبناتنا وسائر شباب هذا الجيل مفاسد الاستخدام السيئ لهذا الفن، المتمثلة في البرامج الهابطة الرخيصة، التي من شأنها أن تسيء إلى تربية الشباب، وتزجهم في جو من الإثارة، وترمي بهم في ضياع سلوكي ونفسي. إن تلك البرامج هي مجرد ممارسات دنيئة منحرفة، نقلتها وسائل الاتصال الحديثة من أقبيتها العفنة إلى كل بيت من خلال شاشة التلفاز أو الحاسوب.

وإن علينا أن نضع أمام أبنائنا وبناتنا البديل الصالح الذي يسمو بهم إلى الخلق والفضيلة. ويرشدهم إلى السلوك القويم، سواء تجاه الأبوين، أو تجاه سائر أفراد الأسرة والمجتمع. ويدفع بهم إلى الجدية في الحياة والتعليم والعمل. وأن نجعل من هذا الفن أداة بناء لا أداة هدم، وأداة إصلاح لا أداة إفساد. حتى يغدو هذا الفن رديفاً فعالاً للمدرسة وأهدافها السامية، ومساعداً للأسرة في رعايتها لأبنائها وبناتها وتوجيههم الوجهة الصالحة. وعامل إصلاح لتكوين شخصية متزنة إيجابية رشيدة.

إنني أقترح تكوين فريق عمل مؤلف من تربويين وخبراء مبرمجين في مجال الكومبيوتر والتصوير التلفازي، وباحثين في مختلف الاختصاصات، وعلماء في الشريعة الإسلامية، لوضع برنامج عمل يزود مكتبة الكومبيوتر والمكتبة المرئية لبرامج الفيديو، لإغناء المكتبة الحديثة ببرامج منضبطة بالأصول الشرعية، تُقدَّم للناشئين ومختلف الطبقات البرامج المفيدة سواء في مجال الفكر أو الأخلاق والسلوك، أو في مجال الثقافة والعلوم.

لقد رأيت الكثير من البرامج الحاسوبية وأفلام الأطفال والبرامج الفكرية الممتعة والمفيدة، وما زلنا بحاجة إلى المزيد من أجل أن نملأ الفراغ الذي نشأ عن غياب الفاعليات الخيِّرة في هذا المجال.

إننا بحاجة إلى تضافر الجهود الخيِّرة الجادة لنغني المكتبة الإسلامية، من أجل المسلمين وغير المسلمين، لتكون البيان الصحيح لحقائق الإسلام ومبادئه، وقيمه الأخلاقية، التي من شأنها أن تنقذ شعوب العالم من كثير من المعاناة بسبب غياب الأخلاق الفاضلة، والمبادئ الإنسانية السليمة، التي تنهض بهذا العالم إلى المستوى الإنساني اللائق.

وأخيراً أقول: إن الإسلام لايقف في طريق الفن، ولا يعترض تذوق جمالية هذا الكون. ولكنه يصعد به إلى مستوى توظيفه توظيفاً صحيحاً، يخدم سعادة المجتمع الإنساني وحضارته ●

استخدام هذا الفن في بعض المجالات يغدو عملاً محرماً إذا أدى إلى فساد ومنكر

جورج قرم أنموذجاً

قضية الإسلام والغرب من منظور علماني...!



بقلم:
عطية فتحي الويشي

كثيراً ما يميل بعض الناس إلى الإشارة بأصابع الاتهام قِبَل الغرب؛ إما بالتواطؤ على قضايانا العربية والإسلامية... أو بالتورُّط والضلوع فيها بصورة أو بأخرى... كما في فلسطين والبلقان والشيشان، وتيمور الشرقية، والفلبين، وجنوبي لبنان والسودان، فضلاً عن ملف الصحوة الإسلامية... بما يحتويه من غرائب ومفارقات... وهذه قضايا بطبيعتها الخاصة ذات أبعاد حضارية تستقطب بال الرأي العام العالمي، وتأخذ بتلابيب اهتماماته نحو الخوض فيها وطرحها بكل أبعادها عبر الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية والأبحاث العلمية... لقياس ردة فعل الشعوب العربية والإسلامية تجاه القضايا، التي تتداعى أحداثها وتتسارع يوماً بعد يوم... حتى لتصيب التوجهات العلمانية خاصة بخيبة أمل قوية إزاءها...!

فعلى الرغم مما تتبنَّاه هذه التوجهات من منهجية عجيبة... وما ترفده من محاولات يائسة رمياً إلى تغطية كل ما يُثار من مطروحات غريبة بشأن إشكالية تصادم الحضارات بملابس أيديولوجية لا تستر سوأة...! لكن بؤراً للصراع ما تكاد تنخمد إحداها في مكان ما من هذا العالم المترامي... حتى تنفجر أخرى مثلها في مكان آخر، الأمر الذي صار مبعث حرج بالغ ومثار جدل نفسي مرير إزاء هذا الطالع العلماني النكد!! وهو ما يزيد مؤسسات الفكر الاستراتيجي الغربي يقيناً بعجز النخب التغريبية عن مواصلة دورها التقليدي في تخدير الوازع الحضاري لدى الأمم الحضارية غير الغربية - والإسلامية بصفة خاصة.

يرى الدكتور: جورج قرم أن «التركيز السائد في الغرب - وفي كثير من أنحاء العالم العربي - حول الدين والقضايا الحضارية: لن يقود إلى شيء، وهذا الخطاب لن يؤدي إلا إلى تعزيز الموقف المركزي لإسرائيل في الرؤية الغربية للمنطقة، بينما يشجع في الوقت ذاته ردود الأفعال المعادية للغرب ذات الطابع الإسلامي» أهـ.

والرجل بذلك يريد أن يقدم رؤية مقاربة علمانية لما يمكن أن ينبغي طرحه من حلول بشأن حسم قضية الصراع بين الغرب والإسلام، على ألا يزيد طرق هذا الموضوع الغريب، فيأخذ أكثر مما يستحقه... وتودع ملفاته سلال المهملات... ونحن وإن كنا نشاطره الرأي في ضرورة البحث عما يسبر غور العلاقة التاريخية بين الغرب والإسلام، وينفي عنها خبث التصادم والاحتكاك... لكن مناط الاختلاف حول ما يقدمه من تصور شخصي - أو قل: واحدي - لا يعكس غير وجه من القضية، ويتجاهل العناصر الأساس فيها.

فهو من جهة يدرك أن القاعدة العريضة في العالم العربي: مسلمة، تحب دينها، وأن تجاوب هذه القاعدة مع مؤسسات الإحياء الإسلامي والتجديد لا يرتبط بمؤسسات حزبية أو بأهواء أيديولوجية أو منافع ذاتية... إنما هو تجارب، ينم عن الوحدة المعتبرة شرعاً بكتاب الله... ثم إنه في الوقت ذاته لا يكتفي بتجاهل أي اعتبارات دينية لدى هذه القاعدة العريضة، وخصوصاً أنها تزعم أن بجعبتها مقررات إسلامية حاسمة لفض إشكالية تصادم الحضارات. بل لا يعبر باله إزاء جهود مؤسسات ومعامل الفكر الغربي - وفي الولايات المتحدة على وجه الخصوص، وهي تصبحنا وتمسينا بوابل النظريات وسيل المطروح التي تؤصل العدوانية، وتثير الفتن والأحقاد بين الحضارات.. فإن كان ثمة حل لديه ومخرج... فمن قبيل تكريس العلمانية كخيار استراتيجي مناسب.

وعلى جانب آخر، فإن مفهوم جورج قرم للمقاومة الإنسانية عامة - والعربية خصوصاً - تجاه إشكاليات الهيمنة - العولمية - في معادلة العلاقة بين الإسلام والغرب: لم يخرج عن الإطار المفاهيمي نفسه الذي تُدار في مساراته القضية الفلسطينية... فهو يتحدث عن تصوره لطبيعة هذه المقاومة المأمولة قائلاً: «ويمكن أن تتفتح سبل جديدة من الأمل والمقاومة في العالم العربي، فقط عبر تزاوج بين انبعاث مقاومة علمانية لمشكلات المنطقة، وطرح مطالب واضحة بشأن الديموقراطية والتضامن العربي، ولكن عدداً قليلاً من المثقفين العرب يتجرأ على التصريح بآراء علمانية... فالحقوق الفلسطينية هي قبل كل شيء حقوق علمانية، وليست حقوقاً دينية مهما كانت زاوية النظر إليها» هكذا...!

نعم، إنها الحقائق تعبر عن نفسها، لتعكس فكر التعايش وفلسفة الجوار الأيديولوجي لدى النخب العلمانية... إن مثل خطاب جورج قرم، هو خطاب الانهزام الذي تُقدَّم في سياقاته قضايانا المصيرية على بسط الطرح التفاوضي، فتؤول إلى البوار والخسران...!! ومن ثمَّ لم يكن غريباً أن تدفن حية، ويلحقها التساوي والخذلان...!

والدكتور «جورج» هنا لا يتوقف عند نفيه

التركيز السائد في الغرب حول الدين والقضايا الحضارية لن يقود إلى شيء

الصحوة الإسلامية وحسب، فتأخذ مكانها في ثلاجة التاريخ... بل لا يعنيه - ولا يعينه أو يلزمه - ما تبديه الشعوب الإسلامية من عاطفة تجاه القدس وفلسطين، تلك القضية التي تجسّد أبرز صور وأوضاع الصراع الحضاري بين الصهيونية الغربية والإسلام... كأنه يريد أن ينفرد الغرب بقصعة القضايا العربية، التي تفتقد القيِّم الأمين، إلا من رحم الله، ونسي أن أول صيحة تحذير ترهيباً من ضياع فلسطين - فضلاً عن أن أول قطرة دم.... وآخر صرخة استغاثة لأجل القضية... أطلقتها حناجر إسلامية - عربية وغير عربية... والحقيقة التاريخية القريبة تعلمنا أن أشهر من تصدوا دفاعاً عن القدس وفلسطين لم يكونوا عرباً - أقربهم عبدالحميد الثاني السلطان العثماني المسلم، رحمه الله، الذي حدد بحسه الأصيل: الإطار الأخلاقي للتعامل مع قضايانا الحضارية بعيداً عن المزايدات والمغالطات... يوم أن جاءه الصهاينة يبتاعون أصالته ومبادئه ومواريثه الحضارية، فأجابهم بلسان المؤمن الصادق الأمين على قضيته: «إن فلسطين ليست ملكاً لي، وإنما هي ملك لكل المسلمين، فمن أراد قطعة منها فليستأذن كل المسلمين، أهون عليَّ أن يقطع لحمي ولا تقطع قطعة من فلسطين»!!.

ثم يتحدث «جورج قرم» عن قلة الجرأة لدى المثقفين والمفكرين العرب بشأن التصريح بآراء علمانية، فهل الرجل غير قانع بقرن من الزمان مضى شهيداً على أمتنا العربية وهي تُدار بآلية علمانية؟!، أم أن فيما وراء سطور الرجل: استمهال للعرب إلى حين البت في قضية فلسطين بتاً علمانياً على طريقة «كلاكيت ألف مرة»، إنها تمثيلية مضحكة، لم تعد تنطلي على أحد!!.

ويبدي «جورج قرم» تبرمه بما يكون من بعض العرب والمسلمين، من ولع بتناول ما يعنُّ للأمة من قضايا ومشكلات وفق المنظور الإسلامي.... خشية تعقدها واحتمال فشلها، مع علمه بأن هذه المحاولات الإسلامية لم تجاوز في مجملها - تحت حصار العلمانية - نطاق الاقتراحات، بعدما ران على هذه القضايا هذا الأمد العلماني الطويل، ومن ثمَّ فهو لا يقبل أن يعلو صوت فوق صوت مثقفي السلطة العلمانيين سواء في الدائرة المحلية الضيقة، أو في الدائرة القومية الإقليمية، أو في دائرة العولمة الكبرى إزاء القضايا الحيوية، ناصحاً إياهم ألا «يقبلوا مناقشة معتقداتهم وتعاليمهم الدينية كبديل لمناقشة مبادئ القانون الدولي والأخلاق».

وإنَّنا لا ندري: متى أنصف القانون الدولي قضايانا المعلقة؟! لقد أثبتت الوقائع المعاصرة أن القانون لا ينتصر للضعفاء والعاجزين من القابعين تحت جبروت الهيمنة، إلا إذا توافرت لدى أهل هذا القانون مؤشرات عمَّا يمكن أن تعرض لهؤلاء الضعفاء والمظلومين من أسباب القوة والحياة فينتصرون لأنفسهم بعقيدتهم... وهنا لا مجال لنفي الإحساس الإسلامي بهذه القضايا وتفاعله بها حتى أبقاها حية في الضمير الإنساني بعامة، ولدى من يفترض أنهم أصحابها بصفة خاصة!!.

إن الحقوق الإنسانية لا تكتسب قيمتها الحقيقية، ما لم ينبثق من

الحقائق تعبر عن نفسها لتعكس فكر التعايش وفلسفة الجوار الأيديولوجي لدى النخب العلمانية

نواة عقدية، وإلا صارت نسبية من الممكن المفاصلة عليها إذا ما لوَّح ببديل عنها، قد يكون ملائماً لفئة دون فئة، وزمان دون آخر.. وهو ما يجسِّد حالة من الظلم.. قد يمثل الإفصاح عن الشعور به والتنفيس عنه: خروجاً على الشرعية، وخرقاً لمبادئ القوانين التي يسمونها دولية... والخارج غالباً ما يكون إرهابياً مسلماً!.

والغريب في هذا السياق أن هناك شبه إجماع داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية على الشعور بيد الهيمنة وهي تتحسس مواضع عفتنا الحضارية، وبلسانها الذي ينبسط بالسوء إلى عقائدنا وثوابتنا التي هي رمز كرامتنا ومعقد خلاصنا... لكن فريقاً من الناس يرى ألا حل دون مواجهة الأمر بمثله: العقيدة بالعقيدة، والعلم بالعلم، والقوة بالقوة، فنظل مرهوبي الحمى. أما الفريق الآخر فمفرط في حسن ظنه، إذ يعتقد بأنه ليس بالضرورة أن يكون ذلك المد سيء القصد عدوانياً... فلربما انتزع من أحشائنا مضغة الخمول والضعف والانحطاط، فنلحق بالآخر ونحاكيه ونتقدم!، أما الفريق الثالث: فيرى أن إسراف الحديث بشأن مفاهيم الخصوصية الحضارية والحرية والعفة والكرامة... هو من لغو الحديث عن أمور مبالغ فيها، وأنها نسبية، ربما كرَّست الحساسية الحضارية، ووطنت الكراهية بين الأمم والشعوب الإنسانية، ولا سبيل سوى الانخراط في المسيرة تابعين.

ولعل الحلقة المفقودة في معادلة الفكر العلماني بشأن علاقة الغرب بالإسلام في زمن العولمة: أن بعضهم يغفل - وبعضهم الآخر يتغافل - عن واحدة من أبرز الخصائص الكبرى للعقيدة الإسلامية: وهي العالمية باعتبارها خاتمة الرسالات السماوية التي تبلور المهام الأساسية للإسلام في دنيا الوجود - من لدن الأنبياء جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها - وهي رفع الظلم بكل صوره من أرض الله... وإقرار الحق والعدل والحرية، بما يتسنى من وسائل مشروعة، وفي مقدمها آلية التدافع: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) البقرة:٢٥١، ذلك فضلاً عن رفع مستوى الشراكة الحضارية بنسب عادلة تحقق التكافؤ المنشود الذي يزيد الحياة الإنسانية ثراء ويكسب حركتها اتزاناً وإيجابية.

ولعل اهتمام النخب العلمانية في العالم العربي بقضية العلاقة بين الإسلام والغرب: هو شيء عارض، فرضته طبيعة المرحلة التي لم يجد خلالها أولئك المثقفون بداً من الاشتغال به بعد انكشاف العورات في حال القفز المتسارع بين معاقل الأيديولوجيا... ففي أول النهار اشتراكيون. وبعد الظهر: ليبراليون. وفي الليل: يمين الوسط، أما حين قدَّر لصبح العولمة أن ينفلق: فرأسماليون حتى أطراف أصابعهم!! ●

(*) باحث لبناني - سوريوني - في مجال الاقتصاد السياسي - يعيش في الولايات المتحدة منذ مطلع الثمانينيات - صدر له بالعربية عن دار النهار ببيروت دراسة بعنوان: «تعدد الأديان ونظم الحكم»، وله دراسة بالإنجليزية عنوانها: The LONDON HOTCHISON MERIP. NO 208 VOL 28 NO3. FALL 1998.P. 16.

حاوره: أحمد مصطفى حسن

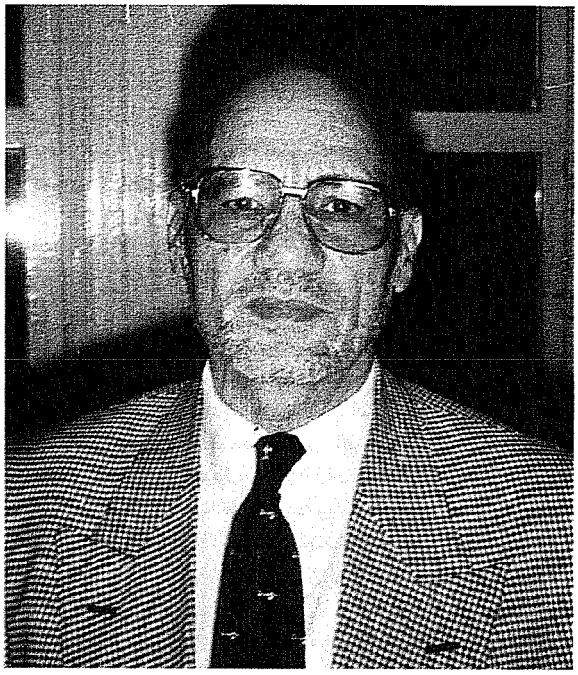

أخيراً اختير الدكتور حسن الشافعي رئيساً للجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد في باكستان، وهي الجامعة المعروفة بنشر المعرفة الإسلامية بمشاركة دول عربية وإسلامية عدة.

والدكتور الشافعي عمل من قبل في الجامعة الإسلامية، وسبق أن تولى رئاسة قسم الفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، وله الكثير من المؤلفات التي تتناول صحيح الفكر الإسلامي المستنير.

وحول طبيعة وأهداف الجامعة الإسلامية العالمية، التقت مجلة «الوعي الإسلامي» الدكتور الشافعي، الذي تحدث أيضاً عن تعاون الجامعة مع نظيراتها في العالم الإسلامي، إضافة إلى قضايا أخرى، جاءت في الحوار التالي:

د.حسن الشافعي رئيس الجامعة الإسلامية في باكستان:

الفكر الإسلامي لايعاني أزمة.. ولا معاصرة من دون أصالة

● د.حسن كيف ترصدون طبيعة الأهداف التي أقيمت من أجلها الجامعة الإسلامية في إسلام أباد، ودورها في نشر المعرفة الإسلامية في مختلف مجالاتها بين الدارسين الوافدين إليها من دول العالم الإسلامية؟

- بدءاً أشير إلى أن الجامعة تأسست في أواخر السبعينيات نتيجة تعاون الدول العربية والإسلامية، وإسهاماتها في نشر العلوم الإسلامية المختلفة.

وكان البدء في كلية الشريعة على مستوى الماجستير في العلوم الشرعية، ثم تطور الأمر إلى أن صارت جامعة كاملة تضم عدداً من الكليات.

وتعتبر كلية الشريعة أول كليات الجامعة التي انشئت، وبعدها نشأت كليات أصول الدين ثم اللغة العربية، والاقتصاد، ومعهد الحاسبات والكمبيوتر.

إضافة إلى الكليات، هناك مؤسسات أخرى تضمها الجامعة وهي أكاديمية الدعوة وتدريب الدعاة، وكذلك تدريب القضاة لتدريس الفقه الإسلامي ومقارنته بالقوانين الوضعية، إضافة إلى مجمع البحوث الإسلامية أو الجناح البحثي للجامعة، ويصدر الأبحاث في التراث، ويتناول حلول المشاكل المعاصرة، وعقد الندوات والمؤتمرات.

● د. حسن وماذا عن طبيعة التعاون بين الجامعة والجامعات الإسلامية الأخرى، مادامت هناك مشاركات متعددة في الجامعة الإسلامية؟

- التعاون موجود بين جامعة إسلام أباد والجامعات الإسلامية الأخرى، وبخاصة في العالمين العربي والإسلامي، فالدول الإسلامية تدعمها مادياً وتعير لها المدرسين والأساتذة حرصاً منها على تطوير رسالة الجامعة الإسلامية التي تهدف إلى نشر المعرفة الإسلامية في ضوء مستجدات الواقع المختلفة، وتسعى إلى تقديم صحيح الدين الإسلامي وإبراز وسطيته.

● هناك اتهام موجه إلى الجامعة بأنها محرضة على أعمال العنف والتطرف في دول العالم الإسلامي، فما ردكم على هذه الاتهامات؟

- هذا اتهام لا أساس له من الصحة، وهنا أتساءل: كيف يمكن للجامعة أن تحرض على أعمال العنف والإرهاب، وهي مؤسسة من قبل الجامعات والدول الإسلامية؟

إن الجامعة الإسلامية تزخر بعدد من أعضاء التدريس المستنيرين، الذين يفهمون صحيح الدين بعيداً عن التشدد والغلو، فهدف الجامعة هو نشر ألوان المعرفة الإسلامية، وإعداد جيل من الدارسين يعتمد في تطبيقه الدنيوي الأسلوب الإسلامي الصحيح، بعيداً عن الغلو والتشدد.

● ذكرتم أن الجامعة تستعين ببعض الدارسين في الجامعات الإسلامية الأخرى، إلا أن الملاحظ أن بعض المناهج يشوبها الضعف، فهل تفاديتم ذلك في تدريس مثل هذه النوعية من المناهج في الجامعة الإسلامية العالمية؟

- نحن نسعى - كما ذكرت - إلى نشر المعرفة الإسلامية بروح العصر، ومن ثمَّ نحرص دائماً على التطور والتجديد والتحديث، فنحن في حال مزج دائم بين الطابع الأصيل للمناهج، وبين تحديثها في إطار من الأصول الإسلامية، وذلك بهدف إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات التي تواجهنا والواقع الذي نحياه.

فوارق الحضارات

● في ضوء المقارنات التي تقوم الجامعة بتدريسها بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، كيف ترى أهم الفوارق بين الحضارتين الإسلامية والغربية؟

- لا أرى أن هناك حضارة أعطت للإنسان المكانة التي يستحقها أكثر من المكانة التي منحها الإسلام للإنسان، إضافة إلى تفريقها بين الجنس في اللون وفي الشكل أو الموقع الاجتماعي. كما أن الشريعة الإسلامية تلزم المسلم أن يدفع الظلم عن الآخرين، والاستجابة لنجدة الملهوف. ونعتبر ذلك واجباً عليه وهذا ليس للمسلمين فقط، بل لغيرهم أيضاً، إذاً فكرة التواصل الإنساني وما يعبر عنه بحقوق الإنسان أكثر تأصلاً في الحضارة الإسلامية من الحضارات الأخرى، بالرغم من الشعارات التي ترفعها.

أما الحضارة الغربية فهي تتوجه إلى الماديات وليست ممن يقولون إن الحضارة الغربية هي مادية أولاً، ولكن هذه الحضارة فيها جوانب روحية وليس هذا موضع حديثنا، فلسنا أغير عليها من أصحابها، إنما إنصافاً وموضوعية فهي ليست مادية صرفة، ولكن فيها بعض الجوانب الروحية، ولكن أقل ضموراً وأكثر ازدهاراً في جوانبها المادية.

ولا شك أن الحضارة الإنسانية تتجه حالياً إلى الماديات بالدرجة الأولى، وأنها تهتم بالتكنولوجيا على حساب الإنسان، أي أن الأدوات والأشياء أصبحت تحاصر الإنسان نفسه، فهو لا يستغني عنها، بل تستهلك حياته، وكان أولى أن تعطيه هذه الأشياء فرصة للتأمل، ولكنها في الحقيقة تستهلك وقته واهتمامه.

● ولمناسبة الحديث عن الحضارات، في تقديرك ما المقومات التي ينبغي أن تقوم عليها الحضارات، والضوابط الحاكمة لها؟

- الحضارة كلمة واسعة لكن هناك ثلاثة أمور ربما يؤدي مزج كل منها بالآخر، إلى تقريب المعنى، فهناك ثقافة مدنية، وهي تعتبر حضارة... والآراء فيها متعددة، وإذا شئنا التبسيط فلنأخذ على سبيل المثال المدنية وهي التغيير المادي في واقع الحياة الإنسانية وأبسط الصور في ذلك تحويل حياة البداوة إلى مدنية، فهي تتناول الجانب المادي والكيانات الملموسة.

أما الثقافة فتتعلق - افتراضاً - بالجوانب الروحية والفكرية والوجدانية المتصلة بجوانب تذوق الجمال وتهذيب النفس ومجموع الأمرين «المدنية والثقافة» هو الحضارة.

وإذا كانت الحضارة راسخة بالأصول من حيث الكيانات المادية والفنية، ومن حيث الغذاء الوجداني والثقافي، فتلك حضارة ناضجة، وتلبي حاجات الإنسان.

أما إذا كانت الحضارة تُعنى بجانب على حساب آخر، أو تهمل الجوانب كلها، فتلك حضارة معيبة، وناقصة ولا تلبي حاجات الإنسان.

الفلاسفة وقضايا المجتمع

● باعتبارك أحد الفلاسفة الذين ترأسوا قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، هناك اتهامات موجهة إلى الفلاسفة بأنهم يهتمون بقضايا جدلية منفصلة عن الواقع، وأنهم لم ينفعلوا بقضايا المجتمع، فما رأيك في هذا الاتهام؟

رجل الفكر لا يعيش في برج عاجي بعيداً عن المجتمع وقضايا أمور الناس الحياتية

- أؤكد أن رجال الفكر والفلسفة لا يعيشون في برج عاجي بعيداً عن المجتمع وقضايا أمور الناس الحياتية. فالمفكر والفيلسوف رجل من رجال المجتمع، إنسان يعيش هموم واقعه الإسلامي، وذلك من خلال استقراء الواقع الإسلامي والتراث الإسلامي أيضاً، فهو التراث الذي تركه لنا الأجداد وهو عقل الأمة وذاكرتها وأمة بلا تراث لا حضارة لها.

وإذا كانت الأمم تحاول أن تعثر على جذورها الفكرية من خلال تراثها أفلا يكون من باب أولى أن نبحث نحن عن روائع تراثنا الفكري، وهذا مجال الحضارة، حيث ينقسم تراثنا إلى قسمين الأول: علمي والثاني: أدبي وفكري. ولا شك أن تراثنا الإسلامي الفكري بفروعه المتعددة من علوم للحديث وعلوم للقرآن وعلوم للفقه وأصوله وعلوم الشريعة، فضلاً عن علوم اللغة وعلوم الأدب، من شعر وغيره، فإنه مطلوب تحقيق كل هذه الأجزاء، وهذا دور يقع على كبار الفلاسفة والمفكرين.

المفكر الإسلامي

● بعضهم يرى أن الفكر الإسلامي يعاني أزمة في التطبيق، فما وجهة نظركم للدور المطلوب من المفكرين الإسلاميين للتغلب على هذه الأزمة؟

- أرى أنه ليس من الضروري أن نطلق كلمة أزمة على الفكر الإسلامي، وإن كان تنفيذ الفكر وتطبيقه ليس على المستوى المطلوب. ولذلك فأنا لا أرحب بكلمة وجود أزمة في الفكر الإسلامي، وحتى لا نتوقع الكثير منها، فرؤية الأزمات والحديث عنها يؤزم النفس أكثر مما هي عليه، وقد يحول دون بذل المساعي للخروج من تلك الأزمة.

دعنا نقول: إن الفكر الإسلامي لا يواكب طموحات ورغبات واستعدادات الشعب المسلم، فهذا الشعب يتطلع إلى الكثير من المستويات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والفكرية، وما يقترحه من مؤسسات أو آليات لتحقيق تلك الطموحات لتلبية رغبات الجماهير المسلمة.

ولا شك أن هذه مسؤولية مفكري وعلماء المسلمين، وكل مخلص لهذه الأمة لكي يعمل الجميع على مواجهة المشكلات الحقيقية التي يشهدها المجتمع الإسلامي، ويواكب الطموحات والمتغيرات.

● ولكن... هناك بعض الأصوات التي تدَّعي أن الفكر الإسلامي يعاني من الجمود والتخلف، وأنه بحاجة إلى التجديد ومواكبة العصر، فما رأيكم؟

- هناك ولا شك مظاهر سلبية كثيرة في تطبيق الفكر الإسلامي المعاصر، وقد نوافق على بعض جوانب الجمود في التطبيق، ونعتبر هذه من السلبيات، ولكن أنا أتهرب من مصطلح الأزمة فقط، لأننا إذا أردنا أن يتخلص الفكر الإسلامي من مظاهر تطبيقاته السلبية، فيجب ألا نطلق مصطلح الأزمة وتعددها، وبالتالي ندخل في أزمة لا فكاك منها.

● كيف ترى الإشكالية الدائرة حالياً بين الأصالة المعاصرة، وفض الاشتباك بينهما في الفكر الإسلامي؟

- أؤكد أن الحديث عن ذلك هو أمر مثار منذ أكثر من قرن، فكيف نقول إن هناك أزمة معاصرة بين الجانبين، ثم إنها أزمة نسبية، أي في كل وقت وفي كل عقد من عقود الزمن قد نجدها.

من المعروف أن المعاصرة لا تغني من دون أصالة، فنحن بحاجة إلى إعداد العدة، لا لكي يواكب الفكر الإسلامي متطلبات الشارع الإسلامي فقط، وإنما لكي يواكب القيم الحضارية الإيجابية للعصر، فهذا مطلب ملحٌّ الآن ●

وجهة العالم الإسلامي
الأزمة والخروج

بقلم: عبدالرحيم شرافي

فاضت دفاتر هذا العصر بما سجلت وتسجل من معاناة العالم الإسلامي، فكثيرة هي هموم المسلمين في هذا العصر. متشعبة ومحزنة!! ولا أخال مسلماً صادق الإيمان مهتماً بأمر المسلمين - ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم - ينفي عن نفسه الإحساس بضغط هذه الهموم على شعوره ووجدانه، بدءاً بالتجزؤ والفرقة - التخلف العلمي والتقني - الفقر والتخلف الاقتصادي - ونهاية بضياع الوطن والأرض.

وأمام هذا المأزق التاريخي الحرج الذي يمر به العالم الإسلامي يظل السؤال المحيِّر!!

عند أي واحدة من تلك الهموم يكمن منبع سائر المصائب والمحن والأذى حتى تعرف نقطة الانطلاق. فبمعرفة الداء يُعرف الدواء؟.

من أين المنطلق؟

إن العالم الإسلامي لو بقي قروناً متطاولة وهو يعالج هذه الهموم، فرادى لما جاءت جهوده بأي طائل، لأن جذور المعضلة وأساس المحنة مرد المصائب جميعها - ما ذكر منها وما لم يذكر - التي حاقت بالعالم الإسلامي والذي يتمثل في أن الأمة الإسلامية تعيش اليوم فاقدة لهويتها وضالة عن ذاتها!!. أي أن المشكلة - ضياع الذات - في أي قاموس لغوي نجد أن هذه الكلمة سهلة وبسيطة، ولكنها في الحقيقة هي ينبوع البلاء وجرثومة الفساد التي نتجت منها كل الهموم السابقة!!.

والجواب الذي يبدو بدهيا للسؤال، من أين المنطلق؟!

إنه: من العودة إلى الذات!

ولكن بعد أن أخرجت الحضارة الغربية كل البشر من قواعدهم الذاتية يأتي السؤال المنطقي؟! أي ذات؟

إنها ذات الإسلام المعتقد وأسلوب الحياة...



وعلى أثر الواقع الذي يُعاش وليس بخاف على أحد أن التساؤل كالسهم من كل ذي عقل؟

الإسلام!! هكذا فحسب؟!

إن الإسلام المطروح الذي نعنيه هو إسلام:

١ - القرآن الكريم.

٢ - سنَّة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولا يتأتى ذلك من أجل العودة إلى ذات الإسلام إلا بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: بناء ذات الفرد المسلم.

المرحلة الثانية: بناء المجتمع الإسلامي.

المرحلة الثالثة: العمل على قيام إسلام عالمي.

المرحلة الأولى

تتعلق بالفرد المسلم وبناء ذاته الثورية. ليس المقصود ببناء الذات أن ننفصل عن العصر، وننفصل بالعلاقات الموجودة بين الذات والمجتمع لأن القيام ببناء الذات يستوجب الاعتراف بأن: الإنسان صاحب دور في مسيرته التاريخية وفي تغيير نظامه الاجتماعي وليس ذلك من تداعي الأفكار عن عبادة الفرد، بل ما نقصده هنا هو الاعتقاد بوعي الإنسان وإرادته واعتبارهما علة في مسيرة التاريخ الجبرية والتطورات الاجتماعية وهي في حد ذاتها تعتمد على القواعد العلمية وعلى الأسباب والعوامل المادية وهذه هي العلاقة القائمة نفسها بين الإنسان والطبيعة.

فكما نرى في مجال الطبيعة أن الإنسان بعمله العلمي يستطيع أن يغيِّر الطبيعة فإنه يستطيع عن طريق معتقده الاجتماعي - أي ايديولوجيته الاجتماعية - أن يغيِّر النظام الاجتماعي القائم إلى النظام الذي يريد.

فما دور الفرد المسلم؟!

لو حاولنا تحديد دور المسلم عامة ما كان لنا أن نختار سوى ما اختاره الله له من دور في التاريخ، يقول عزَّ وجلَّ: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة:١٤٣، بهذه الآية حدد الله عزّ وجلّ دور المسلم بصورة عامة، وليس لنا أن نختار له دوراً أشرف وأفضل من هذا الدور.

ومن خلال قراءة لواقع العالم المتحضر اليوم نرى أن الحضارة الغربية حققت في عالم الاكتشافات والعلوم اليوم ما يشبه المعجزات ولكنها فقدت البعد الروحي والأخلاقي لذلك «فالحضارة الغربية في أزمة أخطر وأعمق كثيراً من أزمة العالم الإسلامي».

لأن أزمتنا لا تمس جوهر الكيان الإنساني، أما الأزمة التي يمر بها الإنسان المتحضر اليوم قد تفقده إنسانيته، ولم يعد يعرف شيئاً من الخير للإنسانية. والآن «الإنسانية ومصيرها» موضوعة أمام أخطر نقاط الاستفهام؟ ولا ندري كيف ستنتهي هذه الحقبة من الزمان «بنهاية القرن العشرين وبدء القرن الحادي والعشرين»، وأمام هذه الحالة يطرح التساؤل التالي:

مادور المسلم ورسالته؟!

الجواب: إنقاذ نفسه والآخرين.

هذه هي رسالة المسلم ودوره.

ومن هنا نرى ما يترتب على المسلم القيام به، أن يتحرر من:

١ ـ الطبيعة والجغرافيا، ويستطيع بالعلوم الطبيعية والتكنولوجيا أن يتحرر.

٢ ـ حتمية التاريخ ويخلص منه بكشف قوانين التاريخ وتطوره.

٣ ـ النظام الاجتماعي والطبقي ويخلّصه من ذلك انتهاج الأيديولوجية الإسلامية الثورية.

٤ ـ النفس والتحرر منها بثلاث وسائل:

أ ـ العبادة.

ب ـ العمل.



جـ ـ النضال الاجتماعي.

العبادة

إن العبادة ليست كما هو رائج ومعروف الآن بين المذاهب التقليدية بأنه أداء للوظائف والأوراد اللفظية، بل هي تعبير عملي... سلوكي وعضوي عن قضايا عقدية وقناعات عقلية وعزائم قلبية واستجابة لما تتوق إليه النفس من النزوع إلى الخلاص من معاناة مصائب الدنيا ومآسيها. وهي أشبه ما تكون بمحطات على درب الحياة يزود منها الإنسان بطاقات نفسية إيمانية تضمن له ديمومة تغلب دوافع الخير على نوازع الشر. وتحقيق النصر والفوز في النهاية، وهي أيضاً اتصال مستمر بين الإنسان والله.

ذلك هو مفهوم العبادة الحقيقي ومرجعنا في تحديث المفاهيم الإسلامية ينبغي أن يكون «الكتاب والسنة».

هذا هو المرجع، وليس على ما طرأ على المسلمين خلال مسيرتهم التاريخية الطويلة من قصور وانحراف.

مفهوم الحياة العبادية مفهوم ضئيل انحصر في نطاق الشعائر التعبدية

فمفهوم الحياة العبادية الذي تفهمه الأجيال المعاصرة» مفهوم ضئيل انحصر في حسّهم في نطاق الشعائر التعبدية وحدها، لقد جاء في الكتاب المنزل: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات: ٥٦.

لذلك من الخطأ البدهي بعد تقرير هذه الآية أن تكون الشعائر التعبدية هي كل العبادة المطلوبة من الإنسان طالما كان غاية الوجود الإنساني كما تنص الآية الكريمة أن العبادة محصورة في عبادة الله وحده، فكيف يستطيع الإنسان أن يوفي العبادة المطلوبة بالشعائر التعبدية؟ هل يؤدي ذلك بالحركات والألفاظ؟!

إن العبادة التي كُلِّف بها الإنسان تشمل كل الحياة، وكانت العبادة الكبرى هي «العمل» في شتى مجالات الحياة.

العمل

إن النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية ونمط الحياة التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا إلى أي مدى استند الإسلام إلى العمل، ونحن نعلم أن العمل الصالح يذكر على الفور في الآيات القرآنية بعد الإيمان، والعمل هنا هو الذي يحمل الأيديولوجية من الحافظة والذهن ويغرسها في أعماق وجود الإنسان، وبهذا الشكل تتبدل الأيديولوجية إلى إيمان، ويثبت الفكر على أرضية الواقع ويصحح مساره. والعمل يحمي الإنسان من الكهنوت وتقديس العمل في الإسلام بلغ حداً عظيماً.

وتعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عائداً من إحدى الغزوات، وخرج أهل المدينة لاستقباله، ونزل المجاهدون لاستقبال الناس، وبينما كان صلى الله عليه وسلم يسلم على أحد المستقبلين تعجب من خشونة يده وسأله فأجاب الرجل إني رجل أقوم بتأبير النخل، وكنت الآن أعمل ولما علمت بعودتك جئت لاستقبالك، وبلغ حداً من الاهتمام بأن رفع يدي الرجل بين المجاهدين والناس، وكأنها علم، و«قال هذه يد لن تمسها النار».

النضال الاجتماعي

إن الخطورة كل الخطورة تكمن في عملية التوقف عند حدود خطوة الاكتفاء بالإيمان بالإسلام مبادئ، وعدم القدرة على مجاوزة هذه الخطوة إلى مرحلة ترجمة المبادئ إلى برامج على ضوء رؤية شاملة للظروف المحيطة والإمكانات المتاحة، وهذا من وظيفة النضال الاجتماعي الذي يقوده «الإنسان السياسي»، «والسياسة تعني الإحساس بالارتباط بالمجتمع، والوعي لوضع الجماعة ومصيرها والاشتراك في حياة مسيرة المجتمع الذي يعيش فيه المسلم» ولذا عرّف الفيلسوف أفلاطون الإنسان بأنه «سياسي»، وهذه الرؤية التي تجعل المسلم يتدخل في مجتمعه إما: مؤيداً أو معارضاً أو مغيِّراً، هذه هي الوسيلة الثانية في بناء ذات الفرد المسلم التي بعدها يبدأ في:

المرحلة الثانية

والتي هي مرحلة بناء المجتمع الإسلامي، إن الدور الأساسي للنضال السياسي هو مجال لإظهار أسمى الاستعدادت الاجتماعية عند الإنسان.

ومن المؤسف أن رجال السلطة الذين سيطروا على مصير المجتمعات من أجل حصر السلطة السياسية في أيديهم في محاولة لاستبداد بالشعوب واستغلالها نزعوا اهتمام الجماهير بالسياسة «وليس ذلك أسلوب الاستعمار فقط» وذلك عن طريق ترويج الفنون الهابطة أو الإفراط في الرياضات البدنية التافهة، أو توسيع نطاق الحريات الجنسية، أو عبادة الاستهلاك، أو خلق المشاكل الاقتصادية المفتعلة أو نشر

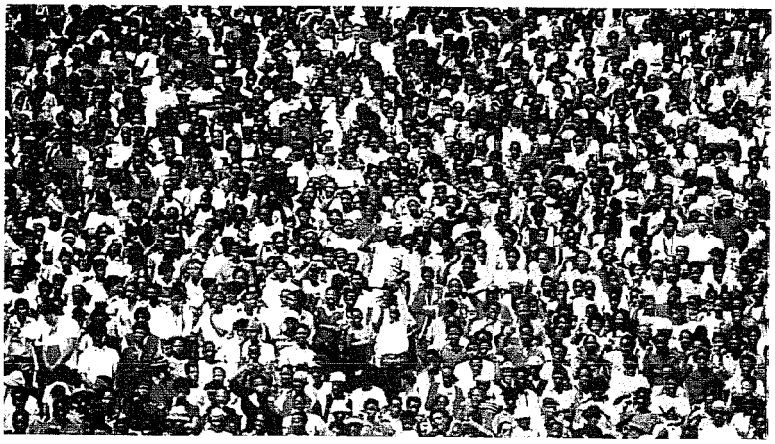

عوامل الانحراف عن طريق صناعة الأيديولوجيات المختلفة لتفتيت الوحدة، وإذكاء الخصومات الطائفية والقبلية، إن هذه الفكرة في إخراج الجماهير من الاهتمام بالسياسة عرفت في تاريخ الدولة العباسية «بادئ ذي بدء في مسيرة التاريخ الإسلامي»، فإنهم نظروا إلى الدولة الأموية فوجدوا أنها لم تستمر إلا قرناً واحداً من الزمان، وذلك بسبب الإحساس السياسي عند المسلمين. فقد كان أقل انحراف في الحكومة باعثاً كافياً لإحداث التصدع فيها، فعمدوا إلى تخدير الناس بأنواع التقدم الزائفه وأغرقوا المفكرين في مسائل ذهنية وكلامية وفلسفية لاتسمن ولا تغني من جوع، ونرى الفرق بعد ذلك واضحاً، فقد كانت ثروات الناس في عهد بني أمية سياسية «على أساس العدل الطبقي والخلاص الإنساني»، وتبدلت الأمور في عهد العباسيين إلى حروب كلامية وذهنية وفلسفية ولفظية وبطريقة الاستعمار والرأسمالية نفسها الآن التي شغلت أعظم مفكرينا وعياً وإخلاصاً بنوع من هذه الحروب الكلامية بعيداً عن النضال السياسي الذي يصحح

رجال السلطة سيطروا على المجتمعات من أجل حصر السلطة السياسية في أيديهم

الوعي الأيديولوجي ويهبه الفاعلية. والنضال السياسي هو الذي يعطي معنى أيديولوجية الجماعة في المجتمع وحماية حقوق وواجبات الجماهير.

ولكن النضال السياسي يحتاج إلى فكر إسلامي موحَّد... كيف؟!!!

هذا هو دور مفكري الأمة الإسلامية المخلصين، لأنه اليوم تكون مسؤولية المفكّر ودوره في العالم الإسلامي أشبه بالدور الذي كان يلعبه الأئمة وقادة التغيير والتبديل - أي الأنبياء والرسل - إن مسؤولية المفكر العالِم في زماننا هو القيام بدور النبوّة في مجتمعه حين لا يكون هناك نبي، ونقل الرسالة إلى الجماهير لتحقيق حضارة الإسلام، وعلى المفكِّر في المجتمع الإسلامي أن يكون عالماً بالإسلام وليس على الصعيد النظري فقط، ولكن يحول الإيمان إلى سلوك وتطبيق يجعله القدوة أمام الجماهير التي فقدت الثقة في كثير من المفكرين الذين يحجلون وراء السلطان.

المرحلة الثالثة

هي العمل على قيام إسلام عالمي على ضوء التجارب الإنسانية فيما سلف من حضارات، وعلى ضوء الحقائق الأساسية للحياة البشرية نرى أن الحضارة الغربية قد استنفدت أغراضها ولم يعد لديها ما تعطيه للبشرية من المبادئ والأفكار التي تسمح للحياة بالنمو من جديد لأن كل حضارة إنما تعيش بمقدار ما تملك أن تعطي البشرية من

رصيد في إدراك الحياة لرقيها وتطورها. لذا فالبشرية جمعاء اليوم في أشد الحاجة إلى هداية الإسلام المتمثل على أرض الواقع في صورة المجتمع الإسلامي الذي ننشده، وإن النظرة الكلية للإسلام عن الحياة تهدينا إلى أن نعدّ الحياة الإنسانية وحدة متكاملة والبشرية بشرية واحدة ونعدّ الدين كله ديناً واحداً، ونعدّ المسلمين كلّهم أمة واحدة ونعد الإسلام هو الصورة الأخيرة والنهائية لهذا الدين الواحد. (إن الدين عند الله الإسلام) آل عمران:١٩.

فالمجتمع الإسلامي مجتمع عالمي. بمعنى أنه مجتمع غير عنصري وغير قومي ولا قائم على الحدود الجغرافية، فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الإنسان.

إن الإسلام ينادي بنفسه أنه رسالة عالمية للبشر، ولابد لنجاح أي رسالة عالمية من وجود مجتمع عالمي حرٍّ، والمجتمع الإسلامي الحقيقي هو وحده المجتمع العالمي الجدير بعالم حرّ «والتاريخ» يقول: إنه «أي المجتمع الإسلامي» هو السابقة الوحيدة الناجحة في سبيل عالم واحد تنعم فيه البشرية بالأمن والسلام والاستقرار - «والتاريخ خير شاهد ودليل» - ولكي يستطيع المجتمع الإسلامي أن يحفظ وحدته من التفكك والتمزق والدمار... يتمسك بالقرآن الذي يطرح أمامنا التزامين أساسيين. لا لضمان هذه الوحدة ودوامها فحسب، بل لنموها وتطورها لتحويلها دوماً إلى الرقي والحضارة.

مقياس التفوق الحضاري لا يكمن في حجم الإنتاج بقدر ما يكمن في مدى أخلاقية الجماعة المتحضرة

الالتزام الأول: هو الالتزام الأخلاقي وهو يرمي إلى تكوين أخلاقية خاصة بالمجتمع الإسلامي تنبثق من أعماق الفرد المسلم التي ما تلبث أن تعطي لونها للعلاقات الاجتماعية كلها، وهي بذلك تحمي المجتمع المسلم من السقوط، والقرآن الكريم يطرح سلّماً من القيم الأخلاقية التي تحولت في الوقت ذاته إلى واقع معاش تجسد كاملاً في شخص «الرسول صلى الله عليه وسلم»، فلقد كان خلقه القرآن، وقرآناً يمشي على الأرض، وإن مقياس التفوق الحضاري لا يكمن في حجم الإنتاج بقدر ما يكمن في مدى أخلاقية الجماعة المتحضرة، وهذا ينقلنا إلى الالتزام الثاني وهو الجهاد.

الجهاد

إن المجتمع الإسلامي مكلّف من قبل الله بتبعات إنسانية تجاه هذه البشرية بحكم الآية الشريفة: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) البقرة: ١٤٣.

ولقد تضمنت مبادئ الإسلام الأساسية ثورة حقيقية كاملة تعدّ أكبر ثورة تحررية عرفتها البشرية. ثورة على ربوبية العباد للعبد، وثورة على الظلم بكل أنواعه وصنوفه، وفي كل ميادينه ومجالاته. وثورة على النظم والحكومات التي تساند هذا الظلم وتستبقيه لحساب فرد على جماعة في صورة حاكم أو مستغل أو لحساب دولة على دولة في صورة احتلال استعمار. ولذا لم يكن هناك بد من أن يقاوم دولاً. إذاً الإسلام في جهاد دائم لاينقطع لتحقيق كلمة الله في الأرض.

والجهاد كما هو معروف هو حركة المسلمين الدائمة في العالم لإسقاط القيادة الجاهلة الضالة، وإتاحة حرية الاعتقاد للإنسان حيثما كان هذا الإنسان، بغض النظر عن الزمان والمكان والجنس واللون والانتماء، إنه في الحقيقة مبرر وجود المجتمع الإسلامي في كل زمان ومكان والإسلام دور هذه الحركة في الأرض وهدفها في الحياة، ومن دون هذه الحركة الجهادية يسقط هذا المبرر وتفقد الجماعة المسلمة قدرتها على الاستمرار والبقاء كبديل للأزمة الأخلاقية التي يتردى فيها الإنسان المعاصر. فالإسلام قضية مطروحة على الساحة الكونية لأن البشرية الآن في مسيس الحاجة إلى الأيديولوجية الإسلامية المتمثلة في المجتمع الإسلامي الممثلة للحضارة الإنسانية لأن حضارة الغرب المعاصرة هي حضارة الأشياء.

وإذا أراد المجتمع الإسلامي أن يقوم بدور الإنقاذ بالنسبة للشعوب فليرفع أولاً مستواه حتى يتمكن من القيام بهذا الدور. ليصل إلى مستوى الحضارة أو أعلى منها كي يرفع الحضارة بذلك إلى قداسة الوجود، ولا قداسة لهذا الوجود إلا بوجود الله.

إذا أتى المسلم في صورة الإنسان المتحضر الذي اكتملت حضارته بالبعد الذي يضيفه الإسلام «وهو بعد السماء» عندئذ ترتفع الحضارة كلها إلى مستوى القداسة.

وعندها يتغير وجه الأرض، وتتحقق للإسلام جولة جديدة، يخرج فيها الناس من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ومن ضيق الدينا إلى سعة الدنيا والآخرة. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ●

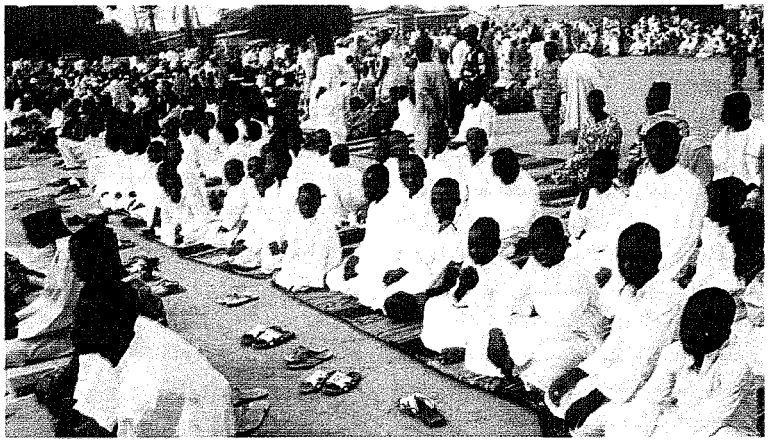



الفقر بين الحلول الدولية والإسلامية

بقلم: د.كمال توفيق حطاب
أستاذ الاقتصاد الإسلامي
جامعة اليرموك، الأردن

يقول مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا «إن الأفكار الرامية إلى القضاء على الفقر في العالم الثالث توشك أن تنفد، فالبحث عن الحلول في مفاوضاتنا مع البلدان المتقدمة قد وصل عملياً إلى طريق مسدود... فالمسؤولون في العالم الثالث واجهوا مهمة مروعة في محاولة إيجاد أفكار وحلول جديدة لانتشال البلدان الفقيرة من الديون المتصاعدة»، ويتساءل د. محمد عمر شابر بعد إيراده هذه العبارات: «ما السبب في ذلك؟ وهل بوسع الأسلمة «إعادة اقتصادات البلدان الإسلامية في ضوء التعاليم الإسلامية» أن تنفع في تحقيق المطلوب»؟

وقد حاول د.شابرا الإجابة على هذا السؤال من خلال كتابه القيم «الإسلام والتحدي الاقتصادي»، والذي سنستعرض جانباً منه في هذا المقال.

وقبل ذلك لابد من إطلالة سريعة على أبرز الحلول المقترحة دولياً لمكافحة مشكلة الفقر.

ففي عام ١٩٩٠م، ظهر تقرير البنك الدولي والمسمى «تقرير عن التنمية في العالم»، بغلافه الأسود لكي يدق ناقوس الخطر نحو الفقر والفقراء في العالم، ولكي يقدم استراتيجية تقوم على زيادة معدلات النمو الاقتصادي وزيادة تحرير التجارة والأسواق بعامة.

وفي ديسمبر من عام ٢٠٠٠م ظهرت مجلة التمويل والتنمية الصادرة عن صندوق النقد الدولي لتبحث عن كيفية مساعدة الفقراء في العالم، وفي المقالة الأولى من هذه المجلة استعرض كل من «نورا لاستنج»، و«نيكولاس ستيرن» كيفية توسيع جدول أعمال تخفيض

الزيادة السكانية تؤدي إلى انخفاض متوسط نصيب الفرد من الدخل ونصيبه من الرفاهية

تعداد الفقراء في العالم، ووجدا أن نسبة انخفاض الفقر المتأثرة بزيادة النمو تتوقف على درجة التباين في الدخول، فكلما ازدادت درجة التباين في الدخول كلما قل تأثير زيادة النمو على تخفيض نسبة الفقر، كما أن أثر الإصلاح الاقتصادي يختلف من بلد إلى آخر.

ويشير الباحثان إلى أن سياسات مواجهة عدم المساواة المتأصلة والفشل المؤسسي والحواجز الاجتماعية أصبحت على قدر أهمية النمو الاقتصادي نفسه وتحرير الأسواق والتجارة.

ومع كثرة الدراسات التي تطرحها المنظمات والمنتديات الدولية حول مشكلة الفقر والفقراء في العالم، إلا أن الحلول المقترحة من قِبَل المنظمات الدولية وخبراء التنمية والاقتصاد لمكافحة مشكلة الفقر في الدول النامية، تتركز حول ثلاثة عناصر هي: المعونات الأجنبية، تخفيض تعداد السكان، برنامج التصحيح الاقتصادي»، وسوف ننظر باختصار في حقيقة هذه الحلول ومدى إمكانات إسهامها في علاج مشكلة الفقر:

أولاً: المعونات الأجنبية

من المتفق عليه عند الاقتصاديين والسياسيين أنه لا يمكن الاستمرار في الاعتماد على المعونات الأجنبية، وذلك للأسباب التالية:

- تدني معدلات النمو الاقتصادي في البلدان النامية وزيادة معدلات التضخم والبطالة، الأمر الذي أدى إلى انخفاض المساعدات الأجنبية إلى البلدان النامية، ويرى البنك الدولي أنه من المحتمل أن يستمر هذا الانخفاض خلال العقد أو العقدين التاليين.
- تحول المساعدات إلى بلدان أوروبا الشرقية بعد انحسار الاتحاد السوفييتي.
- الشروط الصعبة التي ترافق المعونات الأجنبية تحول دون إمكانات الاستفادة منها، فقد أشارت بعض الدراسات إلى أن المعونة المشروطة التي تمنحها الولايات المتحدة للدول الفقيرة، تلزم هذه الدول بشراء منتجات أميركية بقيمة المعونة، وقد لا تحتاج الدول الفقيرة للمنتجات الأميركية المعروضة.
- تعتبر المعونة سلاحاً للسياسة الخارجية

في أيدي البلدان المانحة.

- كما أن قسماً كبيراً من المساعدة الأجنبية يستخدم لدعم الأنظمة العسكرية المستبدة التي تقمع الفقراء.

- إساءة استخدام حكومات الدول النامية للمعونات، ففي دراسة للبنك الدولي عن بنجلاديش حول طرق توزيع المعونة بالبطاقات، تبين أن أكثر من ربعها يذهب لرجال الشرطة والجيش وموظفي الحكومة.

وهكذا يظهر لنا بوضوح أن المعونة الأجنبية لا يمكن أن تخدم إلا مصالح الدولة المانحة أو مصالح الحكومات في الدول النامية، مما يزيد من حدة مشكلة الفقر.

ثانياً: تخفيض أو وقف الزيادة السكانية

يرى كثير من خبراء التنمية والسياسة في عالم اليوم أنه لابد من تخفيض الزيادة السكانية في الدول النامية إذا أرادت هذه الدول أن تتغلب على مشكلة الفقر وغيرها من مشاكل التخلف، ويؤكدون قولهم: إن الزيادة السكانية تؤدي إلى انخفاض متوسط نصيب الفرد من الدخل، ونصيبه من الرفاهية، ومن الرعاية الصحية، والتعليمية... إلخ، كما تؤدي الزيادة السكانية إلى زيادة البطالة وتخفيض أجور العمال وزيادة التخلف الاقتصادي بشكل عام.

ومع أن هذا الرأي «المالتسي» يوجد له معارضون، وأن النبوءة «المالتسية» لم تتحقق في القرن التاسع عشر كما توقع «مالتوس»، إلا أن «المالتسيين» الجدد مازالوا يحذرون من الانفجار السكاني، أو القنبلة السكانية في الدول النامية.

وبناء على ذلك قامت دول إسلامية عدة بمحاولة تطبيق برامج لتحديد النسل خلال العقود الثلاثة الماضية، ومع ذلك لم يتم التغلب على مشكلة الفقر، ففي الستينيات بدأ تنفيذ اثني عشر برنامجاً لتنظيم الأسرة في البلاد الآسيوية وبخاصة النامية، وكانت هذه البلاد التي يبلغ تعداد سكانها نحو البليون، تنفق مئة مليون دولار في المتوسط على هذه البرامج، ومع ذلك فقد فشلت هذه البرامج في تخفيض الزيادة السكانية بأي نسبة تذكر، وكان يمكن لهذه المبالغ أن تزيد من متوسط دخل الفرد أو مستوى التعليم لو تم إنفاقها على التعليم.

المشكلة ليست في الزيادة السكانية الكمية وإنما تكمن في نوعية الزيادة السكانية

وهذا يؤكد بوضوح أن المشكلة ليست في الزيادة السكانية الكمية، وإنما المشكلة تكمن في نوعية الزيادة السكانية، وهذا يعني أنه لابد من التركيز على التعليم والتدريب، وقبل كل ذلك لابد من إيجاد البيئة الاجتماعية الصحية، والإرادة الحضارية المبنية على القيم والمبادئ والمثل، والحوافز الإيمانية لزيادة العمل والإنتاج.

ثالثاً: برامج التصحيح الاقتصادي

هناك نظرة سائدة في العالم اليوم مفادها أن تحرير الاقتصادات سيساعد على تحقيق المزيد من الكفاءة والعدالة، وذلك من خلال تقليص العجز في الميزانية، وتصحيح تشوهات الأسعار، وبخاصة أسعار الصرف والفائدة، وإلغاء الدعم عن السلع الأساسية، وخصخصة المشروعات العامة... إلخ.

وقد أظهرت التجربة في بلدان كثيرة أن هذه السياسة إذا لم تترافق مع سياسة تعزيز العدالة، فهي بهذا تميل لأن تضع عبء التكيف الرئيس على الفقراء، فالأسعار المرتفعة لا تحد من طلبات الأغنياء بل تزيد من فقر الفقراء، مما يؤدي إلى اضطرابات وقلاقل اجتماعية وسياسية، فتضطر الحكومات بعد ذلك للرجوع عن التدابير التي اعتمدتها.

المنهج الإسلامي وعلاج الفقر

جاء الإسلام ليخرج الناس من ظلمات الجهل والتخلف والفقر والضلال إلى نور الهداية والتقدم والغنى، وهناك الكثير من النصوص الشرعية التي تؤكد أن السير على المنهج الإسلامي يكفي للتغلب على مشكلة الفقر، ومن هذه النصوص، قوله تعالى في الآية ١٢٤ من سورة طه: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً)، وقوله تعالى في سورة الأعراف آية ٩٦: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض).

الأسعار المرتفعة لا تحد من طلبات الأغنياء بل تزيد من فقر الفقراء

فالإيمان والتقوى والالتزام بالمنهج الإسلامي يعني القيام بالواجبات وأداء الحقوق وتحمل مسؤولية الإعمار والبناء والتضحية، والقيام بمهام الخلافة، ويشمل ذلك النقاط التالية:

١ - الحض على العمل والكسب: فقد أوجب الإسلام على كل مسلم قادر على العمل، أن يقوم بالعمل والاكتساب لكي يعول نفسه ومن تلزمهم نفقته، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير الطعام ما يأكله المرء من عمل يده، كما جعل اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، فاليد العليا هي اليد العاملة المنفقة، واليد السفلى هي اليد السائلة.

٢ - محاربة البطالة والتسول: فقد حارب الإسلام البطالة والتسول وسد جميع المنافذ الموصلة إليهما، ومن ذلك عالج جميع البواعث والمعوقات النفسية التي يمكن أن تعيق الإنسان عن «العمل»، فرفض القعود عن العمل بحجة العبادة، واعتبر العمل عبادة إذا لم يكن في معصية الله، كما رفض القعود عن العمل بحجة التوكل على الله، أو بحجة عدم وجود فرصة العمل.

٣ - تحريم الربا: حرَّم الإسلام جميع المعاملات التي تؤدي إلى ثراء بعضهم بطريق غير مشروع، وتزيد في حدة التفاوت في المجتمع، وبالتالي تزيد من الفقر والفقراء، ومن ذلك ربا الديون، وهو الزيادة المشروطة التي يتقاضاها الدائن من المدين نظير الأجل، وقد كان العرب يتعاملون بهذا الأسلوب في الجاهلية، فجاءت آيات القرآن تحرِّم هذا السلوك، وتنذر بالحرب كل من لم ينته عن هذا الفعل القبيح، وهذا النوع من الربا وباء خطير يؤدي إلى تكون فئة من مصاصي الدماء في المجتمع يعيشون على تعب وعرق ودماء الآخرين، إن اضطرار الفقير المحتاج

إلى دفع الزيادة الربوية وهو لا يجد أصل الدين الذي اقترضه، سيدفعه إلى ارتكاب أي جريمة من أجل أن يسدد ما عليه، ويخلص رقبته من قبضة المرابي.

السياسة الوقائية الإسلامية لتخفيف حدة الفقر

إن تطبيق السياسات الوقائية المتقدمة يسهم بشكل كبير في تخفيف حدة الفقر في المجتمع، ومع ذلك فإن استئصال ظاهرة الفقر بشكل نهائي أمر مستحيل، فقد يستمر الفقر بسبب وجود فئات تعاني من العجز الذهني أو الجسمي أو بسبب المصائب والابتلاءات أو حتى بسبب عجز الإنسان وكسله أو ظلمه وتعديه واستغلاله، فهذه الأسباب وغيرها لا يمكن استئصالها من الأرض، ولذلك يقدم الإسلام سياسة علاجية تخفف كثيراً من حدة الفقر عند الفئات المشار إليها، ومن أبرز طرقها:

١ ـ كفالة الأقارب: يقول تعالى في سورة الإسراء آية ٢٦: (وآت ذا القربى حقه)، فللقريب حق في مال قريبه إذا كان عاجزاً عن الكسب والإنفاق.

٢ ـ الزكاة والإنفاق التطوعي: وإذا لم يوجد له قريب يكفله، فإن له حقاً قانونياً في مال الزكاة، كما أن له أنصبة متعددة من النفقات التطوعية التي يقوم بها المجتمع من أوقاف وكفارات ونذور... إلخ.

٣ ـ مسؤولية الدولة: إذا لم تكف المصادر السابقة لسد حاجة الفقراء، فإن المسؤولية عندئذ تنتقل إلى الدولة ومعظم إيرادات بيت مال المسلمين.

تحرير الاقتصادات لا يؤدي إلى الكفاءة والعدالة بقدر ما يؤدي إلى زيادة الظلم

٤ ـ التوظيف: فإذا لم تكف هذه الإيرادات، عندها يقوم ولي الأمر بالتوظيف في أموال أغنياء المسلمين، بأن يفرض عليهم الوظائف «الضرائب» ومن الممكن أن يقاسمهم أنصاف أموالهم كما فعل عمر ـ رضي الله عنه ـ عام المجاعة.

فمن المؤكد أن اللجوء إلى مثل هذه الحلول لا يكون إلا في الحالات الاستثنائية كالكوارث والحروب.

الحلول الإسلامية لمشكلة الفقر

إن المنهج الإسلامي للتغير والنهوض والتقدم، يقوم على الالتزام بالقيم والإرادة والتصميم على التغيير، فالمسألة ليست زيادة إمكانات مادية أومالية، وليست في الحصول على معونات أو هبات أو هدايا أجنبية، وإنما هي مسألة عزيمة وقوة وإصرار على التغيير والانطلاق والتقدم... وقد عبَّر عن هذه المعاني عدد من المفكرين المسلمين والخبراء الاقتصاديين، نجمل آراءهم فيما يلي:

أولاً: الحل الإسلامي كما يراه د.محمد عمر شابر في كتابه «الإسلام والتحدي الاقتصادي»

إن تحرير الاقتصادات لا يؤدي إلى المزيد من الكفاءة والعدالة، بقدر ما يؤدي إلى زيادة الظلم والهيمنة والتسلط من قبل الشركات الكبرى متعددة الجنسية، فالاحتكارات الكبرى تمكن هذه الشركات من السيطرة والتسلط والاستغلال، وبناء على ذلك، وتجنباً للمزيد من الظلم والعبثية والاستغلال، لابد من العمل بالنقاط التالية:

١ ـ وجود آلية للاصطفاء: إن الاستراتيجية للانطلاق تستلزم آلية للاصطفاء «في استخدام وتخصيص وتوزيع الموارد»، ولا يصلح نظام السوق أو الخطة المركزية كآلية سليمة للاصطفاء، وإنما الاصطفاء الأخلاقي وحده هو الآلية الصحيحة، لأنها تعتمد القيم المستمدة من خالق الكون والحياة، كما تعتمد على وجود حوافز حقيقية تتمثل في الحساب الأخروي والثواب والعقاب.

٢ ـ تقوية العنصر البشري: لا يمكن تحفيز الأفراد على العمل بكفاءة من دون البعد الأخلاقي الذي لا يعتمد على المواعظ فقط، وإنما على تعزيز القيم المعنوية من خلال تصحيح الهيكل الاجتماعي والاقتصادي، بتشجيع المشروعات الصغيرة، وتحسين دخول المزارعين، وزيادة فرص التعليم والتدريب وإتاحة التمويل للفقراء بأساليب مشروعة.

٣ ـ تقليص تركيز الثروة بأيدي فئة معينة من الملاَّك: وذلك بإصلاح ملكيات الأراضي، وشروط استئجارها وتثبيط المشاريع الكبيرة وتشجيع المشاريع الصغيرة.

٤ ـ خفض الإنفاق الحكومي: وذلك من خلال تقليص حالات الفساد وعدم الكفاءة والهدر، وترتيب الإعانات بما يمنع وصول الأغنياء إلى السلع المعانة، والتخفيض التدريجي لمشاريع القطاع العام، وتخفيض نفقات الدفاع خصوصا في الدول التي لا تتهددها الأخطار، وترتيب فرض الضرائب بحيث تؤخذ من الأغنياء وترد إلى الفقراء، وتقليص الاقتراض إلى الحد الأدنى، وكذلك تقليص الاعتماد على المعونة الاجنبية، وتحسين مناخ الاستثمار.



٥ ـ إصلاح نظام التمويل: حيث يصبح التمويل بالمشاركة بدلاً من الفائدة، حيث ثبت فشل نظام التمويل بالفائدة في تخصيص الموارد بعدل أو كفاءة، ولابد أن يكون التركيز على المشروعات الصغيرة أكثر من المشروعات الكبيرة «حيث وجدت اللجنة المختارة المعنية لمكافحة الجوع أن توفير مبالغ ائتمانية صغيرة للمشاريع الصغيرة في اقتصاد القطاع غير الرسمي في البلدان النامية، يمكن أن يرفع مستويات معيشة الفقراء، وأن يزيد الأمن الغذائي، ويحقق تحسينات قابلة للاستمرار في الاقتصادات المحلية، وخلصت اللجنة إلى أن إتاحة الائتمان لصغار المقاولين الجدد هي إحدى الطرق للمساعدة على كسر حلقة الفقر والجوع بين الفقراء المدنيين والريفيين الذين لايملكون أرضاً في البلدان النامية».

ثانياً: رأي مالك بن نبي في كتابه «المسلم في عالم الاقتصاد»

عبُر المفكر الإسلامي مالك بن نبي عن المعاني السابقة بمصطلح الإرادة الحضارية، فالإرادة الحضارية هي التي توجد الإمكان الحضاري «الوسائل المادية» وقد استشهد بتجربة ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية والتي نهضت من الدمار والتخلف، بعد تطبيق مخطط الخبير الاقتصادي «شاخت».

ولما حاول هذا الخبير نفسه تطبيق المخطط نفسه في إندونيسيا، فشل فشلاً ذريعاً، وكان سر ذلك أن المعادلة الاجتماعية مختلفة، العادات، التقاليد، والإرادة الحضارية.

ولم يكن نجاح ألمانيا بسبب المليارات الأميركية «مشروع مارشال» لأن اليابان أيضاً نجحت دون مشروع مارشال، وكذلك الصين، ويرجع ذلك أيضاً إلى الإرادة الحضارية، يقول مالك بن نبي: «فالمعجزة إذاً لا تتوقف على حفنة مالية لأن اليابان لم تتلق أي حفنة من نوع (مشروع مارشال)، فالقضية إذاً بالنسبة للعالم الإسلامي، ليست قضية إمكان مالي، ولكنها قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية، أي الإنسان والتراب والوقت، في مشروع، تحركها إرادة حضارية لا تحجم أمام الصعوبات، ولا يأخذها الغرور في شبه تعال على الوسائل البسيطة التي في حوزتنا منذ الآن، ولا ينتظر



العمل بها حفنة من العملة الصعبة، ولا أي مشروع من نوع «مارشال».

إن الصين الحديثة صاحبة المعجزة الكبرى في هذا القرن، خرجت من العدم فتحولت معالمها، كما حولت، من أجل بناء سدودها وطرقها، المليارات من الأمتار المكعبة من التراب، لا بالآلات الحافرة والناقلة، المفقودة في بلد ينشئ نفسه، ولكن بفضل سواعد أبنائها وعلى أكتافهم...».

ثالثاً: مخطط «محبوب الحق» للقضاء على الفقر في كتابه «ستار الفقر»

فبعد أن يهاجم هدف زيادة النمو في الناتج القومي الإجمالي، باعتباره لم يحقق تقدماً في القضاء على الفقر بسبب سوء التوزيع، يقترح مخططاً من نقاط عدة:

١ ـ لابد من هجوم انتقائي على أكثر أشكال الفقر سوءاً، بمعنى آخر لابد من الاهتمام بمضمون الناتج القومي أكثر من الاهتمام بزيادته.

٢ ـ لابد من تحديد المستويات الدنيا للاستهلاك التي يجب أن يحصل عليها الرجل العادي من أجل القضاء على أكثر مظاهر الفقر سوءاً ولابد من مراعاة المعايير الدنيا الغذائية والتعليمية والسكنية والصحية.

٣ ـ يجب الإقلات من طغيان مفهوم الطلب إلى مفهوم الاحتياجات الدنيا، لأن قياس الاحتياجات الأساسية بالقدرة على الدفع يعتبر عملاً شائناً في مجتمع فقير.

٤ ـ تجنب محاولة اللحاق بمعدل الدخل في الدول المتقدمة، لأن ذلك لايمكن بلوغه إلا بعد قرن من الزمان، واستبدال ذلك بمحاولة الوصول إلى الحد الأدنى للدخل الذي يحدده كل مجتمع لنفسه.

٥ ـ توجيه نمط الإنتاج نحو تلبية المتطلبات الاستهلاكية الدنيا، ونحو استخدام قوة العمل كاملة، عندها يمكن أن يكون توزيع الدخل أكثر إنصافاً.

٦ ـ يجب وضع سياسة العمالة الكاملة كهدف أساسي وليس ثانوي، فإذا كان رأس المال المادي غير كاف ـ كما هو الحال في الدول النامية ـ فإن تكوين المهارة والتنظيم يجب أن يحلا محل رأس المال في الأجل القصير، وإذا ما تم الانطلاق من هدف العمالة الكاملة، مع أداء الناس لأي عمل مفيد، فعندها فقط يمكن القضاء على أكثر أشكال الفقر سوءاً.

ويستشهد للتأكيد على صحة هذه الآراء بتجربة الصين، والتي كانت بلد المجاعات خلال الألفي سنة الماضية، فقد تمكنت أخيراً من القضاء على المجاعات، ومن التغلب على مشكلة الفقر من خلال تعبئة أيديولوجية، ثم هجوم انتقائي على الفقر، والسعي نحو تحقيق معايير دنيا للدخل والاستهلاك، ودمج سياسات الإنتاج والتوزيع، وإنجاز العمالة الكاملة بموارد هزيلة من رأس المال ●

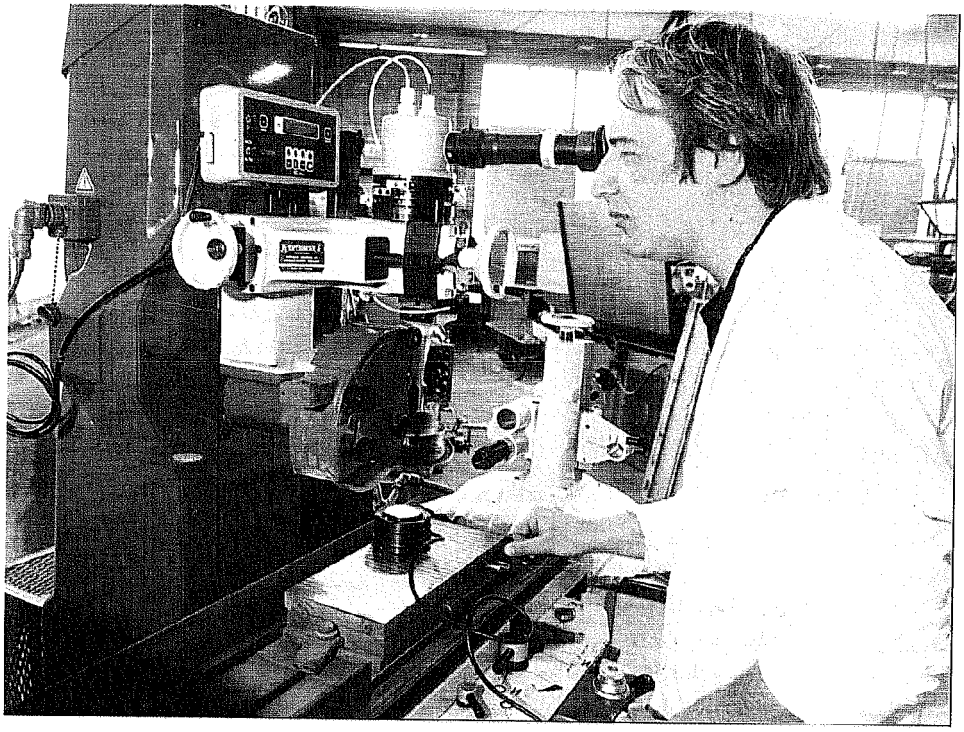

نواصل في هذه الحلقة الحديث عن مفاهيم ومبادئ أخرى يتطلبها دعم أخلاقيات الإدارة العمومية في المنظور الإسلامي

تخليق الإدارة العمومية في المنظور الإسلامي

الحلقة (٢/٢)

بقلم: د. حسن عزوزي
رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة - فاس

مبدأ الإخلاص في العمل الإداري

إن استشعار المسؤولية من طرف الموظف الإداري يدفعه إلى الإخلاص في العمل والتفاني في أدائه على أحسن الوجوه، ويمكن القول إن قمة الإخلاص في العمل الإداري تبدو في أسمى مستوياتها عندما يحس الموظف أنه يقوم فعلاً بخدمة الناس وقضاء مصالحهم، فإذا كنا تحدثنا عن مبدأ تولية الأصلح، وكيف أن اختيار وانتقاء الموظف الإداري الصالح يعتبر أمانة، فإن أداء الموظف لعمله بإخلاص يعتبر أمانة ومسؤولية، وقد أشاد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخلص في عمله القائم عليه بأمانة وإخلاص وبشَّره بالثواب الجزيل، يقول صلى الله عليه وسلم: «الخازن الأمين الذي يؤدي ما أمر به طيبة نفسه أحد المتصدقين»(١٣). إن الإخلاص في العمل الإداري وتحمل مسؤولية تحقيق النفع العام والمصلحة المنشودة للمواطنين وإتقان المهمة أو الوظيفة المنوطة بالإداري، كل ذلك يعتبره الإسلام شرطاً ضرورياً لإقرار أخلاقيات الإدارة، ولاشك أن الإخلاص في العمل الإداري بباعث قوي ونية صحيحة وإحساس بالمسؤولية كفيل بإصلاح العقليات وتخليق النفوس وتطهيرها، ودفع الموظف الإداري إلى الالتزام بالأخلاقيات المطلوبة في الحياة العامة والإدارية منها على وجه الخصوص، فأخلاقيات الإدارة تقتضي أن تكون نوايا رجل الإدارة المسؤول سليمة وغير متحيزة وهادفة نحو خدمة مصلحة المجتمع. إن الإخلاص في العمل الإداري يعني إتقان المهام الموكلة إلى الموظف، وهذا الاتقان يعتبر أحد ركائز مبدأ تخليق الإدارة، لأن المسؤول الإداري كلما كان متقناً لعمله ومحسناً في أدائه كلما استشعر بقوة وحدة مبادئ النزاهة والاستقامة والشفافية والإخلاص في خدمة مصالح المواطنين، وهذا المبدأ الذي هو مبدأ إتقان العمل والإخلاص في أدائه عبر عنه الإسلام منذ فجره عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»(١٤).

محاربة آفة الرشوة (رأس الفساد الإداري)

إذا كانت الرشوة في القوانين الوضعية خرقاً سافراً للنصوص المنظمة للعلاقات داخل المجتمع والتي تبنى على مبادئ احترام

الأفراد والجماعات وعلى حق الدولة وحدها في إدارة الشأن العمومي، فإنها - أي الرشوة - في الشريعة الإسلامية تعد صارخ على حُرمة الآخر الذي إن لم يكن أخاً في الإسلام فهو أخ في الإنسانية، لا يجوز انتهاك حرمته أو الاعتداء على كرامته، وهذا ما عبَّر عنه القرآن الكريم عندما حرَّم وجرَّم إعطاء أو أخذ الرشوة في قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) البقرة: ١٨٨. فالإدلاء بالمال إلى الحاكم «الحكام هنا بمعناها العام أي كل من له سلطة أو نفوذ يمارسه في قضاء مصالح الناس»، أمر مشين يدل على ضعف فكرة المصلحة العامة لدى المسؤولين. إن «ظاهرة الارتشاء» في المجتمع قد سيطرت على حياتنا الإدارية والقضائية على وجه الخصوص باعتبارهما من أكثر المجالات تعرضاً للإفساد والإغراء بحكم دورهما الحيوي وارتباطهما القوي بمصالح المواطنين، إنها فساد للذمم والأخلاق وخيانة للأمانة واستغلال للنفوذ وأكل أموال الناس بالباطل وتضييع لحقوق المواطنين وتعطيل لمصالحهم.

وإذا كانت القوانين الزجرية التي تفرض عقوبات على الموظف الآخذ للرشوة لم تُجدِ شيئاً بحكم محدودية جدواها وصعوبة ضبط مرتكبيها، فإن التجريم الإسلامي لهذه الآفة له أثره الكبير في دعم أخلاقيات الإدارة، ذلك أن الموظف الإداري إذا كان ذا مسحة من الضمير الحي وذا حظ من خشية الله فإنه يتورع من الإقدام على فعل شيء حرَّمه الله ورتَّب عليه عقاباً.

لذلك، فإنه ينبغي من أجل محاربة آفة الرشوة في المجال الإداري، أن يتم إضافة إلى ما يوجد من قوانين زجرية وعقابية، تحسيس الموظفين الإداريين بشدة التجريم الإسلامي لهذه الآفة التي لَعن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش بينهما(١٥)، ومما لا شك فيه أنه عندما يكون الضمير الخلقي للموظف الإداري متقداً ويقظاً، فإنه يراعي الحظر الديني أكثر من مراعاته للحظر القانوني وذلك بفعل الإيمان والوازع الديني اللذين إن بقي لهما مكان في قلب ووجدان الإنسان فإنهما يؤثران في سلوكه الأخلاقي أكثر من تأثير الرقابة الذاتية، وهذه هي أفضل أنواع الرقابة وأجداها يقول الله تعالى الآية ١٨ من سورة الحشر: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)، لذلك لابد من نشر الوعي الديني وقيم الأخلاق النبيلة والشعور بالمسؤولية والتبصير بالعقاب الأخروي في صفوف أبناء المجتمع المدني الذي يسهم بقوة في استفحال آفة الرشوة عن طريق تقديمها والإدلاء بها إلى الموظفين والمسؤولين الإداريين، وذلك لكي يتمكن المجتمع بكل شرائحه من الوفاء بهذا الالتزام والإقرار بالأضرار والعواقب الوخيمة المترتبة عن جريمة الرشوة سواء على مستوى النمو الاقتصادي أو على مستوى القيم والأخلاق الاجتماعية للبلاد.

لقد عمل الإسلام على صيانة المرافق العامة من أكل أموال الناس بالباطل وكان سبَّاقاً إلى تجريم الرشوة وإن قدمت في شكل هدية، ولعل وقوع كثير من الناس في الوهم والإيهام بأن ما يقدم للموظف والإداري قصد قضاء مصلحة إدارية أو تبسيط إجراء إداري إنما هو هدية وليس رشوة هو الذي أسهم بحدة في استفحال أمر الرشوة في الإدارة العمومية، وهذا ما فطن له الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أبدى في مجال الحكم والعمل الإداري توجيهه الحكيم فقال: «هدايا العمال غلول»(١٦) فوصف الرشوة بالهدية، يشير بذلك إلى أن العامل إنما يُهدَى إليه من أجل عمله، فكانت الهدية من باب الرشوة المحرمة التي لعنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهنا لابد من استحضار حديث نبوي رائع يدل دلالة واضحة وقوية على حرص الإسلام على صيانة الإدارة من أي اختلاس أو أخذ أموال الناس بالباطل، وهو ما يعرف بالغلول الذي نهى الله تعالى عنه في الآية ١٦١ من سورة آل عمران بقوله: «ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة» ويشمل هذا الغلول كل ما يأخذه المسؤول الإداري على وجه الحرمة، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»(١٧)، ولقد كان التوهم بأن ما يأخذه العامل الإداري من أموال الناس إنما هي هدايا جائزة أمراً قديماً حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء البيان النبوي واضحاً وفاصلاً، فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً من الأزد يُقال له ابن اللتبية على الصدقة «أي جمع الزكوات» فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعد المنبر «فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إليَّ أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة...(١٨)

وهكذا يمكن القول: إن تفعيل دور القيم والمبادئ الإسلامية في الحد من انتشار آفة الرشوة في المجال الإداري يعتبر مطلباً ملحاً، ومن السبل الفعالة والهادفة، غير أن الأمر ليس من السهل تحقيقه إذا لم يدرك كل مسؤول على حدة أنه محاسب أخروياً على كل انحراف أو استغلال للنفوذ وأنه يتحمل مسؤولية حسن تدبير المهام الموكلة إليه، فالمسؤولية هنا ترتبط ارتباطاً وظيفياً بالشخصية، ولذلك لا يطبقها إلا الإنسان الواعي بتكاليفها وثقل حملها حيث يتمثلها ويستحضرها في أثناء لحظات ممارسة العمل الإداري، وهنا لابد من التأكيد على أن المبدأ القرآني للمسؤولية مبدأ فردي يستبعد كل مسؤولية موروثة أو جماعية.

إن استهداف الحد من شيوع آفة الرشوة لا يتوقف فقط في نظرنا على تفعيل دور الأخلاق والقيم الإسلامية وتحفيز الضمائر الحية ومبدأ المراقبة، ولكن لابد من الدعوة إلى إيجاد أساليب إدارية أكثر نجاعة وفاعلية لاستبعاد شبح الرشا وتطبيق مقاييس زجرية ووقائية مناسبة وذات جدوى، إن من المفيد أيضاً أن يكون هناك فهم منظَّم ومنتظم لبحث كيفية وسبب وبواعث طلب أو أخذ الرشا وذلك بهدف تحديد سبل القضاء على آثارها السلبية والمضرة.

إقرار الذمة المالية للموظف الإداري (نظام إقرار الممتلكات)

من وسائل المراقبة التي عمل الإسلام على تكريسها ومراعاتها بهدف الحيلولة دون وقوع تجاوزات ومخالفات من طرف الموظف الإداري، فيما يخص مسألة اختلاس المال العام أو ما يعرف في الاصطلاح الإسلامي بالغلول، وسيلة إقرار الذمة المالية للموظف الإداري، فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يطلب من كل من ولاه أمراً من أمور الدولة أن يقدم عند تعيينه قائمة بكل ما يملك ثم يراقب أي زيادة غير عادية سواء في أثناء مدة الوظيفة أو بعدها ومن تعلل منهم بالاتجار لم تقبل دعواه ويقول له: «إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجاراً»(١٩). وقد صادر أموال بعض الصحابة الذين بعثهم إلى الأمصار والآفاق لجمع الزكوات لما اجتمعت لهم أموال ضخمة وتذرعوا بكونها أنها اجتمعت لهم بسبب القيام بأعمال التجارة، وقد قال لأحدهم مرة: «انظر إلى رأس مالك ورزقك فخذه واجعل الآخر ببيت المال».(٢٠)

ولاشك أن هذا الذي فعله مع موظفي إدارته يسمى في النظم الحديثة بإقرار الذمة المالية، حيث توصلت أخيراً إلى محاربة الفساد الإداري بوضع قوانين للحد من «الكسب غير المشروع، أو قانون من أين لك هذا»، ويقصد بالكسب غير المشروع في النظم المعاصرة كل مال يحصل عليه الموظف الإداري بسبب استغلاله لعمله أو مركزه وسلطته، وبهذا يتبين لنا أن نظام إقرار الذمة المالية ليس جديداً، بل كان التقنين الإداري الإسلامي في صدر الإسلام سبّاقاً إلى وضع هذه الوسيلة الرقابية التي تستهدف تخليق الإدارة على مستوى الحد من الكسب غير المشروع والعمل بالتالي على حصر عمل العامل والإداري في خدمة المواطنين، ثم إن هذا الذي فعله عمر رضي الله عنه وغيره من الخلفاء والولاة في منع العمال والإداريين من ممارسة التجارة هو ما نراه اليوم من أن معظم الدول لا تسمح لموظفيها الإداريين بالاشتغال بالأعمال التجارية.

الرقابة الإسلامية على الإدارة من خلال ولايتي الحسبة والمظالم

إن نظام الرقابة في الإسلام وبخاصة في مجال الحكم والإدارة لايرتبط بأوقات معينة أو دورات محددة، وإنما هو عمل إجرائي منتظم لا يتوقف، ويسري مفعوله مع سريان وحركة العمل الإداري ذاته، ولذلك كانت لهذا النظام إيجابياته وجدواه وبخاصة عن طريق إحداث ولايتي الحسبة والمظالم اللتين اعتبرتا من أنجع وسائل الرقابة الإسلامية، لأنهما كانتا دائماً مسلّطتين على عمل العامل أو المسؤول الإداري، لا يستطيع الفكاك عنهما أو التخلص من سطوتهما إن هو أساء التدبير وخان الأمانة والمسؤولية.

إن نظام الحسبة في الإسلام نظام رقابي في الدولة يستهدف

ضعف مستوى الوازع الديني دفع بالمسلمين إلى إنشاء قضاء المظالم

الحفاظ على الشرعية والالتزام بالمبادئ والقيم والقوانين المتعارف عليها وقد برزت فكرة الحسبة كمنظمة إدارية ترعى مختلف الجوانب المرتبطة بالمجتمع تحقيقاً لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك من أجل تقويم سلوك الأفراد والجماعات ومحاربة الفساد والغش والتسيب الأخلاقي. لقد كان لخطة الحسبة عبر التاريخ الإسلامي أثر بالغ في دعم أخلاقيات الإدارة والحفاظ على السلوك الأخلاقي للموظفين، وإذا كانت مجالات عمل المحتسب قديماً كثيرة ومتعددة تشمل مختلف مبادئ الحياة الاجتماعية، فإنه في مجال السلطة الإدارية كانت تناط بالمحتسب قديماً مهام كثيرة ومتعددة تشمل مختلف مبادئ الحياة الاجتماعية، فإنه في مجال السلطة الإدارية كانت تناط بالمحتسب رقابة الصرح الإداري مع كل ما يخل بالسلوك المرغوب فيه والعمل على محاربة آفة الرشوة والإهمال والتفريط في حقوق ومطالب المواطنين ومناهضة المحسوبية وغير ذلك من الآفات التي تصيب إدارة شؤون الناس وتدبير أمورهم، ويمكن القول: إن وظيفة الحسبة، كما هي مقررة في كتب الأحكام السلطانية وكما مورست في صدر الإسلام كانت تطال كل ما يرتبط بحقوق الله من جهة وحقوق العباد من جهة أخرى مما يعني أنه في المجال الإداري كان هناك ضبط واهتمام بالغين بمدى التزام الموظفين والعاملين والإداريين بشعائر الإسلام الواجبة من جهة وقواعد السلوك والأخلاق العامة من جهة أخرى «إدمان الموظف على شرب الخمر مثلاً، فالمسألة وإن لم ترتبط مباشرة بمصالح الموظفين إلا أن الزجر لمرتكب ذلك وتعزيره كفيل بأن يسهم في دعم الأخلاقيات مباشرة في المجال الإداري»، ذلك أن الذي لايتورع عن الوقوع فيما حرَّم الله من شأنه ألا يراعي مبادئ الأخلاق السليمة في ممارسته للعمل الإداري، وقد يبدو العكس غير صحيح في كثير من الحالات التي يظهر فيها الموظف الإداري استقامة ظاهرة والتزاماً بشعائر الإسلام، لكن ذلك لم يمنعه من الانحراف عن الأخلاقيات المطلوبة في الإدارة.

من جهة أخرى فإن نظام الرقابة الإدارية بمختلف أنواعها تختلف عن نظام الحسبة في فاعليتها وجدواها، ذلك أن المحتسب يجد أمامه الحرية والمجال لمراقبة المسؤولين الإداريين بعيداً عن التقنينات والإجراءات والمساطر الإدارية المعروفة، فبقدر ما يستطيع التحرك داخل التنظيم الإداري لتقويم الأداء ومراقبة فعالية تدبير مصالح المواطنين يستطيع الاتصال بعامة الناس والاطلاع على مطالبهم وتظلماتهم من تصرفات المسؤولين الإداريين. من جهة أخرى، فإن الحسبة في الإسلام كنظام رقابة فعّال لا تقتصر على من يتولاها ممن توكل إليه «المحتسب» وإنما يتولاها كل فرد في الشعب. فهي رقابة شعبية يراقب من خلالها كل مواطن تصرفات الأجهزة الإدارية على جميع مستوياتها خاصة من وجهة النظر الأخلاقية.

من هنا يأتي الدور البارز والأهمية البالغة لولاية المظالم كما عرفها التاريخ الإسلامي، ولابد من التذكير هنا بأنه إذا كان الوازع الديني والضمير الخلقي وخشية الله قد أغنت المسلمين في فجر الإسلام عن تلمس ضمانات تنظيمية ضد الشطط في استعمال السلطة والتعسف والانحراف، فإن ضعف مستوى الوازع الديني بعد ذلك دفع بالمسلمين إلى إنشاء قضاء المظالم، ولقد ذكر الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» أن الرقابة القضائية على الجهاز الإداري للدولة تتم بمعرفة ولاية المظالم التي نشأت تدريجياً لما فيها من خصائص القضاء والتنفيذ معاً(٢١)، وذكر القاضي أبو يعلى الفراء أن النظر في المظالم يشتمل على عشرة أقسام منها:(٢٢)

النظر في تعدي الولاة على الرعية فيتصفح عن أحوالهم ليقويهم إن أنصفوا ويكفُّهم إن تعسفوا، ويستبدلهم إن لم ينصفوا، ثم النظر أيضاً في كُتَّاب الدواوين لأنهم أمناء المسلمين على بيوت الأموال فيما يستوفونه ويوفونه فيتصفح أحوالهم فيما وُكِّل إليه من زيادة أو نقصان ثم هناك أيضاً النظر فيما عجز عنه الناظر في الحسبة من المصالح العامة.

وإذا كان هدف القضاء الإداري في الأنظمة القانونية الحديثة هي حماية المشروعية من اعتداءات الإدارة وحالات استعمال الشطط والتعسف في السلطة، فإن ولاية المظالم في جانبها تختص بالنظر في كل التظلمات التي ترفع إليها، فتكون مجالات نظرها أوسع وأقوى من مجالات تخصص القضاء، وقد عرف القانون الإداري الحديث ما يعرف «بنظام التظلم الإداري» الذي يختص فيما لا يمكن إدراكه عن طريق القضاء من النظر في كل تظلم أو شكوى أو مراجعة لرفع الضرر الحاصل، ومما لاشك فيه أن تخصيص محاكم إدارية للنظر في تظلمات المواطنين والإداريين على السواء من الممارسة الإدارية كل ذلك كفيل بأن يحقق نوعاً من التخليق الفعّال والردع الهادف إلى التقليص والتخفيف من حالات التسيب الأخلاقي في العمل الإداري.

الحسبة في الإسلام نظام رقابي في الدولة يستهدف الحفاظ على الشرعية والالتزام بالمبادئ والقيم

إن نظام الرقابة في الإسلام هو الذي برَّر وجود وتطور نظام الحسبة ونظام المظالم وغيرهما من نظم الضبط الإداري إلى جانب النظام القضائي العام. وفي الأنظمة الحديثة تفترض الرقابة الإدارية أن يحترم الموظفون المبادئ الأخلاقية التي يكونون قد اكتسبوها من البيئة الاجتماعية والوظيفية، كما أن المواطنين يفترضون في الموظف الإداري تمسكه بالقيم الأخلاقية أكثر من غيره ذلك لأن الخدمة العامة تعتبر أمانة وضعها الشعب في عنق الموظف ليحافظ عليها(٢٣) فعلى سبيل المثال أصبح للوقت في عصرنا الحاضر قيمة عظيمة تستلزم من المواطن الإسراع في تحقيق مطالبه وحل مشاكله، وهنا يأتي دور الموظف الإداري في الاستجابة والمبادرة إلى قضاء مصالح الناس من دون مماطلة أو تسويف، وقد كان الخليفة عمر - رضي الله عنه - يوجه الولاة والعمال إلى سرعة البت في الأعمال حتى لا تتراكم عليهم فلا يستطيعون حل قضايا الناس ومشاكلهم: «لا تؤخروا عمل اليوم إلى الغد، فإنكم إن فعلتكم ذلك تذاءبت عليكم الأعمال لا تدرون بأيها تبدأون ولا أيها تؤخرون»(٢٤)، وهذا هو الأسلوب نفسه الذي تدعو إليه النظم المعاصرة للتخلص من الرتابة من جهة والسرعة في البت في القضايا والمشاكل الإدارية من جهة أخرى.

هذه إذاً بعض المفاهيم والمبادئ الإسلامية التي تُهم المجال الإداري في الدولة من حيث تخليقه وإصلاحه وترشيده، وقد اقتصرنا على نماذج معدودة تدل على أصالة التوجيهات الإسلامية الهادفة إلى تعزيز ودعم السلوك الأخلاقي في كل المجالات والميادين على اعتبار أن الإسلام لا يفرق بين مختلف جوانب الحياة العامة والخاصة للإنسان. لذلك كان الإسلام سباقاً ورائداً في مجال تخليق الحياة العامة التي تعتبر الحياة الإدارية للدولة من أبرز مكوناتها وروافدها ●

تشمل الحلقة الأولى التي صدرت في العدد ٤٢٧، والعدد الحالي ٤٢٨، التي سقطت سهواً في الحلقة

المراجع

١ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، حديث رقم ٨٩٣ وأحمد في مسنده ٥٤/٢.
٢ - رواه مالك في الموطأ.
٣ - غافر: ١٩.
٤ - د.فوزي حبيش: الإدارة العامة والتنظيم الإداري، بيروت ١٩٩١ ص ٢٠٠.
٤ - رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك.
٥ - المائدة: ٧٩.
٦ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم وانظر كتاب السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٦.
٧ - رواه الحاكم في مستدركه ٩٢/٤.
٨ - كتاب الخراج لأبي يوسف، طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ص ٥٥.
٩ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة ١٦.
١٠ - الأنفال: ٢٧.
١١ - كتاب الأموال لأبي عبيد، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر بيروت ص ٢١٢.
١٢ - الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٦.
١٣ - أخرجه البخاري في كتاب الإجازة، باب استئجار الرجل الصالح.
١٤ - رواه الطبراني في معجمه.
١٥ - في الحديث الذي رواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام.
١٦ - رواه أحمد في مسنده ٤٢٤/٥.
١٧ - رواه أبو داود في سننه، كتاب الإمارة ١٠.
١٨ - حديث متفق عليه.
١٩ - سراج الملوك للطرطوشي ص ١٦٦.
٢٠ - كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٤٤.
٢١ - الأحكام السلطانية للماوردي ص ٧٧.
٢٢ - الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، طبعة دار الفكر ١٩٩٤م، ص ٨٤.
٢٣ - فوزي حبيش: مرجع سابق ص ١١٦.
٢٤ - رسالة عمر - رضي الله عنه - في القضاء للدكتور أحمد سحنون، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ١٩٩٢م.

بصائر دعوية في جانب مناهج الدعوة وأساليبها

الحلقة (١٨)



بقلم:
د. محمد أبو الفتح البيانوني
كلية الشريعة - جامعة الكويت

نتناول في هذه الحلقة بصائر دعوية جديدة بجانب المناهج والأساليب الدعوية الأخرى، فمن البصائر الدعوية في هذا الجانب:

١ - التعرف إلى أسلوب الحوار والمجادلة بالحسنى، والوقوف على مواطن استعماله ومظاهره:

إذ المجادلة بالحسنى، والحوار الدعوي منهج قرآني وعلاج رباني، وأسلوب نبوي، ما أحوج الدعاة إليه فيما بينهم، ولاسيما مع انتشار مرض الإعجاب بالرأي الذي فشا بين الناس، والذي عدَّه الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى المهلكات الثلاث!!.

وما أحوجنا إليه في الدعوين، ولا سيما الذين يغلب على سلوكهم الطابع الجدلي، ولا يؤثِّر فيهم المنهج التعاطفي!!.

ومن هنا جاء الأمر باستخدامه، كما جاء الأمر في استخدام الحكمة والموعظة الحسنة، فقال سبحانه: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل:١٢٥.

وحسبنا دليلاً على أهميته: أن الله عز وجل ارتضاه لنفسه، فحاور عباده، واعتمده في خطاباته مع إنسه وجنه وملائكته.

كما اعتمده الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، فحاور جميع من حوله من المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب، حتى أصبح الحوار شعاراً لأحاديثه مع أهله وأصحابه، وطابعاً عاماً لأسلوبه في دعوته، لا يفرق فيه بين كبير وصغير، ولا بين قريب وبعيد، ولا بين ذكر وأنثى.

فكان الحوار بذلك أسلوباً ناجحاً، وسنة متبعة في تعليم الناس وتزكيتهم، وإنقاذهم من الضلالة إلى الهدى.

فبالحوار والمجادلة بالحسنى: يصبح الغضوب حليماً، والعجول متأنياً، والظّان متيقناً، والمبغوض محبوباً، والبعيد قريباً، والمحجم متعاوناً، والقاعد متحركاً، واليائس طموحاً، والمتثاقل المحبط نشيطاً متفائلاً.

كما يُصبح الغامض واضحاً، والمبتلى معافى، والمخالف موافقاً، والمنكر عاذراً.

هذا إذا لوحظ في الجدل والحوار آدابه وضوابطه التي طبقها القرآن الكريم، وأصلها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، ونص عليها العلماء والنظار.

ومن هنا قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم، فالجدل هو الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب، ويؤدي إلى خير.

والجدل المذموم: هو الذي لا تستقيم أهدافه، ولا تسلم أساليبه وألفاظه، ولا يؤدي إلى خير.

لذا جاء الأمر به مقيداً بالتي هي أحسن، حتى لو كان الجدال لغير المسلمين، فقال تعالى: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) العنكبوت:٤٦.

٢ - وإن من البصائر الدعوية أيضاً في هذا الجانب: التعرف إلى أسلوب (القدوة الحسنة) والوقوف على أهميته وحسن آثاره.

إن أسلوب القدوة الحسنة من أعظم الأساليب تأثيراً في النفوس البشرية، وأعظمها سرعة في انتقال الخير إلى الآخرين، وذلك لأن

تمسك الداعية بالأمر وأخذه به عملياً أكثر إقناعاً للمدعوين به من الحديث عنه والثناء عليه.. فبمجرد العمل بالخير الذي يدعو إليه وتطبيقه تحصل قناعة الآخرين بصلاحيته للتطبيق، وتبرز محاسنه أمامهم - كما هو مشاهد في حياة الناس.

كما أن هذا الأسلوب يحقق سلامة الأخذ وضمان الصحة أكثر من غيره، ولاسيما في الأمور الدقيقة والمسائل المهمة.

ومن هنا: كان تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته الصلاة، والحج مثلاً، تعليماً عملياً بالقدوة الصالحة، حيث صلى فيهم وحج وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وكما أمرهم أن يأخذوا عنه مناسكهم - كما جاء في الصحاح.

بل إن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة الإسراء ليعلمه كيفية الصلاة عملياً، واقتدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، واقتدى الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في البخاري.

كما أن أسلوب القدوة الحسنة أعمق تأثيراً في النفوس، وأسرع في استجابتها لما تدعى إليه.

ومن هنا: أشارت أم سلمة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمبادرة إلى الحلق والتحلل يوم الحديبية ليقتدي الناس بفعله، وكان كما قالت رضي الله عنها - كما روى البخاري.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بإناء من لبن أو ماء، فشرب أمام الناس وأفطر من صيامه، فقال المفطرون من أصحابه لما رأوا ذلك للباقين: افطروا - كما روى البخاري.

ولما كان الناس يتأثرون بالمحاكاة والقدوة أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع... ولما كان أثره عاماً شاملاً لجميع الناس على مختلف مستوياتهم، حتى الأمين منهم... اقتضت حكمته سبحانه أن يرسل الرسل إلى الناس، ولم يكتف بإنزال الكتب عليهم، بل أرسل الرسل، وقص على الناس قصصهم، وعرض سيرتهم، ثم أمر باتباعهم والاقتداء بهم... قال تعالى: (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الأنعام: ٩٠.

فليحرص الداعية على أن يكون داعية بعمله وسلوكه قبل أن يكون داعية بقوله ولسانه... وليحذر كلّ الحذر من أن يخالف قوله عمله، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون. كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) الصف: ٢ - ٣.

بالحوار والمجادلة بالحسنى: يصبح الغضوب حليماً، والعجول متأنياً، والظان متيقناً

٣ - وإن من البصائر الدعوية في هذا الجانب أيضاً: ضرورة أن يتفهم الداعية خصيصة التطور في الأساليب والمناهج، فلا يجمد على منهج وأسلوب معيَّن.

ذلك لأنه قد يصلح منهج أو أسلوب دعوي مع شخص معين في حال معينة، أو عمر معين، ولا يصلح لغيره، أو في حال أخرى وعمر آخر.

أسلوب القدوة الحسنة أعمق تأثيراً في النفوس لما تدعى إليه

والأصل في المناهج والأساليب البشرية أنها اجتهادية متطورة، يمكن للدعاة أن يحسِّنوا منها ويطوروا فيها حسب مقتضيات عصرهم، واحتياجات الناس المدعوين من حولهم.

وحسبنا دليلاً على هذا، عمل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، والسلف الصالح وسنتهم في تطوير أساليب حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية.

فقد عملوا على تطوير أسلوب حفظ القرآن الكريم، من حفظه في الصدور، وعلى السطور موزعاً في الرقاع، إلى جمعه كاملاً في زمن أبي بكر رضي الله عنه، ثم إلى توحيد المصاحف زمن عثمان رضي الله عنه، ثم إلى تنقيطه وتشكيله... وهكذا.

كما عمل السلف الصالح على تطوير أسلوب حفظ السنة النبوية، بعد أن كان يكتبها بعض الصحابة رضي الله عنهم، إلى الاهتمام بتدوينها وجمعها كاملة، وتمييز صحيحها من سقيمها، والتدقيق البالغ في أحوال رواتها.

والعجب ممن يقف على منهج السلف الصالح في تطوير أساليب القرآن الكريم، والسنة النبوية، ثم يقف جامداً على أساليب دعوية أخرى في الحركة والدعوة، ولا يفكر بتطويرها، ويتحرج من التغيير فيها، وكأنها ثوابت شرعية في نظره!.

وذلك في الوقت الذي طور فيه الأعداء من أساليبهم، وتفننوا ولا يزالون في تنويعها وتشكيلها، واستيعاب حياة الناس وأحوالهم بها!.

ولو تبصر الدعاة بحقيقة دينهم، وتفهموا خصائص دعوتهم، لكانوا أسبق الناس إلى تحقيق الأصالة والمعاصرة في دعوتهم.

هذه بعض البصائر الدعوية بجانب المناهج والأساليب، لو تبصَّر الناس بها، وأفادوا منها في دعوتهم اليوم لتغيَّرت حالهم، واستجاب الناس لدعوتهم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وإذا كان الناس من حولنا يقبلون على بعض الدعوات الباطلة، ويعتنقون بعض العقائد الفاسدة، والخرافات المفضوحة بسبب أساليب الدعاة إليها، وتزيينها للناس، فإن الناس أكثر قبولاً لدعوة الحق والهدى، وأسرع استجابة لدين الفطرة، إذا ما قدمه أصحابه للناس على الوجه الجميل الجذاب.

وإن كثيراً من إعراض الناس عن هدي الإسلام اليوم، إنما يعود لحال الدعاة إليه، وضعف أساليبهم ووسائل دعوتهم.

نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يهدينا سواء السبيل، وأن يصلح لنا أعمالنا، ويغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا في حق دعوتنا... إنه سميع مجيب ●

بقلم: محمد عبدالحكيم القاضي

إشراقات إسلامية في سماء التقنية المعلوماتية

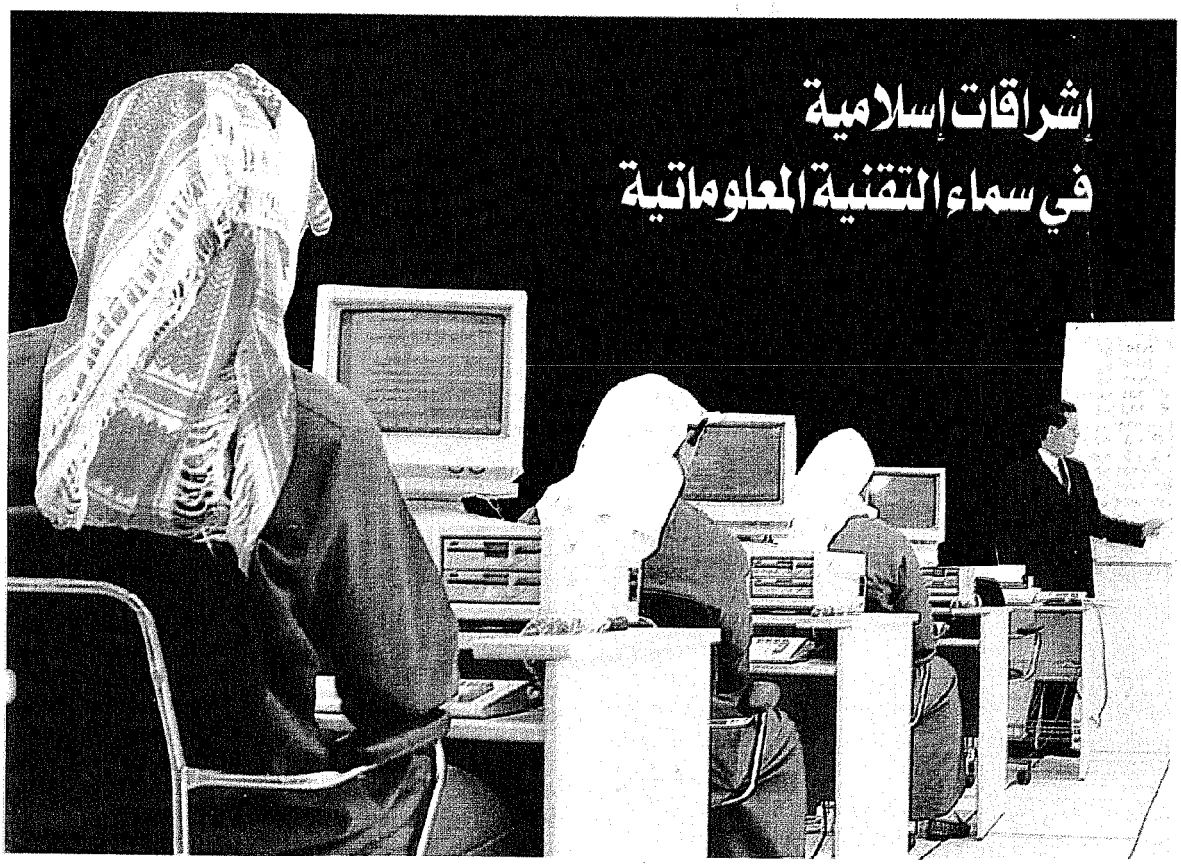

هناك خاصة تتميز بها الخلايا الحيوية التي تكوِّن البنية الأساسية للإسلام، وهي تَقَبُّلُ المعرفة، والنماء الذاتي من خلال استجلاب المقومات الحضرية المطروحة بعد فرزها عبر جهاز دقيق التكوين من المصافي المتعددة الخصائص، والتي تقوم في جملتها على الثوابت الشرعية والعقدية التي تشكل الطابع العام للحضارة الإسلامية.

ولم تنس العناصر الأولية لهذه الأمة أنها فتحت عينيها في مهدها الأول على جلجلة الوحي السماوي: (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علَّم بالقلم. علَّم الإنسان ما لم يعلم) القلم:١-٥. وهذا التشكيل الربَّاني لجنين الحضارة الإسلامية في رحم التاريخ هو الذي كفل لها - رغم تخلف البيئة التي نمت فيها بوجه عام - أن تنطلق في دروب التطور وتستوعب جميع الحضارات - ماضية ومضارعة - لتسبقها جميعاً - كماً وكيفاً - وتُشيِّد صرحاً ربَّاني المنبع، إنساني الغاية، يتحاور مع قدرات البشرية - معرفة وطاقة - ويتجاوب مع حاجاتها - مادة وروحاً، وعلماً، وفكراً، وقلباً وعقلاً، ومثالاً واقعاً. حتى أصبح الصبح على العالم كله (آسيا وإفريقيا وأوروبا) لتتجسد في النموذج الإسلامي كل أحلام الأدباء، وتصورات الحكماء، وتشرق شمس العرب على الغرب على حد تعبير «زجريد هونكه» - محمِّلة بآمال البشرية في السعادة والتخلص من الجهل والطغيان والتقوقع واللااتزان.

سلاسة البرمجة وتيسير استخدامها هو السرّ الأول وراء نجاح الشركات العملاقة

من ثمة ندرك حقيقة عزيزة قلَّما يتفطن إليها المنصف - بله الجاحد - وهي أن هذه الأمة ليست أمة متخلِّفة لا في طاقاتها ولا في قواعدها الحضارية، وإنما هي مكبَّلة بمجموعة من القيود تعوق انطلاقاتها، ويحسن أن نؤجل الحديث في تفصيلاتها لنلج الآن إلى جانب يجدِّد الدلالة على ما سبق من المعاني، ولا أقول يؤكدها، لأن ماضي هذه الأمة قد تولى هذا التأكيد، وهذا الجانب هو الانطلاقة الإسلامية في مجال خطير من مجالات التفوق العلمي التي تُشكِّل خريطة الصراع من أجل السيادة، أو بالأحرى الصراع من أجل البقاء، ألا وهو مجال «تقنية المعلومات»، الذي يعد الآن زمام الحضارة في عالم المستقبل.

طابع حضاري خاص

وفي مقابل «الذوبان الحضاري» و«غياب الذات» أو «تغييبها» في مجالات ثقافية متعددة للأمة داخل إطار النهضة الحضارية العامة، أقول: في مقابل ذلك نجد في جانب التقنية المعلوماتية شخصية فكرية متميزة، وطابعاً حضارياً خاصاً، يستلهم «الإسلام» بآفاقه الواسعة، ويتغيا قيمه الغنية بمقومات البقاء، وليس المقصود بذلك تورُّط الأمة الإسلامية هنا في مأزق التقوقع أو استسلامها لجدلية الذاتية المحضة، فالعطاء الوليد في المجالات العلمية المختلفة كالطب والفلك والتربية، والرياضيات وغيرها يومئ بشمولية مرتقبة، ويبقى المقصود الأول هنا هو الشخصية الإسلامية في مجال التقنية المعلوماتية، الأمر الذي يُشعر بأمل كبير في نجاح المسلمين في تجاوز مخاطر «العولمة» التي تحاول افتراس جميع الخصوصيات ومضغها وتذويبها قسراً لتكون واحدة من عناصر النموذج الأميركي المدمِّر.

ولعلَّ إطلالة على البرمجيات التي أنتجها العقل الإسلامي منذ الثورة المعلوماتية في الدنيا تحاول أن تتلمَّس ملمحاً للخصوصية في خضم طغيان التذويب المستمر، وهذا الملمح - أياً كان حجمه وتميز تقاسيمه - يمكن أن يكون منطلقاً صالحاً لمرحلة الالتئام على الذات، ذلك الالتئام الذي لا يستكبر أن يكون «الآخر» مُعيناً له في تدبير واقعه، إلا أنه يأنف أن يملي عليه هذا الآخر تفاصيل حياته.

يستنتج المرء من خلال الملاحظة العابرة - بدءاً - أن هذه البرمجيات تهدف إلى خدمة الإسلام وقضاياه في المقام الأوَّل، ولو افترضنا - وهو فرض وارد - أن للعنصر التجاري دوراً ما في هذا المضمار، فالنظرة المتأمِّلة - وإن كانت لا تصادر هذا الفرض - إلا أنها تُقلِّصه إلى أضيق نطاق، في أدنى درجة من درجات المقارنة بين نوعيات البرامج وأهدافها الواضحة التي تجعل الخدمات الإسلامية - كماً وكيفاً - على قمة قائمة الاهتمامات.

الكتاب الإلكتروني

تنافست الشركات المنتجة للبرمجيات في تقديم الثقافة الإسلامية بألوانها

فإذا ذهبنا نقسم اهتمامات هذا الإطار العام - وهو خدمة الإسلام وقضاياه - إلى مجموعة من الوسائل - وجدنا عدداً يصعب حصره من هذه الوسائل، إلا أننا في هذه العجالة سنركِّز على أهم المهمات منها، تلك التي تمثلت في الثقافة الإسلامية.

فقد تنافست الشركات المنتجة للبرمجيات، وكذلك المواقع المختلفة على الإنترنت في تقديم الثقافة الإسلامية بألوانها المتنوعة، وأوَّل ما يلفت النظر فكرة «الكتاب الإلكتروني» E.Book، إذ تعددت الخدمات للكتاب الإسلامي بعامة في كل روافد الثقافة الإسلامية، وحسبنا أن نقرر أنه ما من ميدان من ميادين الثقافة الإسلامية إلا بُرمجت أهم كتبه بتقنية إلكترونية تتغيا أقصى درجات الإفادة منه - مع مراعاة الفروق المفترضة في طريقة التقنية ودرجة جودتها بين الشركات والمواقع المختلفة، فقد عبَّأت «الشبكة الإسلامية» في موقعها على الإنترنت http://www. islam.net مكتبة إسلامية إلكترونية متنوعة، بينما اهتمت الشركات بتطبيق التخصص على كثير من نتاجها الإلكتروني في مجال الكتاب، ففي ميدان القرآن وعلومه يصدر - «مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي» - وهو مركز أردني الجنسية، إسلامي الوجهة، عربي الانتشار(١) - إصدارين لبرنامجه «مكتبة التفسير وعلوم القرآن» والتي تضم نحو مئة كتاب من أمات كتب التفسير والقراءات وعلوم القرآن، وهي مكتبة لا تقبل المنافسة، لثرائها، وتكاملها(٢)، وفي مجال خدمة الكتاب العزيز نصاً، تنافست الشركات المنتجة في خدماتها المتنوعة بدءاً من تسجيلات صوتية لأشهر المقرئين، وانتهاء بتراجم متنوعة للقرآن الكريم، ولعل برنامج القرآن الكريم ٧,٠١ الذي أصدرته شركة حرف لتقنية المعلومات - التي حملت على عاتقها مشقة العناية الفائقة بالبرامج الإسلامية - يعد الأجود بين مجموعة من البرامج الممتازة في هذا الميدان، خصوصاً أنه يتميز بترجمة الكتاب العزيز إلى ست لغات مع مجموعة من الخصائص الأخرى، وإذا أشرنا إلى إضافة الترجمة الأندونيسية التي قدمتها الطبعة الدولية من برنامج «الفرقان» فينبغي أيضاً أن نشير إلى إضافة الترجمة الفارسية وبعض التفاسير باللغة الفارسية التي صنعها مركز البحوث الكمبيوترية في برنامجه «نور الأنوار» بالإضافة إلى تسجيل لتلاوة القارئ الإيراني «برهيزكار» الذي يعد ضيفاً على الآذان العربية.

العناية بالعلوم الشرعية

وأما الحديث النبوي فقد لقي عناية فائقة من المبرمجين المسلمين، ويبرز هنا الدور الذي قام به مركز التراث في خدمة الحديث النبوي، إذ له في هذا الشأن أربعة برامج:

الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف، وهو برنامج ثري جداً من حيث كمية المصادر التي أوفت على أغلب ما يحتاجه الباحث في علوم الحديث رواية ودراية، وكذلك من حيث كيفية البحث وآلياته التي أظهرت عناية فائقة بالبحث في السنّة المباركة.

وأما البرنامجان الآخران فهما «المكتبة الألفية للسنّة» التي زادت على الألف مجلد وكتاب، ومكتبة «الأجزاء الحديثية» وهي فكرة جيدة، إلا أنها مأخوذة من البرنامجين السابقين.

إلا أن البرنامج الرابع يعد تميّزاً في درب البحث، وهو «مكتبة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، فعلى الرغم من تواضع آليات البحث فيه، واقتصاره على متن الحديث الضعيف أو الموضوع من الإشارة إلى مكان وجوده في كتب الأحاديث المختصة بهذا الفن - إلا أنه تعقب هذه النوعية من الأحاديث في مظانها من كتب الموضوعات والأحاديث المشهورة وغيرها.

وقريب من هذه العناية نجد العناية بالفقه الإسلامي، إذ يقدم كل من شركة العريس،

ومركز عبداللطيف للمعلومات، ومركز التراث، وشركة حرف - برنامجاً شبه متكامل لكتب الفقه الإسلامي، إلا أن برنامج «جامع الفقه الإسلامي» هو الأجود، والأكثر استيعاباً، إذ يحتوي على مئة كتاب ضخم من أمات المصادر الفقهية التي تعد زاد الباحث في متنوع دروب الفقه، سواء كان فقه مذاهب مشهورة أو مغمورة، أو تفسيراً لآيات الأحكام أو أحاديثها، أو فقهاً مقارناً أو أصول فقه، أو مجموعات فتاوى للعلماء أو موسوعات فقهية أو كتب قواعد فقهية أو كتباً في السياسة الشرعية أو الآداب الشرعية، أو كتباً في الاصطلاح الفقهي ولغة الفقهاء أو غير ذلك من موارد الفقه الإسلامي الثرية، كما يتميز هذا البرنامج بأدوات بحث متقدمة جداً بذل فيها القائمون عليها قصارى الجهد فجزاهم الله خيراً عن دينه.

ولو ذهبنا نتحدث عن بقية العلوم الإسلامية لاحتاج الأمر إلى أضعاف المساحة التي تخصص لمثل هذه الدراسة، إلا أنه يمكننا الإشارة إلى المكتبات الضخمة في التاريخ الإسلامي «إصدار عبداللطيف»، وفي المعاجم اللغوية «إصدار شركة العريس»، وفي الفتاوى وفي السيرة النبوية وغيرها من الميادين التي اخترقها المبرمج المسلم ليضع صفحات الكتاب في صورة إلكترونية تتمتع بجميع إمكانات هذه الطاقة الهائلة.

المكتبة الصوتية الإسلامية

إلى جوار الكتاب الإلكتروني نجد اهتماماً قوياً بالمكتبة الصوتية باعتبارها وسيلة دعوية، إذ تخاطب الجماهير الغفيرة دعاية وتربية وتعليماً، ونلاحظ أن الموقع الإسلامي Islamic voice على شبكة الإنترنت قد قدَّم لنا نموذجاً حياً ومتجدداً للدعوة من خلال الكلمة المسموعة، سواء كانت خطبة أو درساً علمياً أو نشيداً يخاطب مكنون العواطف. وفي هذا السياق يبرز المركز الهندسي للأبحاث التطبيقية (RDI) إذ يقدم مجموعة مميزة من الصوتيات المدعومة بلقطات الفيديو، تشمل خواطر الشيخ الشعراوي - يرحمه الله - حول القرآن الكريم، وخطب الشيخ عبدالحميد كشك - يرحمه الله أيضاً -، ومجموعة دروس الشيخ عمر عبدالكافي حول الدار الآخرة، وشرح الشيخ حسن أيوب لكتاب سبل السلام للصنعاني إلى جانب الدروس العلمية للشيخ يوسف القرضاوي في الفقه والأصول والتربية.

وتلت هذه المحاولة الرائدة والموفقة من (RDI) مجموعة من المشاركات في هذا المجال، فقد أصدرت شركة (آفاق المستقبل) أخيراً موسوعة شاملة وجامعة لما يهم المرأة - جعلت الطابع الإسلامي غالباً عليها - سمتها «موسوعة حواء من الألف إلى الياء»، تخللها ست عشرة ساعة صوتية، ونحو عشر ساعات من عرض الفيديو إلى جانب استخدام الكتاب الإلكتروني والرسومات والمؤثرات الصوتية المختلفة، كما أصدرت الشركة الناشئة «آية سوفت» برنامجاً صوتياً مزوداً بالخرائط ولقطات الفيديو حول الفتوحات الإسلامية، سجلت فيه محاضرات الأستاذ وجدي غنيم في هذا الموضوع.

إلى جانب هذا نهضت شركات عربية بعرض الكثير من مواقف السيرة النبوية والتاريخ عرضاً صوتياً مع اختزان بعض لقطات الفيديو، مثل شركة سفير، في برنامجها القوي «موسوعة التاريخ الإسلامي»، ومؤسسة الرشيد - السورية الموقع - في برنامجها «السيرة النبوية»، وغيرها، وهذا يدل على تنوع الوسائل التي استخدمها المبرمج الإسلامي لينهض بعطائه المعلوماتي، ويشير إلى آمال مكنونة في ابتعاث الطاقات الكامنة داخل الإنسان المسلم حينما تجد من يستثيرها ويرعاها.



وماذا عن الطفل والأسرة؟

ومن أهم روافد المكتبة الصوتية المزوَّدة بالفيديو والكرتون في حزمة الإلكترونيات الإسلامية تعد برامج الطفل، ولعل شركة «سفير» من أعرق الشركات التي اهتمت ببرامج تربوية الطفل، سواء في الشكل الورقي أو شكل الشريط الكاسيت أو القرص المغنط، فقد قدمت لنا برامج إليكترونية سهلة وميسرة للطفل، فهناك برنامج «هيا إلى أركان الإسلام»، والذي يشتمل على وسائل متعددة ويرمي إلى أبعاد تربوية عالية للطفل المسلم، أما مجموعة خليفة للهندسة والكمبيوتر فقد أعدت مكتبة إلكترونية رائعة للأسرة المسلمة تحتوي على أربعين برنامجاً في مختلف روافد الثقافة - كان الحس الإسلامي رائدها فيها.

ولن نستطيع استيعاب الجهود المتكاثرة في مجال الطفل والأسرة المسلمة، فهناك شركات أوشكت أن تتخصص في إنتاج برامج الطفل مثل (Future - Soft) كما أن هناك شركات أوشكت أن تتخصص في البرامج التعليمية للطفل - تنتقي الوسائل الإسلامية فيها، مثل العبيكان (Home In-teractive)) وهي شركة تولت الطفل من مرحلة الروضة، فالحضانة، حتى وصوله إلى آخر مرحلة تعليم الطفل، إلا أن هناك شيئاً يجيش في الصدر فيما يتعلق بالجهود الإسلامية في شبكة الإنترنت، فقد نشرت مجلة «عالم الكمبيوتر»(٣) مجموعة من المواقع التي وصفتها بأنها مفيدة تهتم بشؤون الأطفال، إلا أنها لم تذكر موقعاً إسلامياً واحداً، فهل أغفل المسلمون إنشاء مواقع تهتم بالطفل؟ أم أن المجلة أغفلت هذه المواقع ولم تشر إليها؟

خدمة اللغة العربية والترجمة

وأما الاعتزاز بالعربية فهو طابع مميز للبرامج الإسلامية، فالطفل في القصص الديني المبرمج - أو إن شئت قل: أفلام الكرتون الإلكترونية - يتحاور مع صديقه أو أبويه أو أستاذه بالعربية الفصحى، و«الراوي» في البرامج التي يعتمد على عنصر «القصّ» يسوق روايته بالعربية الفصحى، وهو ملمح تربوي للناشئ المسلم نحو عنايته بلغته، وقد هزّتني الفرحة حين إعلان السوريين عن معرض الكمبيوتر سنة ١٩٩٨م، باسم «شام ١٩٩٨م» ليبرز التعبير العربي أمام «كومدكس» و«كانيكس» وغيرها من الأسماء الدخيلة، وأتمنى أن تحذو الدول الإسلامية حذوهم في هذا الاعتزاز، وكانت البهجة أشد حينما طالعنا موقع (www.Arabic wide world)، وهو يتيح استعراض الحروف العربية أياً كان نوع الحاسوب أو نوع نظام التشغيل به، وهو يستعرض النصوص العربية بالخط الذي يرغب فيه صاحب الموقع مهما كانت إمكانات جهازه، لأنه مزوَّد بالخطوط العربية المتنوعة.(٨)

وتعد شركة «صخر» - وهي من أعرق الشركات التي اهتمت أساساً ببرامج اللغة - أحرص شركات البرامج على تطوير لغة الحاسب، وتوافق برامجه الكبار مع اللغة العربية، وحسبنا أن نشير إلى حزمة برامج المكتبة التي تحتوي على جهد صادق في اعتماد العربية وتكثيف آلياتها في التطبيقات المتعددة - خصوصاً البرنامج العملاق Office بتطبيقاته المختلفة (Access - Excel - word).

فمن الاهتمام بالخطوط العربية التي تعمل مع جميع تطبيقات Windows Office وذلك في برنامجها «جواهر الخطوط العربية» إلى البرامج التي توظف آلية الحوسبة في تدقيق النصوص، كالمدقق الإملائي، والمدقق النحوي، ثم «المشكل الآلي»(٥)، الذي يُعد قفزة إلكترونية في خدمة النص العربي.

ولا يخفى عليك ما ذكرته آنفاً من موسوعة إلكترونية للمعاجم العربية عند شركة العريس، ومركز التراث، وقد قام مركز التراث أيضاً بإصدار برنامجه «مكتبة النحو

الحديث النبوي لقي عناية فائقة من المبرمجين المسلمين

والصرف»، وهي مفيدة جداً إذ احتوت على مجموعة من كتب النحو والصرف لابأس بها، شرط أن تطوِّر إلى ما هو أهم، فإن جماعة من أمات كتب النحو تنقصها، ككتاب سيبويه والمبرد، وغيرهما، وشروح الشعر العربي حازت اهتمام شركة عبداللطيف للمعلومات، فأصدرت موسوعة الشعر العربي التي شملت فيما شملت شروح هذا الشعر جاهليه وإسلاميه وحديثه.

أما الترجمة فهي أولاً دعامة كبيرة من دعائم الدعوة الإسلامية، خصوصاً في حال كونها من العربية، وهي دعامة كبرى من دعائم الفكر الإسلامي إذا كانت إلى العربية، وقد اهتمَّ عمالقة البرمجة الإسلامية بهذا الجانب، فإلى جوار الترجمات المتعددة - التي أشرنا إليها - لمعاني القرآن الكريم، ترجمت مجموعات من الحديث الشريف، كالأحاديث المتفق عليها - إذ تُرجمت في برنامج «البيان» - إعداد شركة حرف - إلى ست لغات هي الإنكليزية والماليزية والتركية والفرنسية والألمانية، والأهم من ذلك أيضاً بروز الاهتمام بالترجمة الآلية للنصوص من الإنكليزية والفرنسية والألمانية، وعلى الرغم من التحفظات الكثيرة حول الإصدارات العربية من «صخر» و«أبتك تكنولوجي» وغيرها، إلا أن المستخدمين يشعرون بالكثير من تقليص الجهد والوقت مع استخدامها، ويمكن اعتبار هذه التحفظات - مع تأكيدنا لصحتها - نوعاً من محاولة السعي إلى

نهضت شركات عربية بعرض مواقف السيرة النبوية عرضاً صوتياً مع بعض لقطات الفيديو

الكمال أو الاقتراب منه.

هذا إلى جوار البرامج التي تهدف إلى تعليم العربية لغير العرب، إذ أصدرت «صخر» ثلاثة برامج موجهة إلى متحدثي الإنكليزية والفرنسية والتركية لتعليم العربية(٦)، وهي مع نظائرها برامج تحتاج إلى مساحة للتعريف بها، لا يفي بها هذا الموضع.

برمجة سلسة

ومن الصعب التمادي الآن في حصر، أو حتى التمثيل للعطاء الإسلامي في جميع ميادين تقنية المعلومات، وهذا - لعمري - يحتاج إلى كتاب يتوافر عليه رجل مخلص عارف بهذا الشِّعْب من شعاب مكة، وأهل مكة أعرف بشعابها، إلا أن هناك ميزة تميز البرامج الإسلامية سواء في الأقراص أو على شبكة الإنترنت، وهي سلاسة البرمجة وعدم تعقيدها إلا في أمثلة نادرة مثل برامج Future Soft للأطفال، وبعض برامج الكتاب الإلكتروني فيما يتعلق بحفظ النتائج في ملفات. أما عموم هذه البرامج فتمتاز باليسر والسلاسة، فلو تمثلنا ببرنامج «معركة اليرموك» الذي أعدته شركة «بيراميدز سوفت» نجد أن من يتعامل معه لا يشعر بصعوبة في التعايش، فواجهة الاستخدام سهلة واضحة، والخيارات مباشرة، والانتقال عبر المشاهد والوقائع ميسر عن طريق رمز (Icon)، وهناك تشويق وتسلية خلال الفقرات بالأناشيد المتعة، وما يُقال في هذا البرنامج يُقال في كثير غيره من البرامج الإسلامية.

ولعله لا يخفى أن سلاسة البرمجة وتيسير استخدامها هو السرّ الأول وراء نجاح الشركة العملاقة «مايكروسوفت»، وتربعها حتى لحظة كتابة هذه الدراسة، على عرش صناعة البرامج في العالم، وأحد أسرار الثروة الطائلة لليهودي «بيل جيتس» الذي «يصحو من نومه كل صباح على حد تعبير الأستاذ فداء الجندي - وقد زاد رصيده في البنك واحداً أربعين مليار دولار فقط لا غير.... «اللهم لا حسد»... وليس ذلك سببه عبقريته وذكاؤه فقط، بل بسبب إدراكه لأمر مهم جداً (كذا)... هذا الأمر هو تيسير

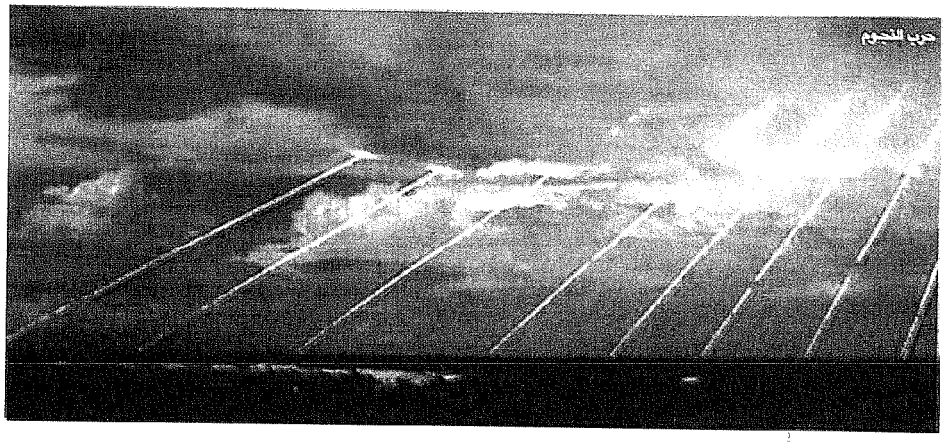

استخدام نظام تشغيل الحاسوب وتبسيطه.(٧)

وثمة ميزة أخرى حرص المبرمجون عليها، وهي توافر عنصر الترويح - لكسر رتابة البرنامج، وقد ألمحنا إلى ذلك في الفقرة السابقة، وهي تتمثل في الأناشيد والمسابقات المتنوعة التي تتميز بها برامج الطفل، أما البرامج العلمية البحتة فلم تخل من هذه الخاصية، إذ يأخذ الترويح شكله المناسب، ففي برنامج «الكتب التسعة» نلاحظ رمزاً (Icon) خاصاً بتلاوة الآية إذا وجدت آية في خلال حديث نبوي، كما احتوى البرنامج على مسابقات في علوم الحديث المتنوعة. أما برنامج الموسوعة الذهبية للحديث النبوي، فتميز بوجود «بُريمج» يسمى «جوامع الكلم» تتسلل شاشته إليك في أثناء عملك عبر فترة زمنية يُحدِّدها المستخدم حسب خياراته، وهذا «البريمج» يحتوي على قرآن كريم وحديث شريف وشعر عربي وحكم، وهكذا يعطي المبرمج مساحة للترويح بأشكاله المتنوعة دفعاً للملالة وكسراً للرتابة والسأم.

مآخذ ومقترحات

ولا يعني هذا «العزل» السابق في البرمجيات الإسلامية - بصورها المختلفة - أنها خالية من القصور، فقد كتب النقص على البشر، بل لعله لو ذهبنا نعدّ أوجه القصور والمآخذ لصنعنا قصيدة من الهجاء تمحو قصيدة الغزل السابقة، إلا أن البرمجة الإسلامية ماتزال ناشئة بالنسبة للأميركية مثلاً، وهي فقيرة اليد، قليلة الحيلة في الاتفاق، الذي يشهد لذلك أن شركة حرف المميزة - بل ربما المتفرِّدة - في دقة البرمجة وتفوقها في المجال الإسلامي تعتمد على رأس مال ضخم يقدر بالمليارات، ولهذا فروع في ست وعشرين بلداً عبر العالم، وهي فرع عن شركة صخر - التي تملك - على سبيل المثال ٢٨٠ مطوراً للبرامج من خمس دول عربية(٨)، وهذه الإمكانات ليست متاحة لأكثر الشركات الإسلامية، فالأستاذ الدكتور عادل خليفة - رئيس مجموعة خليفة للكمبيوتر - يقترح: أن يؤخذ «جنيهاً في الشهر... لدعم صناعة البرمجيات التعليمية في مصر»(٩)، وأكثر شركات البرامج في العالم العربي تقع بين شِقَّي رحى: التمويل، والتوزيع - إلى جانب القرصنة، والنَّسْخ غير المشروع - وهو أحد المؤرِّقات - ومن ثمة، فالفقر أحد المآخذ، والتمويل بوساطة الاستثمار طويل الأمد للأموال الإسلامية في هذا المجال أحد المقترحات، بل أوَّلها.

ولعلَّ التطوير المستمر للبرنامج من أهم أسباب نجاحه وانتشاره والإفادة المستمرة منه، وهو موجود في بعض البرامج الإسلامية دون بعض، فموقع «المحدِّث» على شبكة الإنترنت يطوِّر نفسه تطويراً مطَّرداً، ومن ثمَّ يحرص مستخدمو الشبكة من الباحثين على زيارته باطراد واجتلاب استحداثاته، فضلاً عن أنه الموقع العربي الوحيد - تقريباً - الذي اجتُلِب على أقراص المجلات العالمية التي توزعها للدعاية ثلاث مرات، إلا أن كثيراً من البرامج الإسلامية يحتاج إلى متابعة وتطوير، فهناك برامج ظهرت الإصدارة الأولى منها منذ أكثر من خمس سنوات، ومع ذلك لم تظهر إصدارة ثانية لها، وهي مساحة زمنية غارقة في الطول بالنسبة للزمن الإلكتروني الذي تثور دنياه على نفسها كل ثانية، ولعل أهم ما يوماً إليه هنا هو محاولة توافق هذه البرامج مع البرامج المتطورة لـ«windows»، وكذلك التوافق مع أجهزة وبرامج الشركات العالمية التي يقل نظامها في البلاد العربية، مثل نظام «Apple Machin - touch»، وهو مغاير لنظام IBM الذي ينتشر في البلاد العربية.

أما آخر المقترحات - احتراماً للمساحة المفترضة - فهو تخصيص صفحات واسعة وذات إخراج فني راق على الـ«wep» لمكافحة الدعاية الصهيونية ومزاعمها السياسية الفجة، فضلاً عن التصدي لأكاذيبها، وأكاذيب أذيالها عن الإسلام، وينبغي أن تقوم المؤسسات الرسمية في الدول الإسلامية بهذه المهمة.

وإذا كان للحديث شجون، فإن شجون الحديث في قضية الساعة - وهي ثورة المعلومات المتجددة - متجددة أيضاً، ولعله يسعنا لقاء آخر قريب إن شاء الله ●

المراجع

١ - له فروع في الرياض و«أبو ظبي» والقاهرة وغيرها.

٢ - إلى جانب علوم القرآن تجد المكملات المناسبة من كتب التراجم المتعلقة بهذا العلم وكتب المعاجم والبلدان.

٣ - مجلة «عالم الكمبيوتر ٥/٢٠٠٠م، ص ٦٤

٤ - عالم الكمبيوتر: ١/٢٠٠٠ ص ١٥.

٥ - C.Magaz ٣/٢٠٠٠ ص ١٥.

٦ - دليل البرمجيات العربية، ص ٣٨.

٧ - PC. Magaz ٣/١٩٩٨م، ص ٥٦.

٨ - PC. Magaz ١١/١٩٩٩م، ص ١٣١، ١٣٢.

٩ - عالم الكمبيوتر: ٥/١٩٩٩م، ص ٤٥.

وردة القدس

للشاعر: عبدالغني الحداد





إلى الطفلة
الرضيعة إيمان حجو
التي صرعتها قنابل
العدو الصهيوني
الغادر

مَأْتَمُ الْوَرْدِ وَالشَّذَا يَتَجَدَّدْ
وَرْدَةُ الْقُدْسِ يَلْتَقِيهَا مُحَمَّدْ
وَرْدَةٌ كَالضِّيَاءِ طُهْراً وَطِيْباً
مَزَّقَ الْغَدْرُ صَدْرَهَا.. أَيُّ مَشْهَدْ؟
رَعْشَةٌ بَعْدَ رَعْشَةٍ وَاسْتَكَانَتْ
وَرْدَةُ الْقُدْسِ كَالْفَرَاشَةِ تَهْمَدْ
وَرْدَةُ الْقُدْسِ أَيْنَ هَدْهَدَةُ الأُمِّ
وَالأَغَارِيدُ لَحْنُهَا يَتَرَدَّدْ
الشَّظَايَا تَمُرُّ بِالصَّدْرِ تُدْمِي
وَرْدَةَ الْقُدْسِ بِالنَّجِيعِ الْمُوَرَّدْ
مَا عَهِدْنَا الْوِرَادَ تُرْمَى بِنَارٍ
شَيْمَةُ الْوَرْدِ أَنْ يُصَانَ... يُمَجَّدْ
هَلْ سَمِعْتَ النَّشِيجَ يَخْنُقُ أُمّاً
تَطْلُبُ الْغَوْثَ فِي نِدَاءٍ تَرَدَّدْ
إِنَّهُ الْحِقْدُ كُلَّ يَوْمٍ تَرَاهُ
قَدْ تَمَادَى عَلَى الْوُجُودِ وَعَرْبَدْ
يَنْشُرُ الْحُزْنَ وَالأَسَى لاَ يُبَالِي
إِنَّهُ الشَّرُّ عَاتِياً يَتَمَرَّدْ
عَاصِفُ الْبَطْشِ يَنْشُرُ الْمَوْتَ حَتَّى
صَارَ قَتْلُ الصِّغَارِ أَمْراً مُعَوَّدْ

إِيهِ إِيمَانُ... يَا ابْتِسَامَةَ طُهْرٍ
أَطْفَأَ الْغَدْرُ نُورَهَا وَتَعَمَّدْ
قَتَلُوا فِيكِ كُلَّ مَعْنَىً جَمِيلٍ
فَهُمُ الْقُبْحُ مِنْهُمُو يَتَوَلَّدْ

كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ تَهْوَي نُفُوسٌ
فَوْقَ أَرْضٍ أَسْرَى إِلَيْهَا مُحَمَّدْ
أَيْنَ صَوْتُ الضَّمِيرِ؟ فِي أَيِّ عَصْرٍ
نَحْنُ نَحْيَا؟ أَكُلُّ شَيْءٍ تَهَوَّدْ؟!
إِنَّهُ الصَّمْتُ فِيهِ يُوءَدُ حَقٌّ
نَامَ عَنْهُ بَنُوهُ.. فِي الذُّلِّ يُوءَدْ
تَعِسَ الصَّمْتُ كَمْ أَضَاعَ حُقُوقاً
إِنَّهُ الْعَجْزُ لِلْمَكَارِمِ قَيَّدْ



أُمَّتِي... أُمَّةَ الْجِهَادِ أَفِيقِي
طَالَ عَهْدُ الرُّقَادِ حَتَّى تَبَلَّدْ
انْظُرِي حَوْلَكِ السُّيُولَ تَعَالَتْ
كُلُّ مَا تَمْلِكِينَ أَضْحَى مُهَدَّدْ
أَيْنَ عَزْمُ الآبَاةِ؟ أَيْنَ نُفُوسٌ
تُرْخِصُ الْبَذْلَ فِي جِهَادٍ مُمَجَّدْ؟
لاَ تَقُلْ ضَاعَ حَقُّنَا، نَحْنُ ضِعْنَا
مُذْ تَرَكْنَا الْجِهَادَ وَالْكَوْنُ يَشْهَدْ
ضُرِبَ الذُّلُّ وَالْهَوَانُ عَلَيْنَا
مُذْ رَكَنَّا إِلَى الزَّخَارِفِ تُقْصَدْ
كَالْغُثَاءِ الْبَدِيدِ صَارَتْ قُوَانَا
هَلْ سَيَقْوَى الْغُثَاءُ؟ بَلْ يَتَبَدَّدْ
خُدْعَةُ السِّلْمِ كَالسَّرَابِ كَذُوباً
أَيُّ سِلْمٍ وَقُدْسُنَا تَتَهَوَّدْ؟
فَارْفَعِي أُمَّتِي لِوَاءَ جِهَادٍ
يَبْعَثُ الْعَزْمَ... حَوْلَهُ نَتَوَحَّدْ
نَرْقُبُ النَّصْرَ بَعْدَ طُولِ انْتِظَارٍ
مَوْعِدُ النَّصْرِ بِالضَّحَايَا مُؤَكَّدْ

رسالة علمية تناقش جوانب من الوقف في الإسلام ودوره الحضاري

النظارة على الوقف

موضوع حضاري

قالت الباحثة: إن الموضوع الذي درسته جاء تحت عنوان «النظارة في الوقف» موضحة أن النظارة هي الوظيفة الديوانية التي يليها المسؤول عن الوقف وحفظ ريعه، وتنفيذ شروط الواقف، سواء أطلق عليه لفظ ناظر أو قيِّم، أو متولي، أو مقدم الأوقاف «قديماً» أو مدير الأوقاف أو الأمين العام للوقف أو مجلس إدارة الوقف «حديثاً».

ولم تقتصر دراسة الباحثة على فترة زمنية محددة، بل تناولت موضوع النظارة على الوقف في تاريخها العام، كما أنها لم تلتزم بالمراحل الزمنية والتاريخية، وإنما عنيت في المقام الأول بالأحكام الفقهية والشروط والأركان والحالات وما تطور من هذه الأحكام حسب مقتضيات العصر ومتطلباته.

ويعد هذا الموضوع من المجالات الواسعة في اجتهادات الفقهاء، واتضح ذلك من خلال تناول بعض الآليات والصيغ الوقفية الحديثة للنظارة على الوقف وما حاطها من أحكام فقهية.

وذكرت الباحثة - الزير - أن هناك خمسة أمور دعتها لاختيار هذا البحث هي:

١ - أهمية مسألة النظارة بالنسبة إلى مؤسسة الوقف، وما لها من مكانة خاصة، حيث بها يُدار الوقف وتحفظ عينه، وتدر غلته ويوزع ريعه في مصارفه الصحيحة حسب شروط الواقفين.

٢ - خطورة مكانة النظارة في مؤسسة الوقف وكون تعثرها عاملاً كبيراً من عوامل تدهور الوقف وتراجعه، ودور الوقف الرائد في خدمة المجتمع الإسلامي ورعاية مرافقه ومؤسساته.

٣ - أهمية مؤسسة الوقف في ظل المشروع الحضاري الإسلامي للنهوض بالأمة وبعث دورها الحضاري بين الأمم والحضارات، إذ إن مؤسسة الوقف مؤسسة عريقة شاركت في تنمية الأمة وتطورها الحضاري.

٤ - ما تتميز به مؤسسة الوقف في الكويت وتقدمها على غيرها من مؤسسات الوقف في العالم الإسلامي، ما جعلها تحتل مكانة كبيرة، واختيرت لتكون «المنسق العام للأوقاف في العالم الإسلامي» من قبل وزراء الأوقاف بمنظمة المؤتمر الإسلامي.

٥ - سبب خاص يعود لكون والدها واحد من وقف ثلث ماله في

نوقشت في كلية الشريعة - جامعة الكويت - رسالة ماجستير قدمتها الطالبة الكويتية هدى عبدالله الزير تحت عنوان: «النظارة في الوقف» بإشراف الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي.

وقالت الباحثة في مقدمة الرسالة: إن الوقف يعد من الصيغ الإنسانية العريقة التي تضرب بجذور بعيدة في القدم وأن الأمم والحضارات السابقة عرفته غير أنه كان عندهم ضيق الأفق قاصر المنفعة، لم يتجاوز دور العبادة والكهانة، لكنه في الفكر الإسلامي يعتبر مؤسسة مستقلة، ذات بعد أخروي وديني يتمثل في القيم الخلقية والأغراض النبيلة التي يقوم عليها إلى جوار البعد الدنيوي الذي يتمثل في تنمية المجتمع وتعزيزه، وتقوية مؤسساته والنهوض به، من خلال توافر حاجات الناس ومتطلباتهم.

ولقد كان الوقف في الإسلام ممولاً رئيساً للحضارة الإسلامية وصانعاً لها، وكان له أثر تنموي فاعل من خلال شواهده ومظاهره التي من أظهرها المكتبات والمدارس ودور العلم والأربطة والبيمارستانات.

ومنيت هذه المسيرة التنموية في عصورها المتأخرة بالتراجع والإخفاق وكان وراء ذلك أسباب وعوامل كثيرة داخلية وخارجية.. ثم ظهرت بعض المؤشرات الحديثة من خلال التجارب الوقفية المعاصرة التي تحاول النهوض بالوقف الإسلامي ومسيرته التنموية.

ولما كانت «النظارة» من الأركان الأساسية في مؤسسة الوقف الإسلامي فقد توجهت إليها بعض الدراسات ومنها هذه الرسالة العلمية التي تبحث في جوانبها وتناولها بالدرس والتحليل الفقهي.

هدى عبدالله الزبير
باحثة كويتية
إعداد: عبدالله بدران

الخيرات ولإعمار المساجد داخل الكويت وخارجها.

منهج الدراسة

اعتمدت الباحثة على منهج النقل الذي يعتمد على نصوص الشريعة الغراء من القرآن الكريم والسنَّة النبوية المطهرة واجتهادات وأقوال أهل العلم. واقتصرت الدراسة على المذاهب الأربعة المشهورة، والمقارنة بينها في كثير من المسائل الرئيسة.

وقد حرصت الباحثة على تحليل ومناقشة ما تنقله من آراء ونصوص وذكر ما بينها من اتفاق أو اختلاف وحاولت الترجيح لما تراه صحيحاً من وجهة نظرها سواء كان ما اختارته مذهب الجمهور، أو مذهباً معيناً، أو رأي أحد الباحثين المعاصرين، والتزمت مع كل ذلك بذكر مواد القانون الكويتي الجديد للأوقاف في كل مسألة فقهية عرضت لها وذلك للتعرف إلى طبيعة العمل الوقفي في الكويت الذي يمثل تجربة معاصرة مميزة.

واقتضت طبيعة البحث في الدراسة أن يكون في خمسة فصول سبقتها مقدمة وتمهيد وتلتها خاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وفي التمهيد عرَّفت بالوقف في الحضارات الإنسانية وأشارت إلى تميز الوقف الإسلامي ودوره الفاعل في الحضارة الإسلامية، وأسباب تراجع مسيرة الوقف.

خمسة فصول

جاء الفصل الأول من الدراسة بعنوان: «أحكام تولية النظارة على الوقف» واشتمل على ثلاثة مباحث جاءت كما يلي:

١ ـ تعريف النظارة على الوقف والألفاظ ذات الصلة بالنظارة والتولية وما بينهما من اتفاق أو اختلاف وتحديد المراد منها.

٢ ـ حالات النظارة الأصلية على الوقف.

٣ ـ شروط صحة تولي النظارة على الوقف.

وحمل الفصل الثاني عنوان: «صلاحيات والتزامات ناظر الوقف» واشتمل على ثلاثة مباحث هي:

١ ـ المركز القانوني لناظر الوقف والتزاماته.

٢ ـ محظورات النظارة.

٣ ـ ما يجوز لناظر الوقف من التصرفات.

وفي الفصل الثالث الذي جاء بعنوان: «حقوق ناظر الوقف» عرضت الباحثة لثلاثة مباحث هي:

١ ـ استحقاق الناظر للأجر.

٢ ـ تحديد أجرة الناظر من قبل الواقف.

٣ ـ تقدير الأجرة من قبل القاضي.

وجاء الفصل الرابع بعنوان: «حالات خاصة من النظارة على الوقف» واشتمل على مبحثين هما:

ـ حالات النظارة الفرعية على الوقف.

ـ تعدد النظارة على الوقف، وتعيينها بجهة حكومية أو أهلية.

واشتمل الفصل الخامس والأخير والذي حمل عنوان: «محاسبة ناظر الوقف» على ثلاثة مباحث هي:

ـ محاسبة ناظر الوقف.

ـ ضمان ناظر الوقف.

ـ عزل الناظر.

نتائج الدراسة

خلصت هذه الدراسة العلمية القيمة إلى عدد من النتائج أهمها:

١ ـ إن المجتمع لايستغني عن الوقف بنوعيه الأهلي والخيري، وأن ما حدث من محاولات لإلغاء بعض أنواع الوقف إنما كله بسبب ممارسات الواقفين الخاطئة وانحراف بعض النظار وضعف الرقابة عليهم، وعدم وجود تجديد واجتهاد من قبل الفقهاء في المسائل الفقهية التي تحتاج إلى النظر والفكر لصياغتها بصورة ملائمة لمستجدات العصر.

٢ ـ إن محاسبة النظار على الأوقاف من الموضوعات المهمة التي لم تلق الاهتمام الكافي بسبب ضعف الإنتاج العلمي في هذا الموضوع قديماً وحديثاً.

٣ ـ إن إفراد النظارة على الوقف بناظر واحد ادعى للحفاظ على الوقف وعلى حقوق المستحقين لأن التجربة في تاريخ النظارة على الوقف دلت على ذلك.

٤ ـ إن ضرورة النظارة الحديثة على الوقف في بعض الدول الإسلامية كالكويت فيما يسمى «مجلس شؤون الأوقاف» تعد من التجارب الجيدة في النظارة على الوقف وهي ملائمة لظروف العصر.

إن تجربة الكويت في إدارة الوقف من التجارب الناجحة التي حققت إلى حد كبير تقدماً واضحاً وبخاصة فيما استحدثته من صيغ وقفية معاصرة كالصناديق الوقفية وآلية استثمار الأصول الوقفية ●

بينما كنت أقلِّب بعض الكتيبات الخاصة بمرحلة رياض الأطفال - أحضرها صديق من أميركا، وأحبَّ أن يطلعني عليها - استوقفني كتيِّب منها، أثار فضولي، فرحت أقلِّب صفحاته على عجل، فتعجبت أشد العجب، وأسفت أشد الأسف في آن واحد.

تعجبت من أحوالنا معشر المسلمين، لأننا نملك ثروة عظيمة، من الثقافة والفكر والعلم والمعرفة، يضمها كتاب الله تعالى، والأحاديث الشريفة، وأمَّات الكتب، وبخاصة ما يتصل منها بموضوعنا الراهن، وغيره من موضوعات، ولكننا لم نوظفها التوظيف المنهجي المناسب في حياتنا اليومية، والمناهج الدراسية، بما يصلح دنيانا، ويثقف أبناءنا، ويربيهم التربية اللائقة، التي تمكِّنهم من مواجهة التحديات، والتغلب على الصعاب.

ولا أخفي أن تعجبي شابهُ قدر من الإعجاب بالغرب، وبالأسس العامة التي يقيم عليها ثقافته ومعارفه رغم تحفظنا عليها، وعلى توجهاتها نحو العلمانية والمادية الصرف في مختلف نواحي الحياة.

ويأتي الموضوع الراهن مثالاً من بين أمثلة كثيرة، فهو يعنى بظاهرة تحيط بنا، ونعيشها جميعاً من شرقيين وغربيين، ويتعايش معها من على الأرض على حد سواء، وهي ظاهرة «الموت» الذي تحوَّل بفعل العلماء والمربين والتربويين الغربيين إلى علم قائم بذاته، يأتي ضمن حقول «علم النفس»، يسمى «علم الاحتضار»(١).

علم الاحتضار Thanatology
بين المفهوم الغربي.. وموقف الإسلام

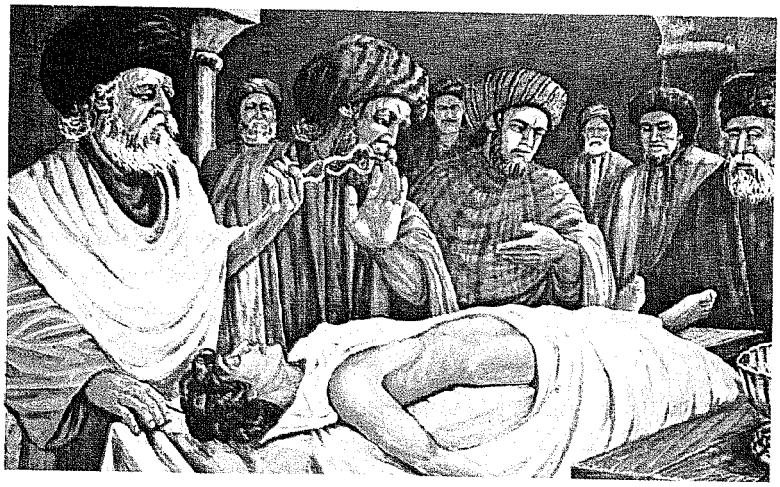

بقلم: د. رفيق حسن الحليمي
أكاديمي فلسطيني

توظيف علم الاحتضار في المناهج الدراسية

على الرغم من محدودية هذا العلم، واقتصاره على هذه الظاهرة، فقد سد فراغاً، وملأ جعبة، وقدم جملة من الحقائق التي تنطوي عليها النفس البشرية، وقدَّم لها بعض الحلول التي تخفف من المعاناة النفسية، وقد «طبقت مبادئه، ونظرياته على الأدب والشعر في دراسات عدة كانت نتائجها مبتكرة رائعة»(٢)، كما طبقت إكلينيكياً على أمراض الشيخوخة، التي تعاني منها شرائح غير قليلة من المجتمعات عندما يستشعرون اقتراب الآجال كالاكتئاب والعزلة والاغتراب النفسي، وعدم القدرة على التكيُّف مع الواقع، وهي التي تندرج تحت ما يسمى «قلق الموت»(٣).

ولعل اللافت للنظر والمثير للدهشة والإعجاب، أن مبادئ هذا العلم، وخطوطه العريضة جاءت مبسطة ومبسوطة في وريقات «كتيب شكلت مقرراً دراسياً يطلع عليه أطفال دون سن السادسة من أعمارهم، وهم يدرسون في مرحلة رياض الأطفال.

ويتسلسل هذا الكتيب من خلال مجموعة من الصور المعبرة والشرح المبسط في جمل قصيرة سهلة موجزة، فيعرض إلى الأطوار الأساسية التي يمر بها الإنسان، منذ ولادته «الكتيِّب لا يعنى بما قبل الولادة أو مرحلة

الحمل» وحتى طفولته، وشبابه وكهولته وشيخوخته، ثم مرضه إلى أن يموت فيوارى التراب في تشييع مهيب.

الكتيِّب في فلسفته الراهنة، يتجاوز الحالات الاستثنائية التي يتعرض لها الإنسان كالموت المفاجئ، ويركز على الأطوار الأساسية للإنسان، وهو بذلك يأخذ الحياة على أنها مجموعة من الأنماط أو الأطوار تتعاقب واحدة بعد الأخرى، وليس في ذلك عيب أو خلل منهجي، لأن ذلك يمثل الناموس الطبيعي للأغلب الأعم من بني البشر، ولأن التطرق إلى الحالات الاستثنائية مدعاة إلى الدخول في نقاش وشرح طويلين، يفوق تصور الطفل في هذه المرحلة.

تشكيل وعي الطفل بحقيقة الموت والاحتضار

الطفل في مرحلة الرياض، عندما يطلع على هذه المحطات الرئيسة في حياة الإنسان «من خلال هذا المقرر أو مقررات أخرى مماثلة»، يبدأ في تقبل هذه الأطوار الحياتية، ويتعايش معها على أنها مسلمات، وحقائق ووقائع، لها بداياتها المؤكدة في وجوده، ووجود من معه من الأطفال «صورة الطفل بعد الولادة، كما جاء في الكتيِّب» - فهو الطفل الصغير الذي يرى الصورة الماثلة من خلال هذا التدرج في عرض أطوار الحياة، طوراً بعد طور «صورة الرجل المريض، ثم صورة الجنازة»، وليس المقصود بطبيعة الحال البدايات، بقدر ما يقصد من فلسفة هذا الكتيب النهاية الحتمية لبني البشر، «الموت»، وبذلك يصبح التسليم به تسليماً سهلاً، ويصبح تقبله تقبلاً منطقياً، ومن هنا يبرز الجانب التربوي الدقيق والمهم في عرض هذه الأطوار المتعاقبة المتتالية، التي تتوقف عند تلك اللحظة القاسية، التي تُسمَّى «صدمة الموت»، فتصبح هذه الأطوار المعالم الأساسية للحياة من وجهة نظر الطفل - الذي ربما لم تكن لديه وجهة من قبل أو رؤية حقيقية - فيتشكل وعيه وإدراكه منذ صغره ونعومة أظفاره ديناميكية الحياة، التي تنتهي أو لا بد أن تنتهي عند تلك اللحظة، فإذا أصاب الموت واحداً من أقربائه، أو حلَّ بجواره أو بداره، أصبح تقبله أمراً طبيعياً، سهلاً، فلا يصدم به صدماً عنيفاً، يترك آثاره النفسية في مستقبل حياته.

مآخذ عامة على علم الاحتضار

مهما يبلغ الغرب من دقة في فلسفة علم الاحتضار، وطرحه على أنه حقل من حقول علم النفس الإكلينيكي أو التربوي، وتوظيفه عملياً في كثير من الدراسات الأدبية والشعرية، ومنهجياً في مرحلة رياض الأطفال كما رأينا، فإنه يظل في عزلة عن الجانب الروحي «الغيبي» ويفتقر إليه بشكل ملحوظ، فهو يلمس جانباً من الحياة في شكلها المادي الحسي، التراتبي «المتعاقب»، ويركز على الجانب النفعي البراغماتي، البعيد عن الهداية والإيمان، والمفاهيم الدينية الخاصة بالحياة والموت، شأنه في ذلك، شأن كثير من البحوث التجريبية والعلوم

الحياة مجموعة من الأنماط تتعاقب واحدة بعد الأخرى وليس في ذلك عيب أو خلل منهجي

التطبيقية، وفي نظرته إلى الحياة بصفة عامة، على أنها معطيات مادية صرف، وهذا ينطبق على تصورات الغرب للحياة والكون في مختلف ميادين المعرفة.(٤)

لذلك لايمكن فهم هذه الظاهرة الفهم الصحيح لها بعيداً عن المفاهيم الدينية والشرائع السماوية، فالموت كظاهرة يمر بها الإنسان من الموضوعات المثيرة للجدل، فقد أرّقت الإنسان وأخذت حيزاً من فكره وعقله وشعوره ووجدانه في مختلف العصور والأزمان، فمنذ بدء الخليقة، ومنذ أول حالة موت وقعت، وقف الإنسان في دهشة وذهول ووجوم، إزاء سكون الجسد وتوقفه عن النبض والحياة، فالموت ظاهرة متجددة على بني الإنسان، يداهم الجنين في الرحم، والطفل في المهد، وقد يباغته وهو يرتع ويلعب، ويفاجئ الشاب في عنفوان قوته، وقد يؤجل الكهل إلى حين، حتى لا يعلم من بعد علم شيئاً.

وقد كان للفلاسفة والحكماء وللإنسان العادي، وصانعي الأساطير، وواضعي الخرافات اجتهاداتهم ومواقفهم المتباينة في تفسير ظاهرة الموت. وجاء الرسل صلى الله عليهم وسلم، بما أوحي إليهم ليخبروا أن الموت مرحلة موقتة للجميع من بني البشر، ففي آخر الزمان ينفخ في الصور فيصعق من في السموات والأرض إلا ما شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، يبعثون من قبورهم وأجداثهم ومراقدهم، ويعرضون على بارئهم لحسابهم... وبمعنى آخر لم يجد الإنسان عزاءه الحقيقي، وطمأنينته الأبدية الخالدة، وراحته الكبرى إلا من خلال ما عرضته الأديان السماوية لتفسير ظاهرتي الحياة والموت، لذلك كله يظل هذا العلم قاصراً عندما ينأى عن التفسيرالسماوي، ولا يستند إليه في هذا العلم وغيره من علوم.

القرآن والاحتضار «الموت»

عرض القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى ظاهرة الموت وإلى تلك اللحظة القاسية على النفس البشرية، كما عرض إلى مرحلة تخلّق الجنين في الرحم حتى ولادته، إلى أن يصبح طفلاً، ثم رجلاً كهلاً وشيخاً عجوزاً، إلى أن يأتيه الأجل المحتوم، فالله سبحانه هو (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن أعملاً) الملك:٢، وهو الذي: (يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) البقرة:٢٨، وهو الذي خلق الإنسان (ثم أماته فأقبره. ثم إذا شاء أنشره) عبس:٢١ - ٢٢، وذكر تلك اللحظة القاسية ووصفها بسكرة الموت (وجاءت سكرة الموت بالحق) ق:١٩، وأمر بكتابة الوصية (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين) البقرة:١٨٠، وغيرها من آيات، فضلاً عمَّا ورد في الأحاديث النبوية بهذا الخصوص في كيفية التعامل مع الشخص المحتضر، كإنطاقه الشهادتين، وغيرها، وما جاء في بعض أبواب الفقه التي تزخر بها المكتبة الإسلامية.

ويبدو أن الديانتين السماويتين «اليهودية

والمسيحية» لم تهتما بظاهرة الموت اهتمام الإسلام بها لأنه آخر الأديان ويتسم بالشمولية لذلك جاء عرضة لظاهرة الحياة والموت وما بعد الموت «يوم النشور»، مفصلاً في غاية التفصيل، كما يبدو أن ما وصل الغرب من مفاهيم عن الحياة الآخرة كان بفعل الثقافة الإسلامية، واعتماد الغرب على ما وصلهم من مفاهيم إسلامية عن تلك الظاهرة من خلال الترجمات والتواصل الاجتماعي والاحتكاك البشري، وليس أدل على ذلك من الكتاب الشعري الضخم لشاعر إيطاليا (دانتي الجييري) (الكوميديا الإلهية) الذي اعتمد فيها - حسب ما جاء في شهادة بعض الباحثين المستشرقين - على قصة الإسراء والمعراج، وكتاب رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، من خلال التواصل الثقافي بين الحضارات.

ظاهرة الاحتضار في المناهج الدارسية

يبدي الواحد منّا أشد الأسف، عندما يطلع على كثير من المقررات الدراسية والمناهج التربوية، فيجدها خراباً يباباً من بحث هذه الظاهرة وتأطيرها في مقرر دراسي يستند إلى خلفية دينية كما وردت في العقيدة الإسلامية، ونحن لا ننكر على مقررات التربية الإسلامية عدم استعراضها هذه الظاهرة بين الحين والحين، فلا تخلو كتبها من بحث هذه الظاهرة والحديث عنها بشيء من الشرح، يأتي غالباً في سياق موضوعات شتى للاستدلال على عظمة الخالق وقدرته، ولكن الذي ننكره على هذه الكتب، وعلى التربويين بصفة عامة عدم الاهتمام بهذه المادة، وعدم إفرادها في كتيب خاص، يعنى بها عناية خاصة، حيث يصبح من بين المقررات التي ينبغي أن يطلع عليها الطلاب في مرحلة مبكرة من سنوات الدراسة.

ليست هذه دعوة إلى تقليد الغرب، فبضاعتنا ينبغي أن ترد إلينا، ونحن أولى بها من غيرنا، ولابد أن ينشأ الأطفال منذ الصغر، وهم يدركون حقيقة الحياة والموت، لذلك تأتي هذه الدعوة إلى استثمار مختلف جوانب الإيمان التي أرسى قواعدها الإسلام في مختلف مقرر اتنا الدراسية، وتأطيرها

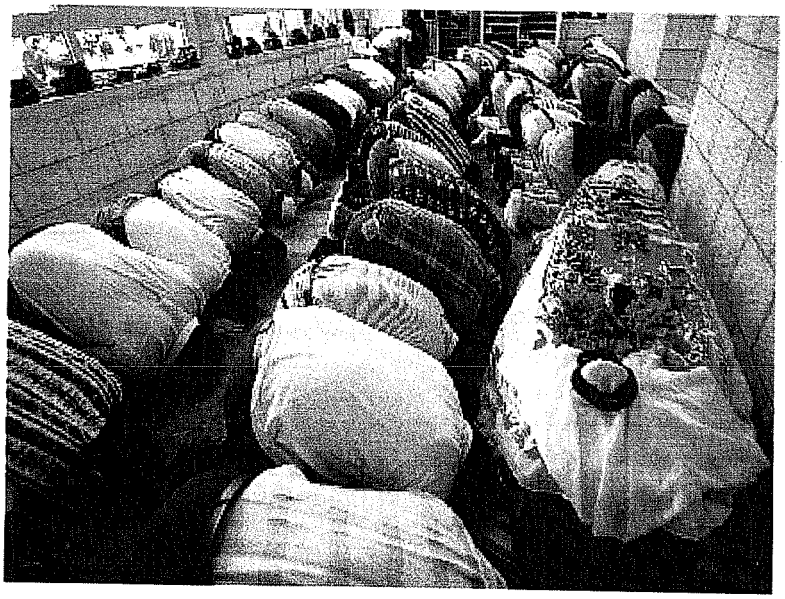

عرض القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى ظاهرة الموت وإلى تلك اللحظة القاسية على النفس البشرية

ضمن المناهج الدراسية والمقررات التربوية، بحيث يكون لها التأثير الفاعل في تشكيل الوعي التربوي المنشود، بما من شأنه أن يقدم مفهوماً سهلاً، وإدراكاً واقعياً محسوساً، يتصل بالحياة والموت على حد سواء، فيفهم الصغير الحياة كما يفهم الموت، فهماً أقرب ما يكون إلى الإدراك المحسوس، ويتوقف عند حدوده الدنيا، ذات القابلية لأن تدرك بالحواس، لا إلى الفهم المتعمق الذي يخاطب طبقات التفكير العليا لدى الإنسان، فالطفل ينبغي أن يدرك هذه الحقائق الكونية التي تحيط به، ويشاهدها في واقعه عن قرب، ويسمع بها ممن حوله، وتقع في محيطه بين الحين والحين،، مما يهوِّن عليه وعلى أسرته وقوع هذا الحدث المفاجئ لا قدَّر الله.

وقد يعترض على هذه الدعوة بعض المربين، باعتبار أنها قد تثير مشاعر الخوف والحزن لدى الطفل، في مرحلة هو أقرب فيها إلى عمر الزهور، ويرد عليهم بأن الطفل في مرحلة الرياض «دون سن السادسة»، هو المعني بهذا المقرر، يلمس هذه الظاهرة في الحياة التي يحياها، وقد يشاهدها مراراً عبر الفضائيات والمسلسلات، وحتى لا يذهب في تأويلها وتفسيرها بعيداً عن الواقع، وينسبها إلى القوى الخارقة، وإلى المخلوقات العجيبة، يصبح عرضها من خلال مقرر دراسي لا يتجاوز تدريسه بضع ساعات، أو من خلال كتيِّب ضمن مكتبة الطفل في المدرسة، من مستلزمات التربية السليمة ●

المراجع

١ - Cassell,s English Dictionary, THANAT. LONDON, 1962

٢ - أحمد بكري عصلة، الموت في الشعر العربي الحديث، ص ١٠، ط الأولى ٢٠٠٠م، مركز المخطوطات والتراث والوثائق - الكويت.

٣ - صدر كتاب عن المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب في الكويت بعنوان: قلق الموت.

٤ - زغلول راغب النجار، أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، ص ٥٣، ط الثانية، ١٩٩٥م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الرياض.

الوعي الإسلامي
al-Waei al-Islami
العدد (429) جمادى الأولى 1422هـ

كيف تعاقب طفلك؟



المحاذير الشرعية لتأجير الأرحام

كيف نواجه ثورة الغضب عند الأطفال؟



أزمة الأم الحاضنة بين علماء الوراثة وعلماء الدين

نظر الفقهاء في مسألة مقدار المحرم من اللبن

بقلم: أشرف سعد



كيف تعاقب طفلك؟

يولد الطفل خامة طبيعية يسهل تشكيلها كيفما يشاء الأهل، والحقيقة المشهود بها أن المعاملة الطيبة هي الوسيلة المأمونة لتوصيل الحب لأطفالنا لأنها تترك أثراً إيجابياً في نفوسهم ويصاحب ذلك الإرشاد والتوجيه، ولكن أحياناً يخطئ الطفل ويأتي العقاب عقب التوجيه، لذا نجد الآباء دائماً يبحثون عن أفضل الوسائل التي يستخدمونها للعقاب.

ولكن هل هناك حاجة للعقاب؟

معظم الآباء يسلمون بحقيقة العقاب البدني لأن الأطفال بحاجة دائمة إلى التقويم والتوجيه، ومنذ أقدم العصور استخدم العقاب كوسيلة تربوية وينصح كثير من علماء التربية مثل ابن سيناء وابن خلدون بأنه لا يجوز للمربي أن يلجأ للعقاب إلا في الحالات القصوى، ولا يلجأ إلى الضرب والوعيد إلا بعد التهديد، وذلك لإصلاح الطفل، وعلى الآباء أن يتصفوا بالحكمة عند استخدام الضرب كوسيلة للتربية، لأن بعض الآباء والكثير من المدرسين ينظرون إلى العقاب من أفق ضيق جداً، فالعقاب في نظرهم هو ضرب الطفل، والمثير للدهشة أن يلجأ الأهل إلى الضرب والعقاب للطفل في أواخر السنة الأولى من حياته لأنهم يظنون أن الوقت قد حان لتأديبه، وليس التراخي في معاملة الصغار بأقل ضرراً من القسوة فقد ثبت أن الطفل الذي ينشأ في تراخ وتهاون يظهر عليه اضطرابات الشخصية والسلوك اللاسوي.

طرق التعامل مع الأطفال في الأسر المختلفة

لقد حاول العلماء أن يحددوا معالم التعامل مع الأطفال في الأسر المختلفة ولقد توصل العالم «بيكر» إلى اتجاهات الأهل في التربية ويمكن أن تكون أحد الاتجاهات الأربعة التالية:

ينصح ابن سيناء وابن خلدون بأنه لا يلجأ للعقاب إلا في الحالات القصوى

- إذا كان الأهل من النوع العدواني والمعاقب الذي يستخدم العقاب البدني فإن نتاج هذه الأسرة، أطفال وشباب ذوو نزعات عدوانية.

أما إذا كان الأهل من النوع العدواني والغليظ في عقابه الجسدي ويراقبون أطفالهم ويحاسبونهم على كل صغيرة وكبيرة، فإن النتاج هم أطفال منعزلون اجتماعياً ولا يستطيعون التكيف لا مع المجتمع ولا مع زملائهم عندما يكبرون.

- وإذا كان الأهل من النوع الذي يتحكم في كل تصرفات أطفالهم فإن الأطفال يشبون وتصبح الطاعة العمياء هي الصفة المسيطرة عليهم ولا يستطيعون أن يستقلوا برأي

- وفي حال الأسر المثالية التي

يسودها الحب والود والتفاهم والعلاقات الحميمة التي تتيح في الوقت ذاته الفرصة للأطفال للاعتماد على أنفسهم ويستقلون بآرائهم فإن النتاج من هذه الأسر شباب ناجحون اجتماعياً يثقون ثقة عالية بأنفسهم.

مضار استخدام الضرب كوسيلة للعقاب

الضرب عقوبة لا تليق بآدمية الإنسان خصوصاً الضرب بالكف على الوجه أو بالعصا على الأرجل لأن الضرب يحطم نفسية الطفل ويشعره بالمهانة والتحقير والإذلال ويصيبه بالخجل إن تم أمام الغرباء وإذا استخدم كعقوبة في المدارس وأمام باقي التلاميذ فإنه يفسد نفسية الطفل ويصيبه بالخوف الشديد والخجل والتلعثم وربما العودة إلى التبول اللاإرادي. لذلك فالضرب يؤدي إلى نتائج سيئة ومن ثمَّ لابد من عدم اللجوء إلى استخدام الضرب كوسيلة للعقاب إلا في حال استنفاد جميع الوسائل التأديبية الأخرى وضرب الطفل بمعزل عن إخوته وأصدقائه لأن هذا النوع من العقاب يهين الطفل، بل يجعله حاقداً على أهله ومجتمعه.

وهناك وسائل يمكنها أن تقلل من انحرافات الطفولة منها

١ ـ القدوة الحسنة: يتأثر الطفل بوالديه خاصة بين سن الثالثة والسادسة ويعبر عن حبه لوالديه بأن يحاول تسجيل نفسه حسب صورتهما لديه لذلك لابد أن نكون قدوة حسنة لأطفالنا ولا نعاقبهم لأتفه الأسباب لأن الطفل أحياناً يتعلم العدوانية من والديه ويعتدي على أقرانه الصغار بالضرب.

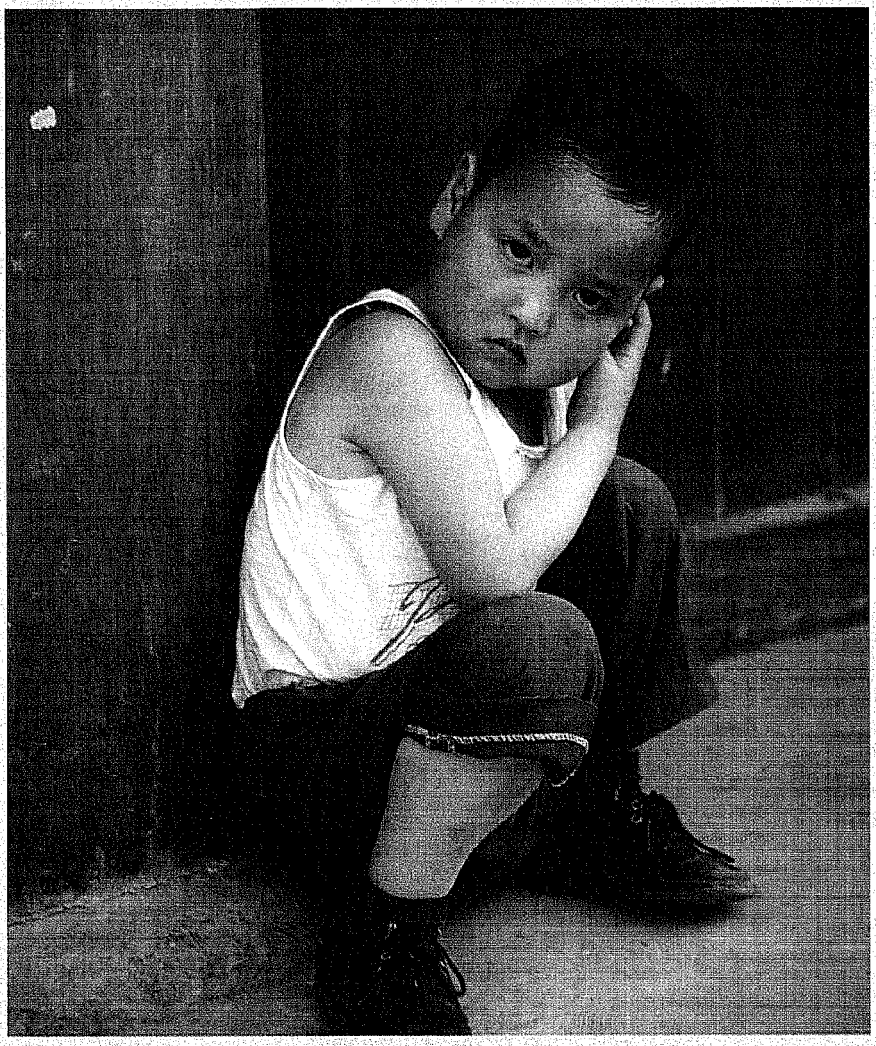

٢ ـ الإرشاد والتوجيه هو الطريق إلى الأخلاق الطيبة ليس مقروناً بنوايا الطفل الحسنة فحسب، بل يجب على الوالدين إرشاد طفلهما بلطف وهدوء إلى ما لا يجب عمله وأن يكون ذلك بحزم مع تنمية الشعور الديني عند الأطفال لأنه هو الحكم على سلوك الأطفال واستخدام أسلوب القدوة الحسنة في التربية لما لها من أهمية في توجيه الأطفال وعدم انحرافهم.

٣ ـ التوبيخ: أحياناً لاتصلح نظرة حاسمة مع الطفل لعقابه، لذا يستخدم التوبيخ كأسلوب لعلاج الخطأ الذي وقع فيه الطفل. ولنعلم أن الهدف الرئيس من ذلك هو مصلحة الأبناء وثبت بالدراسة أن أسلوب التوبيخ هو قوة ذات أثر في توجيه الطفل بعد السادسة.

٤ ـ البعد عن العقوبة الظالمة: أحياناً نخاف من عدم مقدرتنا على أن نسوس أطفالنا في المستقبل، فنلجأ للعقوبات الظالمة لذلك ينبغي ألا يحدث ذلك مطلقاً لأنه يترك أثراً سيئاً في نفسية الطفل، وشعوراً عارماً بالظلم والاضطهاد.

وعلينا أن نعلم أن القسوة في العقاب تؤدي إلى اضطراب الطفل نفسياً، والأسرة التي ينمو فيها الطفل لابد أن تكون دوحة من الحب وارفة الظلال تفوح بالتفاهم والمعاملة الطيبة ●

بقلم: علاء الدين معصوم حسن

كيف نواجه ثورة الغضب عند الأطفال؟

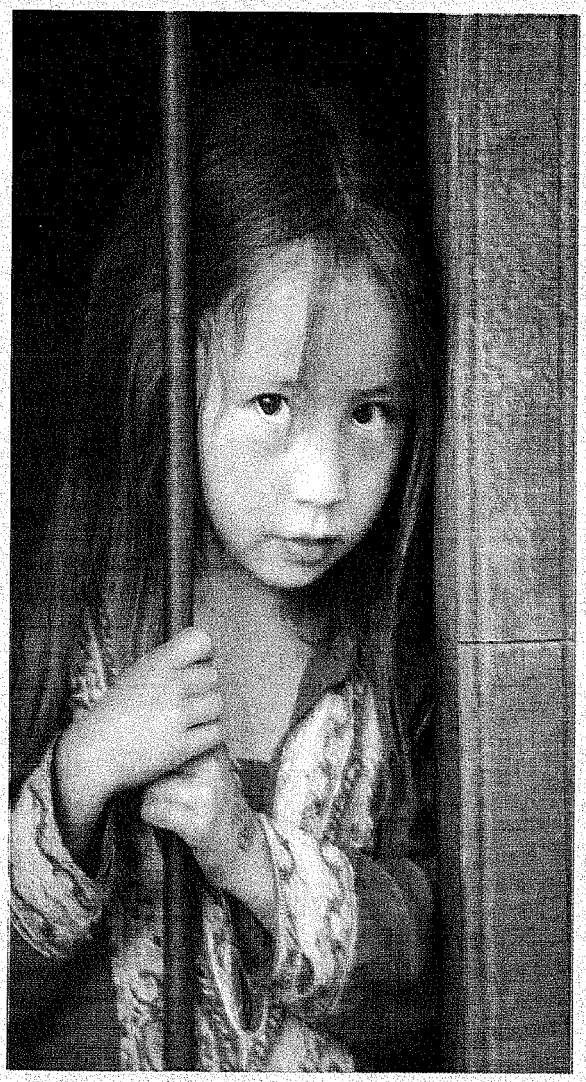

من الأمور الطبيعية عند الأطفال، أننا نجدهم يغضبون ويثورون ويشتركون في المشاجرات والشغب في أحيان كثيرة، بل إننا نشك أحياناً إذا لم يغضب هؤلاء الأطفال، فمثل هذا السلوك غير طبيعي عند الطفل، بل يدل على أنه يعاني من حال نفسية وربما يحتاج إلى علاج. ومن المعروف أن للغضب جوانب سلبية وإيجابية فجوانبه السلبية هي تعطيل القدرات العقلية والمحاكمة السليمة إضافة إلى تعطيل الإدراك الموضوعي لأهمية الحوادث الباعثة على الغضب. ثم إن الغضب يثير السلوك العدواني الأهوج غير المنضبط أما جوانبه الإيجابية فهي إثارة النشاط النفسي والعاطفي والجسمي للتعامل مع الموقف الباعث على التوتر والانفعال بهدف إزالة مسببات الإزعاج.

إن الغضب عند الطفل نتيجة طبيعية لمنعه من الاستمرار في مزاولة نشاطه الذي يقوم به

ولعل دراسة ظاهرة الغضب عند الأطفال ضرورية ومهمة، لأنها تسلط الضوء على حقيقة ظاهرة نفسية واجتماعية... إذاً، كيف نواجه ثورة الغضب عند الأطفال؟

إن الغضب عند الطفل نتيجة طبيعية لمنعه من الاستمرار في مزاولة نشاطه الذي يقوم به الذي ربما يكون مؤذياً.

ويكون الطفل في أثناء النوبة الغضبية في قمة الاستثارة والهيجان، ومن ثمَّ يقوم خلالها بتثبيت قدميه ويلعن ويسب ويتصف بعض الأطفال بسرعة الغضب، ويجدون في أي إثارة فرصة لإطلاق فيض من الشتائم أو الأعمال العدوانية، كما يتصف آخرون ببطء الاستجابة.

لقد درس علماء النفس ما يثير غضب الطفل في كل مرحلة من مراحل عمره، ورتبوها كما يلي:

- في العام الأول: ينفجر غضب الطفل غالباً سببه الطعام والنظافة وعلاقته بالآخرين.

- في العام الثاني: يغضب الطفل عندما تحاول الأسرة أن تكسبه عادات معينة، وبخاصة في أثناء تناول الطعام في مواعيد محددة.

- بين ثلاثة إلى أربعة أعوام: تبلغ ثورة الطفل غايتها على سلطة أبويه وتزداد مشكلاته الاجتماعية.

- وفي العام الرابع: تصبح المشكلات الاجتماعية هي السبب الرئيس في غضبه.

ويعد هذه المرحلة من العمر ينفجر غضب الطفل غالباً بسبب العقبات التي تعترض ميوله وتحرمه قيماً تُمتعه.

وعقاب الطفل حين يغضب لا يؤذيه، بل على العكس قد يراه حقاً وعدلاً شرط أن يكون مباشراً.

وأحسن ما يمكنه أن يتصرفه المربي هو أن يعوِّد الطفل منذ شهوره الأولى على مجابهة كل عقبة للغضب، وتكون الإجراءات التالية مفيدة:

- السعي لتقليل حركات الطفل وصراخه بالوسائل الممكنة في حال تعرضه للغضب.

- تجنب فرض القيود التي لا لزوم لها على الطفل، وعدم تكليفه بواجبات يتعذر عليه القيام بها.

- تحويل الغضب عند الأطفال إلى اهتمام آخر أو توجيه الانتباه عندهم إلى مركز آخر.

- التدرب على فن الاسترخاء النفسي لأنه يضعف المظاهر السلوكية والبيولوجية للغضب ●

نظر الفقهاء في مسألة مقدار المحرم من اللبن

بقلم: عبدالرحمن النبراني
أستاذ الدراسات الإسلامية - مراكش

يعد الرضاع مانعاً من موانع الزواج المؤبدة بالنسبة للرضيع والمرأة التي أرضعته وزوجها ومن يتفرع عنهما، لقوله تعالى: (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة) النساء:٢٣، وقوله صلى الله عليه وسلم: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»(١)، بسببه تنزل المرأة بالنسبة لمن أرضعته ذكراً كان أو أنثى منزلة أمه من النسب، وأبناؤها إخوته وأخواته، وهذا محل اتفاق بين الفقهاء، وإنما اختلفوا في القدر من اللبن الذي يحصل به التحريم، ولكل فريق أدلة منصوصة في المسألة.

أولاً: آراء وأدلة الفقهاء في المسألة:

تتوزع آراء الفقهاء في المسألة إلى أقوال عدة أشهرها ما يلي:

الأول: يحصل التحريم بقليل الرضاع وكثيرة، وهو قول أبي حنيفة ومالك ورواية عن أحمد، فإنهم لم يقولوا بالتحديد، فيقع التحريم عندهم بأي قدر من اللبن يرضعه الرضيع، سواء قل أو كثر، فالبنسبة للمذهب الحنفي حكى السرخسي عن أبي حنيفة قوله: «لايجوز له أن يتزوج بامرأة أرضعته قليلاً كان أو كثيراً عندنا»(٢)، وبالنسبة للمذهب المالكي نص الإمام مالك على أن «الرضاعة قليلها وكثيرها في الحولين تحرم»(٣)، وأيضاً جاء في المدونة الكبرى قول سحنون: «قلت لعبدالرحمن بن القاسم: أتحرِّم المصة والمصتان في قول مالك؟ قال: نعم»(٤).

تنزل المرأة بالنسبة لمن أرضعته منزلة أمه من النسب وأبناؤها إخوته وأخواته

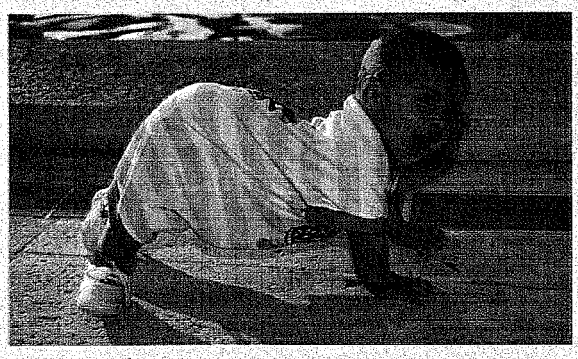

وبالنسبة للمذهب الحنبلي، حكى ابن قدامة أن للإمام أحمد رواية هي الثانية في مذهبه، تفيد مثل هذا القول.(٥) وذكر ابن حجر أن هذه الرواية هي المشهورة عنه.(٦) وهذا القول نسبه ابن عبدالبر إلى عدد من الصحابة والتابعين.(٧) ولم يورد الآثار المروية عنهم في المسألة، وهي مبثوثة عند غيره في مصنفاتهم.(٨)

ظاهر هذه الأقوال أن التحريم بسبب الرضاع يحصل بوصول اللبن إلى جوف الرضيع في الحولين الأولين، فيستوي قليله وكثيره «لأن شأن الشارع إناطة الحكم بالحقيقة مجردة عن شرط التكرار والكثرة، وتتحقق جزئية الرضيع من المرضعة بالقليل والكثير»(٩)، وبهذا القول أخذ قانون الأسرة الجزائري فنصت مادته التاسعة والعشرون على أنه «لايحرم الرضاع إلا ما حصل قبل الفطام أو في الحولين سواء كان اللبن قليلاً أو كثيراً».

واحتج أصحاب هذا القول بالكتاب والسنّة والمعقول.

- فمن الكتاب قوله تعالى: (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)

النساء:٢٣، أخذوا منه أن الله تعالى علّق التحريم بعموم الرضاعة من غير تخصيص فاستوى قليلها وكثيرها في الحكم. قال ابن عبدالبر: «الحجة في هذا ظاهر قول الله عز وجل: (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة)، ولم يخص قليل الرضاعة من كثيرها)(١٠)، وكذلك قال السرخسي: «حجتنا قوله تعالى: (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم)، أثبت الحرمة بفعل الإرضاع فاشتراط العدد فيه يكون زيادة على النص»(١١)، وصحح ابن العربي احتجاجهم بمطلق القرآن هنا وألزم من خالفه بالقول به وقال: «رأى مالك وأبوحنيفة الأخذ بمطلق القرآن الكريم وهو الصحيح، لأنه عمل بعموم القرآن وتعلق به. وقد قوي ذلك بأنه من باب التحريم في الأبضاع والأحوط على الفروج، فقد وجب القول به لمن يرى العموم ومن لم يره»(١٢).

- ومن السنة حديث عقبة بن الحارث قال: «تزوجت بامرأة فجاءتنا امرأة سوداء فقالت: أرضعتكما. فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: تزوجت بفلانة بنت فلان، فجاءتنا امرأة سوداء فقالت لي: إني قد أرضعتكما وهي كاذبة! فأعرض عني فأتيته من قبل وجهه قلت: إنها كاذبة. قال: كيف بها وقد زعمت أنها أرضعتكما؟ دعها عنك»(١٣)، ووجه الدلالة عندهم من هذا الحديث - كما قاله ابن القيم(١٤) حكاية عنهم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بفراق الزوج زوجته من غير أن يسأل المرأة التي أخبرت أنها أرضعتهما عن قدر ما رضعاه من لبنها.

يشترط في الرضاع للتحريم أن يكون في العامين الأولين، وأن يبلغ خمس رضعات

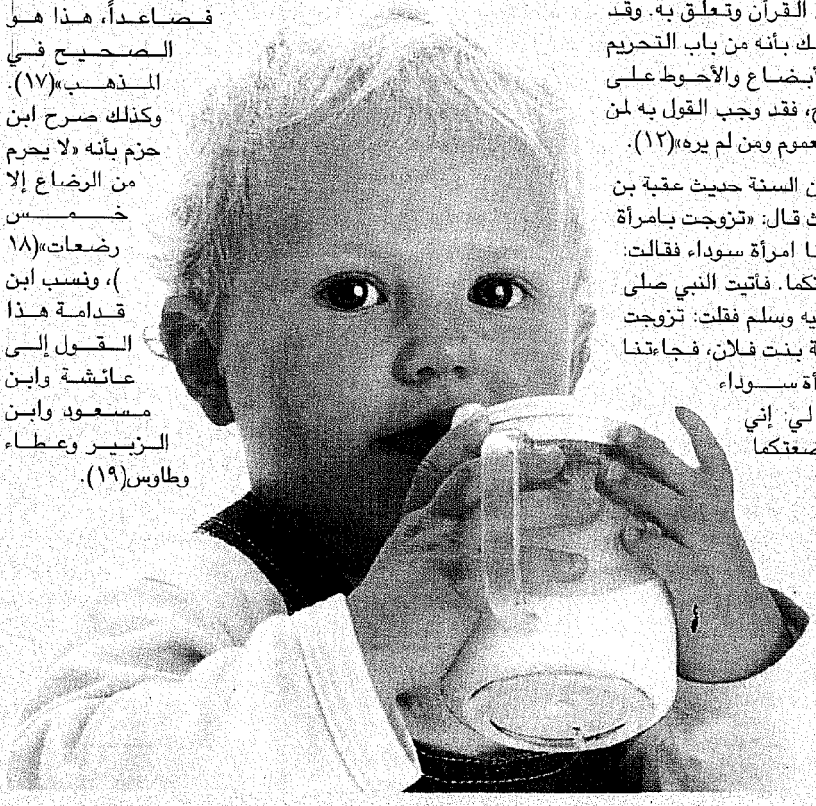

- وأما احتجاجهم بالمعقول فذكر الزمخشري أن «حرمة الرضاع إنما تثبت بالجزئية والبعضية لأن اللبن غذاء للصبي، فإذا وصل الغذاء إلى جوفه ولو لمرة واحدة تثبت الجزئية فوجب أن تثبت الحرمة»(١٥).

- والقول الثاني: لا يثبت التحريم إلا بخمس رضعات، وهو قول الشافعي والقول الصحيح في المذهب الحنبلي، وبه قال ابن حزم، فبالنسبة للإمام الشافعي، فإنه صرّح بأنه «لايحرم من الرضاع إلا خمس رضعات متفرقات»(١٦). وبالنسبة للإمام أحمد في الرواية الصحيحة عنه، ذكر ابن قدامة أن «الذي يتعلق به التحريم خمس رضعات فصاعداً، هذا هو الصحيح في المذهب»(١٧). وكذلك صرح ابن حزم بأنه «لا يحرم من الرضاع إلا خمس رضعات»(١٨)، ونسب ابن قدامة هذا القول إلى عائشة وابن مسعود وابن الزبير وعطاء وطاوس(١٩).

وبهذا القول، أخذ قانون الأحوال الشخصية السوري، فنص في الفقرة الثالثة من المادة الثانية على أنه «يشترط في الرضاع للتحريم أن يكون في العامين الأولين، وأن يبلغ خمس رضعات متفرقات يكتفي الرضيع في كل منها، قلَّ مقدارها أو كثُر»، وأيضاً أخذت به مدوّنة الأحوال الشخصية المغربية فقالت في الفقرة الثالثة من الفصل الثامن والعشرين: «لايمنع الرضاع من الزواج إلا إذا حصل في الحولين الأولين خمس مرات يقيناً، والرضعة لا تحسب إلا إذا عدت في العرف رضعة كاملة»، واختار العمل به عدد من الفقهاء المعاصرين منهم الشيخ محمود شلتوت في فتاواه(٢٠)، وبه أفتى الشيخ عبدالعزيز بن باز(٢١)، والدكتور الشيخ يوسف القرضاوي(٢٢)، ووصفه بأنه أرجح وأوسط ما جاءت به الروايات(٢٣).

واحتج أصحاب هذا القول بما يلي:

أ ـ حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرِّمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن»(٢٤).

ب ـ حديث سهلة بنت سهيل ـ امرأة أبي حذيفة ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرها أن ترضع سالماً مولى أبي حذيفة، وقد بلغ ما يبلغ الرجال، فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة»(٢٥).

جـ ـ حديث أم الفضل أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحرِّم الرضعة أو الرضعتان»(٢٦).

بهذه الأحاديث احتج أصحاب هذا القول، وأكد الاحتجاج بها الإمام الشافعي وبها ناظر مخالفيه في المسألة(٢٧)، وأوضح الماوردي أن ما ورد النص على نسخه في حديث عائشة رضي الله عنها هو نسخ التلاوة دون الحكم، فإنه بقي كالذي روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الرجم(٢٨)، فإنه نسخ خطه ورفع وثبت الحكم به(٢٩).

ـ والقول الثالث: يحرم من الرضاعة ثلاث رضعات، نسبه ابن قدامة إلى أبي ثور وأبي عبيد وابن المنذر وداود بن علي، وحكى أنه رواية أخرى عن أحمد(٣٠). وذكر أن مما احتجوا به قوله صلى الله عليه وسلم: «لاتحرِّم الرضعة أو الرضعتان أو المصة أو المصتان»(٣١). وقوله: «لا تحرِّم الإملاجة(٣٢) والإملاجتان»(٣٣). فإنهما يفيدان بظاهرهما أن الرضيع إذا ملج لبن امرأة مرة أو مرتين لا يصير ابناً لها من الرضاع. ويؤخذ منهما عن طريق المفهوم أنه إذا تجاوز رضعتين بأن أرضعته ثلاث مرات فما فوق صارت أمه من الرضاع فتحرم عليه كما تحرم عليه أمه من النسب، لكن المفهوم لا يقوى على المنطوق، فحديث عائشة رضي الله عنها ورد فيه التصريح بأن الذي يثبت به التحريم هو خمس رضعات.

الإمام مالك: الرضاعة قليلها وكثيرها في الحولين تحرم

الرضيع إذا ملج لبن امرأة مرة أو مرتين لا يصير ابناً لها من الرضاع

ثانياً: مناقشة الأدلة

١ ـ مناقشة أدلة الفريق الأول:

ـ أما احتجاج الفريق الأول الذين يرون التحريم بقليل الرضاع وكثيره بمطلق الرضاع في قوله تعالى: (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم)، فيرد عليه أن هذا الإطلاق ورد مقيداً في أحاديث صحيحة عدة احتج بها من خالفهم، وقد سبق ذكرها.

وكذلك ما احتجوا به من السنّة وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بمفارقة الزوج زوجته لقول امرأة إنها أرضعتهما من غير أن يسألها عن مقدار ما رضعا من لبنها، فإن الاحتجاج به حسب ابن حجر ـ «فيه نظر، لأنه لا يلزم من عدم ذكرها عدم الاشتراط، لاحتمال أن يكون ذلك قبل تقرير حكم اشتراط العدد أو بعد اشتهاره فلم يحتج لذكره في كل واقعة»(٣٤).

٢ ـ مناقشة أدلة الفريق الثاني:

ـ وأما احتجاج الفريق الثاني الذين قالوا بتحديد القدر المحرِّم بخمس رضعات بحديث عائشة «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرِّمن ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهن مما يقرأ من القرآن»، فقد رده مخالفوهم بأنه خبر آحاد لا يصلح أن يثبت به القرآن لأن من شرطه أن ينقل بالتواتر. و«اشتراط العدد فيه ـ كما قال السرخسي ـ يكون زيادة على النص، ومثله لا يثبت بخبر الواحد».(٣٥)

وحقاً فإن القرآن كله منقول إلينا بالتواتر، لكن إذا انعدم هذا الشرط في حديث عائشة فلم يثبت قرآناً، فإنه يكون سنة. وإن خبر الآحاد إذا انتفى عنه شرط ما نقل به القرآن، فإنه لا ينتفي وجوب العمل به. وقد أوضح أبو سليمان الخطابي أن «الأحكام تثبت بأخبار الآحاد فجاز أن يقع العمل بها»(٣٦).

ثالثاً: سبب الاختلاف:

يتبين من خلال عرض أدلة كل فريق في المسألة أن سبب اختلافهم فيها يرجع إلى تعارض الأدلة، ذلك أن الرضاع المحرَّم ورد في القرآن الكريم مطلقاً، وورد في بعض الأحاديث مقيداً بعدد الرضعات، وهذه الأحاديث يعارض بعضها بعضاً، فاختلف الفقهاء من أجل ذلك. وهذا قول ابن رشد: «السبب في اختلافهم في هذه المسألة معارضة عموم الكتاب للأحاديث الواردة في التحديد، ومعارضة الأحاديث في ذلك بعضها ببعض»(٣٧).

رابعاً: الترجيح

يظهر من خلال عرض آراء وأدلة الفقهاء في المسألة أن القول الراجح فيها هو ما ذهب إليه الإمام الشافعي وقال به ابن حزم: إن الذي يحرِّم من الرضاع هو خمس رضعات لما يلي:

١ ـ إن التحريم بالرضاع في قوله تعالى: (وأمهاتكم اللاتي

أرضعنكم) وفيما وافقه من أحاديث ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»، وقوله لمن جاء يستفتيه في شأن ما أخبرته به إحدى النساء أنها أرضعته وزوجته: «كيف وقد زعمت أنها أرضعتكما؟»، ورد مطلقاً فقيده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدد ضبطه به في أحاديث ثلاثة. أحدها قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تحرم الرضعة أو الرضعتان أو المصة أو المصتان»، والثاني قوله صلى الله عليه وسلم: «لاتحرم الإملاجة والإملاجتان»، والثالث حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن»، ويوافق هذا الحديث حديث سهلة بنت سهيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لها أن ترضع سالماً مولى أبي حذيفة لتحرم عليه، فأرضعته خمس رضعات.

فهذه الأحاديث وردت لبيان المقدار المحرِّم من الرضاع، فالحديثان الأولان ورد فيهما نفي التحريم برضعتين اثنتين، فأفادا بمفهومهما أن ما زاد عليهما يحرم وهو ثلاث رضعات فما فوقها، والحديث الثالث وهو حديث عائشة فيه أن التحريم لايحصل بما دون خمس رضعات، وهو وإن عارضه الحديثان المتقدمان فإن الحكم فيه منطوق وفيهما يؤخذ بالمفهوم، والمنطوق أقوى من المفهوم فيتقدم عليه.

ثم إن قول عائشة رضي الله عنها: «توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن»، ويؤخذ منه أن نسخ الرضعات الخمس تأخر حتى إنه توفي عليه الصلاة والسلام، وبعض الناس الذين لم يبلغهم النسخ استمروا يقرؤونها على الرسم الأول. وهذا قول النووي: «قولهما: (فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن)، هو بضم الياء من يقرأ، ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى إنه صلى الله عليه وسلم توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلواً لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده. فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى»(٣٨). وإلى هذا المعنى ذهب الخطابي في معالم السنن(٣٩) والشوكاني في نيل الأوطار(٤٠) والصنعاني في سبل السلام(٤١).

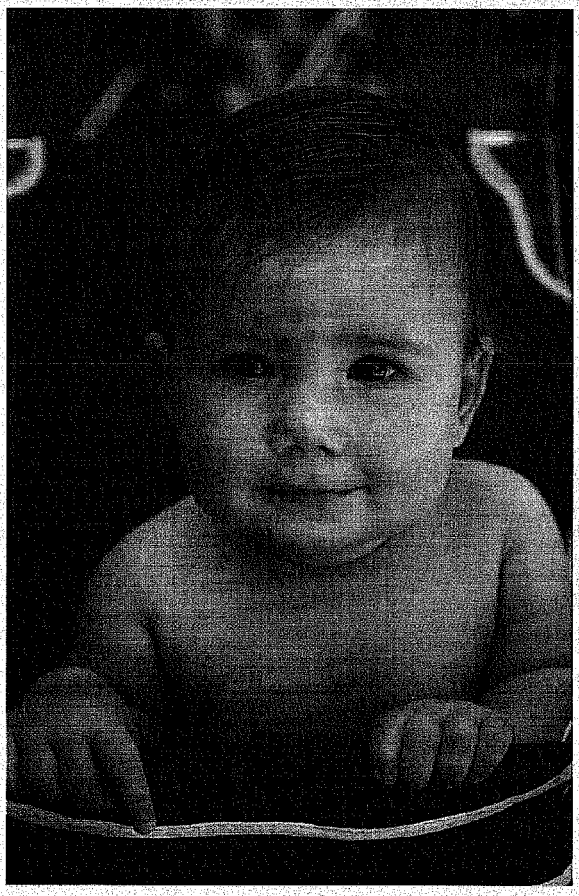

يكون المقدار من اللبن الذي ترضعه المرأة مقدار تشعر به بمعنى الأمومة للرضيع

٢ ـ إن تحقيق دلالة لفظ «الأمهات» في قوله تعالى:

(وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم)، يحتاج - كما قال الشيخ شلتوت في فتاواه(٤٢) - إلى أن يكون المقدار من اللبن الذي ترضعه المرأة مقدار تشعر به بمعنى الأمومة للرضيع، ويصير به اللبن جزءاً لبدنه. ولا شك أن هذا المعنى لا يحصل بالقليل منه. ويؤيد هذا أنه وردت أحاديث نبوية فيها وصف الرضاع الذي يحصل به التحريم هي:

أ - حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجل فقال من هذا؟ قلت: أخي من الرضاعة. قال: يا عائشة انظرن من إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة»(٤٣)، ففيه أن للتحريم بالرضاع ضابطاً في الشرع وهو أن يحصل في الفترة التي يكون فيها اللبن غذاء للرضيع يدفع عنه جوعه.

ب - حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم»(٤٤)، فإنه يفيد بظاهره أنه لا يعتبر من الرضاع المحرّم إلا ما يحصل به شد عظم الرضيع وإنبات لحمه، وهذا بلا شك لا يحصل بقليل الرضاع.

جـ - حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لايحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام»(٤٥)، فإن ما يدل عليه بظاهره لا يختلف عما يوخذ من ظاهر حديث ابن مسعود قبله.

فهذه الأحاديث الثلاثة تفيد أن

الراجح ما ذهب إليه الشافعي وابن حزم إن الذي يحرّم من الرضاع هو خمس رضعات

ضابط التحريم بالرضاع هو أن يكون اللبن غذاء وحيداً للرضيع تحصل به الفائدة الجسمية، وهذا يكون في الحولين الأولين ويحصل بخمس رضعات فما فوق، للقول ابن حجر: «وقوله: «من المجاعة»، أي الرضاعة التي تنشيت بها الحرمة وتحيل بها الخلوة هي حيث يكون الرضيع طفلاً يسد اللبن جوعته، لأن معدته ضعيفة يكفيها اللبن، وينبت بذلك الحمه فيصير كجزء من المرضعة فيشتركان في الحرمة مع أولادها)(...)، ومن شواهده حديث ابن مسعود: لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم»، (...)، وحديث أم سلمة: (لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء)»(٤٦).

٣ - إن الإمام أحمد ممن يرون حصول التحريم بقليل الرضاع، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لاتحرم المصة ولا المصتان»، ومع ذلك لم يجد ما يدفع به مذهب عائشة رضي الله عنها في التحريم بخمس رضعات، بل قواه. فحكى عنه الترمذي قوله: «إن ذهب ذاهب إلى قول عائشة في خمس رضعات فهو مذهب قوي»(٤٧)، وعلق عليه الإمام الترمذي بقوله: «ويبن عنه أن يقول فيه - يعني في مذهب عائشة - شيئاً»(٤٨) ●

المراجع

١ - صحيح البخاري: كتاب الشهادات، رقم الحديث ٢٦٤٥، وصحيح مسلم: كتاب الرضاع، رقم الحديث ١٤٤٤.
٢ - المبسوط للسرخسي: ج٥/١٣٤.
٣ - الموطأ للإمام مالك: كتاب الرضاع، باب رضاعة الصغير ٤٧٢.
٤ - المدونة الكبرى للإمام مالك: ج٢/٤٠٥.
٥ - المغني لابن قدامة: ج٩/١٩١.
٦ - فتح الباري للحافظ ابن حجر: ج١٠/١٨٣ شرح الحديث ٥١٠٢.
٧ - الاستذكار لابن عبدالبر: ج١٨/٢٥٩ - ٢٦٠.
٨ - منها مصنف ابن أبي شيبة: ج٤/٣٨٦ - ٣٨٧، والسنن الكبرى للبيهقي: ج٧/٤٥٨.
٩ - الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي: ج٧/٧١٢.
١٠ - الاستذكار: ج١٨/٢٦١.
١١ - المبسوط: ج٥/١٣٥.
١٢ - أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي: ج١/٣٧٤.
١٣ - صحيح البخاري: كتاب النكاح، رقم الحديث ٥١٠٤.
١٤ - زاد المعاد لابن القيم ج٥/٥٧١/٣٥٧.
١٥ - رؤوس المسائل للزمخشري: ٤٤٣ رقم الـ... الآية ٣١٣.
١٦ - كتاب الأم للشافعي: ج٥/٢٩.
١٧ - النظر اللغتي: ج٩/١٩٣.
١٨ - المحلى لابن حزم: ج١٠/١٨٩ رقم المسألة ١٩٠٢.
١٩ - اللغتي: ج٩/١٩٣.
٢٠ - الفتاوى للشيخ محمود شلتوت: ٢٨٨.
٢١ - مجموعة الفتاوى والرسائل النسائية للشيخ عبدالعزيز بن باز: ١٣، رقم الفتوى ٣٢٥٠، بتاريخ ١٤٠٠/١٠/٩هـ.
٢٢ - فتاوى معاصرة للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: ج٢/٦٠٤.
٢٣ - انظر الحلال والحرام للشيخ القرضاوي: ١٢٠.
٢٤ - صحيح مسلم: كتاب الرضاع رقم الحديث ١٤٥٢.
٢٥ - سنن أبي داود: كتاب النكاح رقم الحديث ٢١٦٠.
٢٦ - طرف من حديث في صحيح مسلم يشرح النووي: كتاب الرضاع رقم الحديث: ١٤٥٠/١م ٢.
٢٧ - كتاب الأم للشافعي: ج٥/٢٩.
٢٨ - يعني قوله: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله» أخرجه ابن حبان في صحيحه بسنده إلى أبي بن كعب. ينظر الإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان، كتاب الحدود، رقم الحديث ٤٤٨٢.
٢٩ - الحاوي الكبير للماوردي: ج١١/٣٦٣.
٣٠ - اللغتي: ج٩/١٩٣.
٣١ - سبق تخريجه في هذا البحث.
٣٢ - قال ابن منظور: «ملح الصبي أمه يملجها، ويملجها إذا رضعها، وأملجته هي (...) والإملاج الإرضاع (...)، والإملاجة: المرأة. انظر لسان العرب: باب الجيم فصل الميم.
٣٣ - صحيح مسلم: كتاب الرضاع، رقم الحديث ١٤٥٠.
٣٤ - فتح الباري: ج١٠/١٩١ عند شرح الحديث رقم ٥١٠٤.
٣٥ - المبسوط: ج٥/١٣٤.
٣٦ - معالم السنن للخطابي: ج٣/١٦٦١.
٣٧ - بداية المجتهد لابن رشد: ج٢/٣٥٠.
٣٨ - شرح النووي على صحيح مسلم عند شرح الحديث رقم ١٤٥٢.
٣٩ - معالم السنن: ج٣/١٦٦١.
٤٠ - نيل الأوطار: ج٦/٣١١٢.
٤١ - سبيل السلام للصنعاني: ج٣/١٥٣٧.
٤٢ - في دلالة كلمة «أمهاتكم» قول الشيخ محمود شلتوت في كتابه الفتاوى: ٢٨٤.
٤٣ - صحيح البخاري: كتاب الشهادات رقم الحديث ٢٦٤٧.
٤٤ - مسند الإمام أحمد: رقم الحديث ٤١٠٣، وانظر تلخيص الخبير للحافظ ابن حجر: ج٤/٤، رقم الحديث: ١٦٥٣.
٤٥ - سنن الترمذي: كتاب الرضاع، رقم الحديث: ١١٥٢.
٤٦ - فتح الباري: عند شرح الحديث رقم ٥١٠٢.
٤٧ - سنن الترمذي: ج٢/٤٤٧، بعد ذكر الحديث رقم ١١٥٠.
٤٨ - المصدر نفسه.

إن المعهود لدى الناس أن الطلاق يعني انفصال الرجل عن المرأة انفصالاً شرعياً كاملاً، إذا كان طلاقاً باتاً أو مكملاً للثلاث أو طلاقاً قبل الدخول بالبكر، أو تطليقاً من القاضي، أو انفصالاً شرعياً رجعياً في خلال العدة، إذا لم يكن الطلاق قد تم إلا لمرة واحدة أو لمرتين فحسب، فعندئذ تجوز المراجعة للمرأة خلال العدة الشرعية.

لا أقصد بالطلاق العاطفي، الانفصال الشرعي بالطلاق المعهود أو التطليق، وإنما اقصد الطلاق النفسي، أي قيام حياة زوجية بين رجل وامرأة بلا عواطف، كأنهما قد طلقا المشاعر والأحاسيس فيما بينهما إلى غير رجعة، ولم يبق بينهما سوى صورة زواج أو شكلية الزواج ليس إلا ، وهذا النوع من الانفصال العاطفي يؤدي إلى تدمير الأسرة، وتفكك روابطها على المدى القريب أو البعيد من حيث يدري الزوج أو لا يدري، وهو المقدمة الطبيعية التي تسبق الطلاق المادي أو الحقيقي أو الشرعي.

الطلاق العاطفي وآثاره المدمرة على الأسرة

بقلم: أ.د مصطفى عرجاوي
أستاذ الفقه المقارن والسياسة الشرعية بجامعة الكويت

تبدأ المشكلة عندما يجف نبع المشاعر بين الزوجين، والبداية تكون مع لحظة انقطاع التواصل بينهما، إذ لا يحادث الرجل زوجته، ولا تحادث المرأة زوجها، وإنما علاقات تقليدية تصبح مع الاستمرار عادة، وتنتهي إلى تشييد جدار من الصمت بين الزوج وزوجته، لأن الزوج يشعر بأنه يشقى في عمله ويبذل قصارى جهده لإسعاد أسرته، ولكن زوجته لا تقدر تضحياته، وما يبذله من جهد... والزوجة من جهتها تشعر أن زوجها يهملها، ولا يعاملها المعاملة الكريمة التي تستحقها، فهي عنده لاتزيد عن قطعة من أثاث البيت لأنه لا يحترمها، ولا يستشيرها في أمر ما، ولا يهتم بمشاعرها، ولا يحرك أحاسيسها، فالعلاقة بينه وبينها ليست سوى علاقة مادية بحتة، ينقصها نهر العواطف والمشاعر والأحاسيس النبيلة، لذلك يزداد جدار الصمت ويتعاظم بينهما حتى يصبح قلعة تستعصي على الاختراق، أو عائقاً يشبه السد المنيع، أو عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها بلا مخاطرة أو مخاطر... والسبب الرئيس هو إهمال الزوج لزوجته، واستهانة الزوجة بزوجها أو بُعدها عنه يأساً منه أو تجاهلاً له أو تعالياً عليه... وعندئذ تقوم المشكلة، وتبرد المشاعر وتتجمد الأحاسيس ويقع أبغض الحلال بين العواطف نفسياً، ويستمر هذا الانفصال مدة، قد تطول أو تقصر حسب الظروف الشخصية البحتة، أو الإنسانية بعامة، أو لسبب الاعتبارات العائلية وإلى حين، وذلك إلى أن ينتهي الأمر إلى الانفصال الحقيقي بالطلاق الشرعي في نهاية المطاف.

استطلاعات

أصبحت مشكلة العصر عند الكثير من الأمم مشكلة الطلاق العاطفي، لأنها مشكلة المشاكل التي تهدد المجتمع بأسره، فضلاً عن الأسرة، وهي الخلية الأولى، أو اللبنة الأولى في صرح المجتمع برمته، بدأت تجري بعض مراكز الأبحاث للاستطلاعات والوقوف على رأي الأزواج والزوجات في هذه المشكلة، والتعرف على سبل التخلص منها أو الحد من مخاطرها بصورة أو بأخرى.

عندنا في العالم العربي لم تأخذ المشكلة أبعاداً حقيقية إلا

في أواخر القرن العشرين، حيث أصبحت حقيقة واقعة ومؤلمة مع مطالع القرن الحادي والعشرين، وبدأت الجمعيات النسائية الخاصة، وبعض المؤسسات الحكومية تجري استطلاعات عدة للرأي للتعرف إلى أبعاد هذه المشكلة التي لم تكن معروفة بحجمها وحدتها على النحو الذي ظهرت به في معظم المجتمعات العربية والأجنبية، لسبب تسارع وقع الحياة، والسعي المتواصل لتحصيل معيشة أفضل، وإن كان هذا على حساب المشاعر الإنسانية وحقوق الأسرة، لأن مقتنيات ومستحدثات الثورة العلمية والمعلوماتية، وطفرات التطور في كل مجالات الحياة، دفعت بمعظم الأزواج والزوجات إلى بذل قصارى جهودهم لاقتناء معظم هذه الأدوات الحديثة، مجاراة لأساليب العصر، أو محاكاة لبعض الأسر أو الجيران، وهذه الأجهزة تتطلب أموالاً طائلة، والأموال تحتاج لاكتسابها إلى المزيد من العمل، بل والمغامرة أحياناً للوصول إلى المبتغى والهدف الذي لانهاية له.

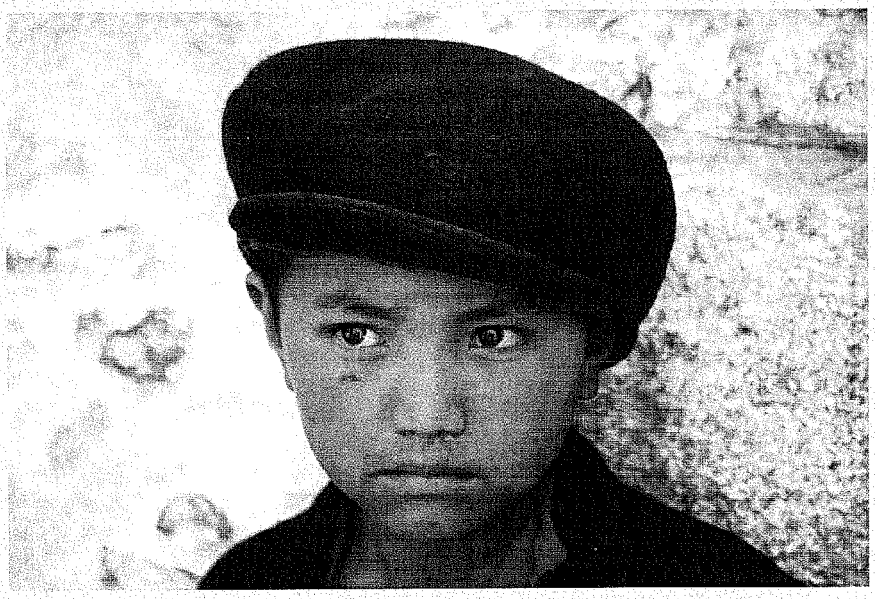

يأتي هذا في زحمة البحث عن اقتناء الأجهزة الحديثة، وتحصيل المتع المادية لقد نسي الإنسان حقوق الآخرين، ومن أهمها حقوق الأسرة، ومن ثمّ تأثرت العلاقة بين الزوجين لسبب التباعد، والتدافع المستمر لتحصيل أكبر قدر ممكن من الأموال، بغض النظر عن الوسيلة بعض الأحيان، وانتهت معظم الاستطلاعات إلى حقيقة واحدة، هي أن الأزواج يعيشون في أبراج عاجية، بعيداً عن زوجاتهم، والزوجات لا يحاولن الاقتراب من أزواجهن، والعلاقة بينهما ليست سوى مصالح أو منافع - أي سيطرت الماديات والمنافع على هذه العلاقة، وأصبحت لها الأولية المطلقة - فالزوج يبحث عن متعه الخاصة التي قد يفتقدها في بيته، والزوجة ترضي نهمها بوسائلها الخاصة لنعوض مانشعر به من حرمان عاطفي، وذلك على حساب أسرتها بتبديد كل ما يقع تحت يدها من أموال فيما لا طائل منه ولا فائدة، وكأنها تعاقب زوجها على إهماله لعواطفها، وتجاهله لمشاعرها، وهو يبادلها الشعور نفسه لعدم حرصها على أمواله ومقتنياته، والجهد والوقت اللذين بذلهما لتحصيل الأموال وتوفيرها. هذا المال الذي بذل الجهد للحصول عليه تضيّعه زوجته سدى، وبلا حساب، وهنا تنشأ المشكلة وتزداد حدة، وتنتهي بالطلاق الحقيقي في كثير من الأحيان، حلاً للمشكلة باعتبارها آخر الحلول، فهي مثل الكي بالنار.

استطلاعات الأجانب

عندما ازدادت حدة المشاكل بين الأزواج في ألمانيا، وارتفعت على أثرها نسبة الطلاق إلى ٣٠٪ بين المتزوجين، قام أحد أساتذة العلاقات الإنسانية في جامعة «كيبل» في ألمانيا، ويدعى «البروفيسور هانزيورغن»(١) بإجراء دراسة مطولة وعميقة على نحو خمسة آلاف حالة زواج، بعد أن راعته نسبة الطلاق المتزايدة هناك، ووضع في اعتباره أن تشتمل دراسته على الكثير من قطاعات المجتمع، فحالات الزواج كانت تمثل عند اختياره لدراستها مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية والمالية... وقد توصل إلى الحقيقة نفسها التي تم التوصل إليها في عالمنا العربي، وهو أن إهمال الزوج لزوجته، وكذا الزوجة لزوجها، هو لبّ المشكلة، وأن الحديث بين الأزواج شبه منقطع ولا يستمر سوى لحظات، وفي أمور تافهة تتصل بشؤون لا تمت إلى المشاعر أو العواطف الإنسانية لا من قريب ولا من بعيد.

ولأن الإنسان هو الإنسان مهما تغيرت البيئات، فكانت النتيجة التي توصل إليها الباحث الألماني أن ذلك لسبب جفاف العواطف، وانقطاع المشاعر، والصمت المتواصل بين الأزواج ومن ثم تقع حالات الطلاق وتزداد باستمرار، والعلاج هو العودة إلى كنز المشاعر وتبع الأحاسيس، والاحترام والتقدير المتبادل بين الزوجين، وتواقر الوقت لتبادل الأحاديث الودية بينهما بصورة مستمرة مهما كانت العقبات، لأن للأسرة من الحقوق على الزوجين أضعاف ما للمجتمع، ومن يفشل في بناء أسرته، يساعد على تقويض بناء المجتمع، لبنة فأخرى، من حيث يدري أو لايدري.

الآثار السلبية للطلاق العاطفي

لا يترتب على الانفصال العاطفي تهديد العلاقة الزوجية

بالانفصام فحسب، وإنما بتفكك الروابط بين أفراد الأسرة، هذا التفكك يعاني منه الأبناء معاناة مرة، لافتقادهم لحنان الأم ولمودة الأب، ولرحمة الأسرة وسكينة الاستقرار في بيوتهم، «لأن فاقد الشيء لا يعطيه»، والمرأة التي تفتقد الحنان والعواطف والمشاعر حتى في أقرب الناس إليها، وهو زوجها، لن تمد مظلة هذه المشاعر إلى أبنائها بدرجة كافية، والزوج المشغول بذاته أو بعمل ما أو بشؤون الحياة، لايجد الوقت الذي يصل فيه فلذات كبده، بل يصرف كل همّه إلى بناء أجسامهم، ولا يهتم بمشاعرهم أو أحاسيسهم، فقد يحتاج الولد، ذكرا كان أو أنثى، لكلمة من أبيه، وهي عنده أهم من كل كنوز الدنيا، فلا تتحقق رغبته بسبب مشاغل الأب، وقد يحتاج إلى لمسة حنان من أمه، فلا يتحقق مراده بسبب تطلعات الأم وبعدها عن أفراد أسرتها، وترك أعباء المنزل للخدم أو للأبناء، أو للوقت المتبقي بعد إرضاء الرغبات الشخصية، فتتصدع مشاعر الأبناء تجاه الأبوين، وتتسع الهوة بصورة تنتهي على الأغلب إلى وقوع مأساة الطلاق العاطفي بين جميع أفراد الأسرة، وبخاصة بعد أن تبدو معالمه ظاهرة بين الزوجين، وما هي إلا مجرد أيام أو سنوات، وتجني الأسرة الثمرة المرة لتجاهل مشاعر الأبناء ولوقوع الانفصال العاطفي بين الزوجين، وتتكرر المأساة بسبب أنانية الزوج، وتعنت الزوجة، وعدم حرص أحدهما أو كلاهما على مراعاة أحاسيس الآخر، وإرضاء مشاعره، والتضحية بالمصالح الشخصية من أجل الأسرة، وحُسن تنشئة الأبناء بلا أمراض نفسية أو عقبات كأداء بسبب البحث عن الحب المفقود عند رفاق السوء، ما يؤدي إلى تدمير الأسرة في نهاية المطاف.



الحل الإسلامي للمشكلة

إذا كان الباحث الألماني قد انتهى بعد دراسة مطولة شملت خمسة آلاف زوج إلى ضرورة فتح باب الحوار بين الأزواج، وأن يعطى كل واحد من الزوجين للآخر ساعة من وقته أسبوعياً تخصص لتبادل الرأي، والتعرف على أوجه التباين أو الخلاف بينهما، فإن الإسلام قد وضع الحل الأمثل لهذه المشكلة منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً، بتقرير حق الزوجة على الزوج فقال عليه الصلاة والسلام: «... وإن لزوجك عليك حقاً، فاعط كل ذي حق حقه»(٢)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسامر زوجاته ويدخل السرور إلى قلوبهن، وقد سابق السيدة عائشة رضي الله عنها، وقد روت الصديقة بنت الصديق هذه الواقعة فقالت: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، قال: هذه بتلك السبقة»(٣)، وقالت رضوان الله عليها: «كان يوم عيد، يلعب فيه السودان بالدرق والحراب، فإما سألت النبي صلى الله عليه وسلم، وإما قال: «تشتهين تنظرين؟» فقلت نعم، فأقامني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: «دونكم يا بني أرفدة» حتى إذا مللت قال: «حسبك»(٤)، وقد سأل الأسود بن زيد السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما كان

النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في البيت؟ فقالت: «كان في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج إلى الصلاة»(٥).

إن الزوجة تحب من زوجها أن يسعد قلبها بممازحتها ومصاحكتها، ومعاونتها في شؤن البيت عند الاقتضاء، لأن خير الأزواج هو خيرهم لأهله، وذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً»(الأحزاب:٢١).

فصلوات الله وسلامه عليه كان خير الأزواج لزوجاته، والإسلام يحضنا على معاشرة الزوجات بالمعروف، يقول ابن كثير - يرحمه الله - وهو يفسر قوله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف)(النساء: ١٩)، «طيّبوا أقوالكم لهن، وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحبون ذلك منهن، فافعلوا أنتم بهن مثله»، كما قال تعالى: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)(البقرة:٢٢٨)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»(٦)، وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله ويتلطف بهن، ويوسعهن نفقة، ويضاحك نساءه... كما كان يجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة منهن إلى منزلها، وكان إذا صلى العشاء... يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام، يواسيهم بذلك»(٧).

هذا هو الحل الإسلامي لمشكلة الطلاق العاطفي أو النفسي بين الأزواج، أن يقتدي الزوجان برسول الله صلى الله عليه وسلم وبزوجاته أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، في حبهن ووفائهن وتضحياتهن، وحبهن للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، لكي تدوم العشرة، وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه، بلا إفراط أو تفريط، ويكفي أن آخر كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفسه تتلجلج بالنفس الأخير، هو توصيته بالمرأة خيراً، والرفق بها، والإحسان إليها.

إن عملنا بهذه الوصية ستنخفض نسب الطلاق الحقيقي، ولن تلجأ للمحاكم سوى المضطرة، وسيعود إلى الأسرة تماسكها وترابطها، وستعيش في أمن ووئام، ومحبة وسلام، واستقرار تام لاقتدائها بخاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام ●

الهوامش

١ - أحاديث لا تنقصها الصراحة، لمحمد رشيد العويد، ج٢ ص ٧٥ - ٧٧.

٢ - صحيح مسلم، حديث رقم ١١٥٩، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به.

٣ - رواه أبوداود عن عائشة رضي الله عنها، وفي المشكاة ص ٢٧٣.

٤ - متفق عليه واللفظ للبخاري، وقد أخرجه الصديق (٣٦٧٠) باب الحراب والدرق يوم العيد.

٥ - رواه البخاري.

٦ - رواه الترمذي في كتاب المناقب، حديث رقم ٣٨٩٥، وعقب عليه بقوله: هذا حديث حسن صحيح.

(٧) تفسير ابن كثير.

بقلم: نعيم السلاموني

الخطورة الجسيمة لتدخين الأم

التدخين من أخطر أمراض العصر وهو بصورة عامة يؤثر على جميع أجهزة الجسم ومن الأخطار الجسيمة لتدخين الأم.

أولاً: بالنسبة للأم:

- السيدات المدخنات يتوقف عندهن الطمث ويصلن إلى ما يعرف بسن اليأس بمقدار سنة أو سنتين مبكراً بالنسبة لغير المدخنات ويؤدي ذلك إلى ضعف الوظيفة التناسلية مما يؤثر ذلك على حالها النفسية والعصبية.

- يؤدي التدخين إلى حدوث اضطراب في الهرمونات مما قد يباعد الدورة الشهرية، كما قد يرافق الدورة الأماً شديدة نتيجة التسمم من مواد التدخين.

- الإجهاض التلقائي يكون عند الحوامل المدخنات أكثر مقارنة بغيرهن من الحوامل غير المدخنات.

- هناك علاقة وثيقة بين آلام الظهر والتدخين حيث وصل معدل الإصابة بآلام الظهر بين المدخنات إلى ثلاثة أضعاف معدلاته الطبيعية بين غير المدخنات.

- التدخين يؤثر على لون الأسنان والأظافر وتقل الحركة والطاقة ويؤثر على أوردة الساقين.

ثانياً بالنسبة للطفل:

- الأم المدخنة معرضة أكثر من غيرها للولادة قبل موعدها ونزول الطفل ناقص الوزن بدرجة كبيرة وهو ما يسمى بالطفل «المخداج» الذي يحتاج إلى وضعه داخل حضانة، وقد يصاب بصفراء الدم.

- أكدت الأبحاث أن تدخين الأم يؤدي إلى إصابة طفلها بأمراض كثيرة، منها سرطان الكلى وإصابة الطفل بنوبات الحساسية في الصدر وقد يستلزم دخول الطفل المستشفى لتوسيع الشعب عن طريق الأوكسجين والعقاقير.

ويظل الطفل أكثر عرضة للأزمات الصدرية نتيجة تدخين الأم، كما يؤثر التدخين على نمو الطفل ويسبب له ضيقاً في الشرايين، ويكون عرضة للإصابة بأمراض القلب وكذلك سرطان الرئة.

- التدخين يؤثر سلباً على لبن الأم وفي كثير من الحالات يتم إرضاع الطفل باللبن الصناعي ويحرم من فوائد لبن الأم الطبيعي.

- يؤدي التدخين إلى إصابة الجنين بتشوهات وعيوب خلقية.

- دلت الدراسات الحديثة على أن الطفل لأم مدخنة يكون في المستقبل أقل قدرة على الاستيعاب والتحصيل في المدرسة.

- وجد أن حركة الجنين تقل بالتدخين كما أن تنفس الجنين يتأثر ويكون عرضة لتأثير الجهاز المناعي وهو مازال داخل الرحم وكذلك بعد الولادة.

إن الأم المدخنة قدوة سيئة لأطفالها فيشبون مدخنين إضافة إلى تعرضهم للأضرار في جو منزل معبأ بالدخان.

إن محاربة التدخين أمر يقره الإسلام، بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز».

إن الصحة لها مكانة كبيرة في نظر الإسلام، يقول صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ». إن التدخين فيه قتل للنفس وفيه تهلكة لها وفيه إسراف، ومن ثمّ فالتدخين حرام حسب رأي معظم الفقهاء ●

بقلم: أ.د. محيي الدين عبدالحليم

أزمة الأم الحاضنة بين علماء الوراثة وعلماء الدين



إنه في الوقت الذي حملت لنا البحوث العلمية والتجارب المعملية أساليب جديدة وطرقاً مستحدثة حققت للإنسان الرفاهية وأسهمت في حل كثير من مشاكله، إلا أن هذه البحوث قد أسفرت عن تداعيات أسهمت سلباً على الفرد والمجتمع، وتسببت في حدوث بلبلة واضطراب بين العلماء والفقهاء، وانعكست آثارها على الجمهور ولا سيما في مجال الهندسة الوراثية والعلوم البيولوجية، كان من أبرزها ظاهرة الأم الحاضنة التي تفشت في دول العالم الغربي حيث يقوم بعضهم باستئجار الأرحام عندما ينقطع الأمل في حدوث الحمل الطبيعي وذلك عندما تصاب الزوجة بمرض أو عيب خلقي يمنعها من الحمل والولادة، أو في حال استئصال أو ضمور رحم الزوجة، أو عندما لا تريد أن تتحمل أعباء الحمل والولادة والإرضاع فتبتعد عن كل ما يؤثر على رشاقتها وجمالها.

وهنا يتفق الزوجان مع امرأة أخرى تنوب عن الزوجة صاحبة البويضة في هذا الأمر، فتقوم بحمل اللقيحة في رحمها لحين تمام الولادة، ثم تسلم الوليد جاهزاً بعد ذلك للزوجين مقابل مبلغ من المال يتم دفعه لهذه المرأة التي حملت الجنين تسعة أشهر وأنجبته دون أن تتحمل الزوجة أي مكابدة أو متاعب، وقد أفسح هذا الاكتشاف المجال واسعاً للتجارة والابتزاز لأنه حوّل رحم المرأة إلى سلعة قابلة للبيع والشراء والاستئجار، وأثار قضية نسب الطفل وعلاقته بالأم الحاضنة، كما أثار الشكوك في تحديد أي المرأتين هي أم الوليد؟ هل هي صاحبة البويضة أو صاحبة الرحم؟، فكل واحدة منهما قد أسهمت في وجوده، فصاحبة البويضة تدّعي أن المولود هو ابنها، فهي الأصل في ذلك، لأنها المصدر الرئيس لصفاته الوراثية، في حين قد تحتج المرأة الحاضنة بأنها احتوت الجنين في رحمها وتغذى من دمها، وكابدت متاعب الأمومة للحفاظ عليه حتى خرج إلى الحياة.

وإذا كان جمهور العلماء يرون أن زرع جنين في رحم امرأة غريبة عن صاحب المني وصاحبة البويضة محرَّم شرعاً، وأن ذلك يعتبر زنى لأن الرجل وضع ماءه الملقح في رحم امرأة أخرى لا تربطه بها علاقة زوجية، بل هي محرَّمة عليه، لأن أسلوب الرحم المؤجر هنا سيصبح ذريعة إلى اختلاط الأنساب أو إثباتها على غير حقيقتها نتيجة للازدواج في التكوين والحمل، الأمر الذي يجعله مخالفاً للنظام والأخلاق، لأن الهيئة الشرعية للأمومة والأبوة لها مقومات أساسية يترتب على تخلف إحداها تشوه هذه الهيئة، وهو الأمر الذي يؤكد

جرمة أسلوب الرحم المستأجر إذا كانت صاحبته غير مرتبطة برابطة شرعية مع صاحب المني، وهو ما يخالف الآداب العامة في المجتمع التي تؤكد على أن الأبوة والأمومة تتطلب قيام حياة زوجية كاملة بين صاحب المني وصاحبة البويضة على أن تكون الأخيرة هي أيضاً صاحبة الرحم.

إلا أن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو، ما حكم الشرع إذا وقع هذا الأمر بالفعل؟ وما الضوابط اللازمة لدرء هذا الخطر أو الحد من الأضرار المترتبة على ذلك؟ وقد أثارت هذه القضية جدلاً حاداً واختلافاً كبيراً بين العلماء، ويعتمد كل جانب في اجتهاداته على أدلة شرعية وبراهين علمية، ففريق يرى أن صاحبة البويضة هي الأم الفعلية، وأن صاحب المني هوأبوه الحقيقي، وهذا هو الرأي السائد بين علماء الوراثة لأن الطفل الوليد من الأم الحاضنة في هذه الحال سيحمل الخصائص الوراثية من صاحبة البويضة وصاحب المني ولن يحمل أي صفات وراثية من الأم الحاضنة، وهم يرون أن هذه العملية لا تعتبر زنى، ولا يوجد هنا اختلاط للأنساب لأن السائل المنوي الذي يتم وضعه في رحم الأم الحاضنة يختلف عنه في حال الزنى حين يقوم الرجل بقذف مائه في رحم امرأة غريبة عن طريق الاتصال الجنسي، وهؤلاء العلماء لا يعترفون إلا بالعوامل الوراثية للجنين، ويرون أن الطفل الوليد هو الذي يأتي من أمشاج زوج وزوجة، ويحتكمون في ذلك إلى الطريقة التي يتم بها تكوين النطفة الأولى سواء القيت النطفة في رحم الزوجة نفسها أو في رحم امرأة غريبة، وهم هنا يتجاهلون أي أحكام شرعية في هذا الصدد، ولا يرون أي غضاضة في موضوع الأم الحاضنة، ويستند هذا الرأي إلى أصول علم الوراثة نظراً لأن النطفة الأولى قد تكونت أصلاً من أمشاج الزوج أو الزوجة الذي يشكل كل منهما نصف عدد الكروموزومات، وباتحادهما معاً تتكون البويضة الملقحة، وهي خلية بشرية كاملة بها كل العوامل الوراثية من الأم والأب، وليس للرحم المستأجر هنا أي صفات وراثية.

إلا أن فريقاً آخر من العلماء يرى أن الأم الحاضنة هي التي ولدت الطفل، وليس بالضرورة أن يكون أبوه هو صاحب المني، ويرى هذا الفريق أن الولد ابن لمن تلده، ولا سيما أن القرآن الكريم يؤكد في ست آيات أن الأم هي التي تحمل وتلد، منها على سبيل المثال، ما قاله الحق في سورة الزمر آية ٦: (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق)، وقوله عزَّ وجلَّ في سورة الأحقاف آية ١٥: (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً).

ومن ثمَّ فإن الأمومة لا تعتمد فقط على العوامل الوراثية لأن نمو الجنين في الرحم يهيئ للجنين المناخ المناسب لهذا النمو، ويكسبه صفات أخرى، أي أن الأمومة ليست مجرد بويضة، بل هي أوسع من ذلك وأشمل، وأن الجنين ليس نتاج الكروموزومات الوراثية فقط، فقد أثبت العلماء أن الإنسان يأتي نتاجاً لتفاعل العوامل الوراثية مع البيئة المحيطة بها، وبالتالي فإن نموه في رحم من حملته سواء كانت حاضنة أو غير حاضنة يؤثر عليه تأثيراً كبيراً لأن السلوك الوراثي يتأثر بالبيئة المحيطة به.

وقد ظهرت دراسات حديثة تؤكد أن طعام الإنسان يغير من

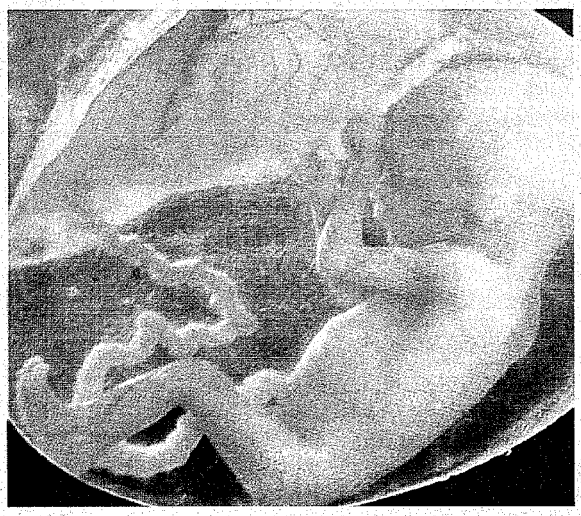

صفاته وطباعه وسلوكه، والدليل على ذلك أن المرء الذي يحمل صفات وراثية لمرض السكر لا يصاب بهذا المرض إذا عاش في بيئة مريحة له بدنياً ونفسياً، هذا خلاف الذي يحيا في بيئة مرهقة له فإن السكر يصيبه، وهذا يعني أن الطفل ينسب إلى الأم التي حملته وولدته تأكيداً لقوله تعالى في سورة النحل آية ٨٧: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم)، فالأم هنا هي التي تلد بنص الآيات الكريمة.

ويرى هذا الفريق أنه لا اجتهاد مع النص، وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يجمع أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم ينفخ فيه الروح»، فالجمع هنا يستمر أربعة أشهر، فإذا التحم حيوان منوي مع بويضة في طبق، فهذا لا يعني أن جمع الجنين كله قد تم، ومن ثمَّ فإن الطفل هنا ينسب إلى الوالدة الحاضنة، وبذلك يكون الولد ابن أمه التي ولدته، ولا يكون له أب، ويكون حكمه حكم اللقطاء، فالأبوة هنا غير موجودة، والمرأة صاحبة البويضة قد وضعتها في غير فراش زوجها، والحكم بغير ذلك يعني أن أي امرأة تستطيع أن تحصل على ما تشاء من أبناء من نساء أخريات قبلن دور الأم الحاضنة مقابل مبلغ من المال.

ويتمسك كل فريق برأيه ويصر عليه، ويحتدم الخلاف بينهما، وتبقى الكلمة الأخيرة لعلماء الشريعة في العالم الإسلامي الذين أجمعوا على أن هذه العملية محرمة بصورة قطعية، وأن الحكم الشرعي هو الفيصل وهوالحكم الذي ارتضاه الله لعباده، أما ما قاله علماء الوراثة من آراء فهو علم ناقص بجانب ما أقره الخالق جلَّ وعلا الذي خلق الإنسان كما خلق نواميس الكون، ويؤكدون أنه سيأتي اليوم الذي يغير فيه هؤلاء العلماء نظرتهم لهذه القضية شأنهم في ذلك شأن من سبقهم ممن أبى واستكبر، ثم جاءت النظريات العلمية لتؤكد سلامة وصحة كل ما حملته آيات القرآن الكريم سواء في حقل العلوم الطبيعية أو الاجتماعية، وتاريخ العلوم يحوي أمثلة لا تعد ولا تحصى انتهت إلى أن الرأي العلمي لا يكون صحيحاً إلا إذا وافق ما جاء به الحق عزَّ وجلَّ ●

المحاذير الشرعية لتأجير الأرحام

بقلم: د. أحمد عرفات القاضي
جامعة الإمارات - قسم الدراسات الإسلامية



من القضايا التي شغلت الرأي العام الإسلامي في الفترة الأخيرة، قضية فقهية علمية وتعد من الاستجدادات التي أحدثتها الثورات العلمية التي لا تتوقف عن مطالعتنا كل يوم بالجديد خصوصاً بعد التقدم العلمي في مجالي الهندسة الوراثية، والخريطة الجينية للإنسان، فمن خلال الهندسة الوراثية يحاول العلماء استنساخ الإنسان رغم التحذيرات الخلقية التي أشار إليها علماء الأديان إلا أن مجلس اللوردات البريطاني للأسف وافق على إجراء تجارب الاستنساخ في مجال البشر، وهو أمر بالغ الخطورة تتريح عليه مفاسد خلقية ودينية واجتماعية بالغة التعقيد.

والقضية الثائرة التي لم تنته تداعياتها بعد، بدأت حينما ذهبت سيدة فقدت رحمها تسأل الدكتور عن إمكان إنجاب طفل، فأجاب الدكتور أن ذلك ممكن، خصوصاً بعد التقدم العلمي في هذا المجال عن طريق تلقيح بويضة الزوج مع بويضة الزوجة خارج الرحم، ثم وضع العلقة الناتجة من هذا التلقيح في رحم امرأة أخرى بالأجر، فذهبت الزوجة - تسأل عن رأي الدين في قضية استئجار الرحم - إلى عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة الذي التقى بالطبيب للاستفسار عن طبيعة الجنين الناتج من هذا الحمل، وهل سيحمل صفات الأم صاحبة البويضة أم صاحبة الرحم، فقال الطبيب: إن الطفل سيحمل جميع خصائص الأبوين أصحاب البويضة وأن صاحبة الرحم مجرد وعاء أو أنبوب يُربى فيه الجنين، فأفتى العميد بجواز ذلك، وحُوِّل الأمر إلى مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف الذي أفتى بحرمة تأجير الرحم.

والأسس التي اعتمد عليها العميد في القول بجواز تأجير الرحم في هذه الحالة تقوم على تأكيد الطبيب أن الطفل سيحمل جميع صفات الأبوين، وبالتالي فهو ابنهما وليس في هذا خلط للأنساب، كما أنه ليس زنى لأن الرحم المؤجر عبارة عن وعاء ونتيجة لتحقيق مصلحة الزوجين، في هذه الحال أباح العميد تأجير الرحم، ولكن هذا الأمر وإن كان فيه تحقيق لمصلحة الأم التي لم تنجب نتيجة لفقدان الرحم، فإن فيه محاذير ومخاطر شرعية أخرى لم يلتفت إليها العميد، وهي مخاطر أكثر تعقيداً وصعوبة من مجرد تحقيق رغبة امرأة عقيم في الإنجاب، وهذه المخاطر يمكن توضيحها في النقاط التالية:

أولاً: أن مبدأ استئجار الرحم في حد ذاته فيه امتهان لكرامة المرأة كإنسان كرَّمه الله وصانه عن أن يكون عرضة للبيع والشراء، وكأنه سلعة وذلك لأن كل ما أمكن شراؤه فهو رخيص مهما غلا ثمنه، والله سوَّى بين جميع البشر في الحقوق الإنسانية، وعلى رأسها الحرية والمساواة، وفي إباحة الاستئجار التي قد تضطر إليه بعض النساء نتيجة لظروف اقتصادية واجتماعية معينة خرق لهذين المبدأين.

ثانياً: إن مبدأ الاستئجار فيه انتهاك لعرض المرأة وشرفها بغض النظر عن كون ذلك يعد زنى أم لا، والإسلام يدعو إلى الحفاظ على العرض، وصيانة شرف المرأة من الأمور الكلية التي أمرت بها الشريعة.

ثالثاً: إن الأمومة ليست فقط مجرد تلقيح نطفة بأخرى، ولكنها قبل ذلك حمل ورضاعة، وما أدراك ما الحمل ومعاناته، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (حملته أمه وهناً على وهن) لقمان:١٤، كما أن الرضاعة حق طبيعي وشرعي للطفل أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) الأحقاف:١٥، ومن أجل عناء ومشقة الحمل استحقت الأم التكريم والرعاية وهذا غير متحقق في حالة استئجار الرحم.

رابعاً: إن الأمر فيه اعتراض على المشيئة الإلهية التي أرادت أن تكون بعض النساء عقيماً أو عاقراً لا تلد كما في قوله تعالى: (يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) الشورى: ٤٩ - ٥٠، والأولى بمثل هذه المرأة العاقر أو التي فقدت رحمها أن ترضى بما قسمه الله لها وتثق أنه سبحانه سيجزيها عن ذلك في الآخرة.

خامساً: إن فتح الباب في هذا المجال ستترتب عليه محاذير شرعية تنبو عنها النفس الإنسانية السوية، فإن العلم الآن يساعد الإنسان الذكر على الحمل عن طريق حقنه بهرمونات أنثوية، كما في حال الرجل الإنكليزي الحامل في شهره السابع الآن، وفي هذا تغيير لطبيعة الخلق الذي أوجد الله عليها البشر، فمن الممكن أن يأتي رجل يلقح بويضته مع زوجته العاقر أو التي فقدت رحمها، ثم يضع العلقة في داخله بعد الحقن بالهرمون الأنثوي كما في حال الرجل الإنكليزي، وفي هذا خروج عن الحكمة في الإنجاب والخلق ذاته.

كل هذه المحاذير الشرعية وغيرها تدعونا لأن نتعامل بحذر مع معطيات الواقع وذلك مع ضرورة الالتزام بالأصول والقواعد الشرعية حتى لا ننساق وراء الأحداث، فنجد أنفسنا أمام مأزق لا مخرج منها فنضطر تحت ضغط الواقع إلى البحث عن مبررات شرعية، كما فعلت الكنيسة الغربية التي رضخت لمطالب الشواذ فوافقت على الزواج الإثني وهو زواج رجل برجل وامرأة بامرأة أخرى.

إن التقدم العلمي الذي يخرج عن القواعد الخلقية والذي ترفضه الطبيعة الإنسانية ويتناقض مع الشرائع السماوية لا ينبغي الانجراف خلفه بالتفريط بالأصول والقواعد الدينية المقررة، فعلى سبيل المثال، إن التجارب التي تجرى الآن على استنساخ الإنسان تتناقض كلية مع الأصول الاعتقادية والفقهية في الإسلام، وذلك من خلال خروجها على السنن الإلهية في الخلق الذي أراده الله للبشرية من خلال علاقة طبيعية بين الرجل والمرأة، هذا من ناحية، ولما يترتب على هذه التجربة في حال نجاحها من مفاسد خلقية وأمنية تهدد أمن ونظام المجتمع، ومن ذلك مثلاً، فإن الإنسان المستنسخ أو «الطبيق» أي المطابق لأصله، كما يطلق عليه سيحمل صفات الإنسان نفسها الذي أخذت منه الخلية لاستنساخ آخر، وبالتالي سيحمل صفاته وخصائصه الجسمانية، وعلى هذا من الممكن أن يرتكب هذا «الطبيق» الجرائم وتنسب إلى الشخص الأصلي لتطابق بصماتهما وخصائصهما، ومن هنا من الممكن أن تستغل المافيا والعصابات مثل هذا الأمر لنشر الفساد في الأرض، ولا ندري ما الذي يخفيه لنا المستقبل من تحديات وغرائب تدعو للحيرة والدهشة ●

إعداد : تمام أحمد

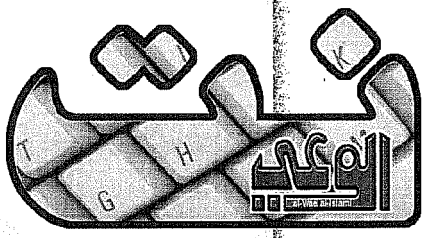

أمانة الأوقاف دشنت موقعها على الإنترنت

دشن وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد باقر يوم ٢٠٠١/٥/١٢م موقع الأمانة العامة للأوقاف على شبكة الإنترنت الذي سيعمل على إيصال صوت الوقف الكويتي وفكره إلى سائر أنحاء العالم.

وألقى نائب الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف داهي الفضلي في هذه المناسبة كلمة الأمانة العامة للأوقاف أكد فيها أهمية هذه الصفحة مبيناً أنها «تأتي كخطوة تطبيقية لأحد عناصر استراتيجية الأمانة الداعية لإحياء سنة الوقف».

وستكون صفحة الأمانة العامة للأوقاف على شبكة الإنترنت على العنوان التالي: (دبليو دبليو دبليو أوقاف أورغ)، وسيقدم معلومات متكاملة عن الكويت وتعريف الوقف وتاريخه في الكويت، وكذلك سيتيح إمكان التبرع والوقف لأي من الصناديق والمشاريع الوقفية والاطلاع على أحد إصدارات الأمانة وأخبارها والدخول لمسابقة الأمانة ●

منعاً للتقليد والتزوير

هل تعلم أن العلامة المائية التي توضع على العملات الورقية لكي تحميها من التزوير؟

يمكنك استخدام الطريقة نفسها عند كتابة خطاباتك على معالج الكلمات لكي تحمي خطاباتك من التقليد... كل ما عليك عمله هو التالي:

من أمر Insert اختر أمر «إضافة صورة» Insert Picture، ثم اختر مثلاً التعامل مع مكتبة الصور Clipartواختر الصورة التي تريدها.

- بعد ذلك ستظهر هذه الصورة داخل المستند.

- اضغط بالفأرة مرتين على هذه الصورة ستظهر لك شريط المهام الخاص بالصورة.

اضغط على خاصية Image Control وهي الثانية من اليسار واختر العلامة المائية Watermark.

- ستصبح بذلك الصورة التي اخترتها هي العلامة المائية للخطاب أو التقرير الذي تعده... وتكون بذلك قد منعت عن مستندك التقليد أو النسخ ●

مواقع مهمة في شبكة الإنترنت

● موقع السفينة للمبرمجين العرب ●

http:// www. safena.com/

يعد هذا الموقع مرجعاً للمبرمجين العرب، فيه يمكنهم تبادل الآراء والأفكار وطرح الأسئلة والإجابة على الاستفسارات التي قد تعترضهم في أثناء تطويرهم للبرامج العربية. الموقع في الوقت الحاضر يخضع لبعض الإضافات والتعديلات والتحسينات.

● دليل الإنترنت ●

http://www.maktoob. com/ guide/ arabic/

يعتبر هذا الموقع دليلاً متكاملاً لجميع الشركات العربية التي توفر الاتصال بالإنترنت ولجميع مقاهي الإنترنت في الوطن العربي. يمكنكم البحث عن عناوين وأرقام الهواتف لهذه الشركات حسب الدول العربية. دليل ينمو ويكبر باستمرار وهو مفيد لمن يريد الاتصال بالإنترنت في أثناء زيارته لدولة عربية ما.

● موقع السيرة الذاتية ●

http: // www. arab. net/ cv - online/

يساعد هذا الموقع الباحثين عن عمل في نشر سيرتهم الذاتية على شبكة الإنترنت لتقوم الشركات باختيار ما يناسب منها للعمل في أماكنها الشاغرة. لقد تم تقسيم الاختصاصات إلى أقسام عدة وذلك لتسهيل عملية النشر والبحث. وتشمل الاختصاصات الطب والهندسة وعلوم الكومبيوتر والفنادق والمطاعم والمحاسبة والفنون، وحظاً سعيداً للجميع.

إعداد : عبدالكريم خليل

إنشاء مجلس عام للبنوك الإسلامية في البحرين

من المتوقع أن يصدر قريباً مرسوم أميري بشأن إنشاء المجلس العام للبنوك الإسلامية الذي سيتخذ البحرين مقراً لأعماله.

وقال مصدر مصرفي: إن السعي لتأسيس هذا المجلس بدأ في يوليو ١٩٩٩م ومن المتوقع أن يضم المجلس عدداً كبيراً من البنوك والمؤسسات المالية والاستثمارية الإسلامية المسجلة في مختلف دول العالم والخاضعة لرقابة البنوك المركزية.

ويهدف المركز الذي عين المصرفي الإسلامي عبدالعزيز خوجة أميناً عاماً له، للتعريف بالمؤسسات الإسلامية ونشر المفاهيم والقواعد والأحكام المتعلقة بها والعمل على تنمية وتطوير الصناعة الإسلامية.

وكذلك يهدف المجلس إلى تعزيز التعاون بين أعضاء المجلس والمؤسسات المشابهة في المجالات التي تخدم الأهداف المشتركة بالوسائل المتاحة، والعمل على توافر المعلومات المتعلقة بالبنوك الإسلامية بإنشاء قاعدة بيانات تتيح الشفافية وتساعد الباحثين في دراساتهم لتعد على أسس علمية معتمدة، بالإضافة إلى العمل على رعاية مصالح الأعضاء ومواجهة الصعوبات والتحديات المشتركة وتعزيز التعاون بين الأعضاء، وبين الأعضاء والجهات الأخرى، خصوصاً الجهات الرقابية من أجل إصدار التشريعات التي تنظم الصناعة المصرفية الإسلامية ●

ندوة مشتركة حول التمويل الإسلامي للمشاريع في البحرين

في باكورة عمل مشترك نظم كل من مركز التحكيم التجاري لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والاتحاد الدولي للمحامين UIA ومقره باريس ندوة مشتركة حول «التمويل الإسلامي للمشاريع» وذلك خلال الفترة من ٤ ـ ٦ يونيو ٢٠٠١م في دولة البحرين.

جاءت هذه الندوة ضمن تزايد الاهتمام بقطاع المصارف وبيوت المال والاستثمار وتزايد الاهتمام بتمويل المشروعات بشكل عام والتطورات الحاصلة في أساليب وهيكلية التمويل في المشاريع والتوجه المتزايد نحو اعتماد التمويل الإسلامي بدلاً من التمويل التقليدي.

كما أن الاهتمام بالتحكيم والتوفيق والصلح والوسائل البديلة الأخرى لتسوية منازعات هذا القطاع أصبح يحتل حيزاً أوسع في اهتمامات الإدارات المعنية بهذا القطاع الحيوي.

إن اختيار موضوع التمويل الإسلامي للمشاركين يكمن في تنامي وتزايد مشاريع التمويل الإسلامي في المنطقة بشكل عام، وما يثير من جدل فقهي في جوانب معينة تحتاج إلى تسليط مزيد من الضوء عليها واستنباط الحلول المناسبة لها ●

تعاون بين البنك الإسلامي والأمم المتحدة لتأهيل مرافق فلسطينية

أعلن البنك الإسلامي للتنمية في بيان ٢٠٠١/٥/١٤م، أنه وقع مذكرة تفاهم مع إحدى وكالات الأمم المتحدة يقضي بإقامة تعاون بينهما لإعادة تأهيل مرافق تعليمية وصحية في الأراضي الفلسطينية، وذكر البنك الإسلامي: إن مذكرة التفاهم التي وقعها مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقضي «التعاون بينهما في تنفيذ أعمال تأهيل مرافق تعليمية وصحية بقيمة سبعة ملايين دولار، وأوضح البيان أن هذه الأشغال سيتم تمويلها من حساب صندوق الأقصى الذي قررت القمة العربية الطارئة التي عقدت في أكتوبر الماضي في القاهرة إنشاءه مع صندوق آخر لدعم الانتفاضة.

وأضاف رئيس البنك الإسلامي أحمد محمد علي: إن هذا المشروع يأتي «استجابة لاحتياجات الأهل في فلسطين وما يعانيه اقتصادها من ارتفاع نسبة البطالة التي تجاوزت الـ٨٠٪ في قطاع غزة و٦٠٪ في الضفة الغربية جراء الحصار والعدوان الإسرائيلي.

وأضاف أن «المشروع يوفر وبشكل سريع مصادر دخل لآلاف العمال الذين فقدوا أعمالهم ومصادر دخلهم بسبب الحصار أو الركود الاقتصادي»، وأوضح البيان أن المشروع يهدف أيضاً إلى «تقديم الخدمات للذين هم في أمسِّ الحاجة إليها في مجالات الصحة والتعليم والخدمات العامة»، ويشمل هذا المشروع إنشاء أو إعاة تأهيل عدد من مراكز الإسعاف والعيادات ومئات الغرف الدراسية «لزيادة الطاقة الاستيعابية للمدارس»، وإعادة تأهيل الطرق الداخلية وبعض مرافق البنية التحتية، حسبما أوضح البيان ●





بيت التمويل ينشئ صندوقاً للصكوك الإسلامية بالتعاون مع بنك «باريبا»

وقع بيت التمويل «بيتك» على مذكرة تفاهم مع بنك (BNP PARIBAS) لطرح صكوك إسلامية بقيمة بليوني دولار أميركي.

قام بتوقيع مذكرة التفاهم عن «بيتك» دخيل الجسار المدير العام لبيت التمويل الكويتي وعن بنك (BNP PARIBAS) الرئيس لمجموعة المؤسسات والاستثمارات «فرانسوا لابلس».

ويستثمر الصندوق في أصول مؤجرة ويطرح شهادات ذات سيولة عالية ما يوفر فرصة تقديم أرباح قصيرة الأجل علاوة على كون الشهادات تندرج تحت تصنيف شهادات المرتبة الأولى ذات الفئة (AAA) من قبل هيئات التصنيف الائتماني.

وفي تصريح صحافي عقب توقيع الاتفاقية أكد الجسار أن هذا الإنجاز يعد تطوراً مهماً في مسيرة «بيتك» وأنشطته الاستثمارية، وتأكيداً لمكانته وزيادته بين البنوك الإسلامية وتوجهاته نحو العالمية.

وأضاف: إن الصندوق سيسهم في جذب الفوائض المالية لدى الأفراد والمؤسسات والشركات وتوظيفها لطرح صكوك إسلامية، بما يعني تقديم البديل الإسلامي للسندات التقليدية.

وأكد أن بيتك بهذا الصندوق لا يتصدر البنوك الإسلامية فحسب، وإنما يقوم بدور بارز ومهم في صناعة سوق مالية إسلامية وتحقيق هذا الهدف الذي ظلت البنوك الإسلامية وعلماؤها حول العالم يطمحون إليه.

وأوضح الجسار أن بيتك بهذه الخطوة ومن خلال الصندوق ينتقل إلى الاستثمارات الضخمة ويمتد إلى أسواق عالمية جديدة وبالتعاون مع مؤسسات مالية دولية لها مكانتها وثقلها. وأكد أن هذا يؤشر إلى مكانة بيتك والثقة التي يتمتع بها في الأسواق العالمية من جانب وحرصه المتواصل على طرح منتجات استثمارية عالية الجودة والقيمة لخدمة عملائه من جانب آخر.

وأشار الجسار إلى أن «بيتك» سبق أن طرح من قبل صندوق أعمار الاستثماري والذي يتشابه في آلية عمله واعتماده على تقديم تدفقات نقدية قصيرة الأجل مع الصندوق الجديد الذي يقدمه اليوم بالتعاون مع بنك (BNP PARIBAS).

ونوه بأن فكرة إعمار حققت السبق «لبيتك» بين البنوك الإسلامية، ولفتت الاهتمام عالمياً لإمكان أسلمة عقود إجارة تتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وتحقق احتياجات العملاء في الحصول على استثمارات سائلة وهو نشاط يعزز أداء المؤسسات المالية الإسلامية وتوجه جديد ينتظره مستقبل واعد خلال الفترة المقبلة.

وحول دور «بيتك» قال الجسار: إنه سيكون المستشار الشرعي طوال فترة الصندوق فيما يتعلق بتطوير وتأسيس الصندوق، كما سيقوم «بيتك» بدور مدير التسويق للصندوق ●

افتتاح أول بنك إسلامي في البوسنة

افتتح أخيراً بنك إسلامي في البوسنة والهرسك برأسمال أساسي مدفوع بقيمة ٢٢ مليون دولار أسهم فيه كل من البنك الإسلامي للتنمية ومصرف «أبوظبي الإسلامي» وبنك «دبي الإسلامي».

وقال رئيس البنك الإسلامي للتنمية الدكتور أحمد محمد علي في حفل الافتتاح إن البنك الإسلامي البوسني، الذي سيحمل اسم «بنك البوسنة الدولي». يعمل حسب الشريعة الإسلامية والتقاليد الإسلامية بشكل عام، وأكد وجود نية لإجراء المزيد من الاتصالات مع عدد من الجهات المصرفية في الدول الإسلامية لتشجيعها على الإسهام في هذا البنك الذي توقع أن يصل رأسماله إلى ٦٦ مليون دولار، ودافع رئيس البنك الإسلامي للتنمية عن أسلوب عمل المصارف الإسلامية غير الربوية، موضحاً أن عمل البنك البوسني سيكون خاضعاً لأسلوب العمل المصرفي «غير الربوي».

وناشد المؤسسات المالية في الدول الإسلامية وغير الإسلامية الإسهام في نشاط البنك الذي يعتبر الأول من نوعه في البوسنة والهرسك، وكان البنك الإسلامي البوسني قد تم تسجيله في أكتوبر الماضي، إلا أن افتتاحه تأجل أكثر من مرة لأسباب فنية وسياسية مختلفة تعلقت بالظروف الراهنة في البوسنة ومنطقة البلقان عامة ●

الأميركيون مصابون بالجهل العلمي

أفاد استطلاع للرأي نشرت نتائجه أن نصف الأميركيين تقريباً لايعرفون أبسط المبادئ العلمية، مثل دوران الأرض حول الشمس مرة في السنة. فقد أوضح هذا الاستطلاع الذي أجراه معهد «هاريس انتراكتيف» لحساب أكاديمية العلوم في كاليفورنيا أن عامة الأميركيين لا يملكون الحد الأدنى من المعرفة في مجال العلوم رغم ازدياد تأثير التقدم العلمي على حياتهم اليومية.

فقد عجز نصف الأميركيين عن الإجابة على ثلاثة أسئلة حول أبسط الحقائق العلمية.

وهكذا فإن أكثر من نصف الأميركيين (٥٣٪) لايعرفون أن الأرض تدور حول الشمس خلال العام، في حين لا يعرف (٤٨٪) منهم نسبة مساحة الأرض التي تغطيها المياه.

وعجز أكثر من (٤٢٪) من الأميركيين عن تقديم إجابة صحيحة عما إذا كان هناك بشر على الأرض في عصر الديناصورات.

وعجز (١٩٪) من الذين شملهم الاستطلاع عن الإجابة على الأسئلة الثلاثة التي لم يتمكن من الإجابة عليها كلها سوى ٣٥٪ من الطلبة الحاصلين على شهادات عليا ●

خُمس العالم مهدد بالملاريا

أعلنت الأمم المتحدة أن خمس سكان العالم يعيش تحت خطر مرض الملاريا، وأن أكثر من مليون شخص يموتون سنوياً جراء إصابتهم بهذا المرض، وأن معظم الوفيات هي من فئات الأطفال دون سن الخامسة، معربة عن أسفها لعدم توصل المجتمع الدولي بعد، وحتى الآن إلى اللقاح الواقي من هذا المرض.

وفي تقرير الأمم المتحدة أخيراً، أشار إلى أن هذا المرض ينتشر في البلدان الفقيرة وبخاصة في الدول العربية أي في كل من العراق والسودان والصومال، وذلك في وقت تعاني منه هذه الدول من شحة الموارد اللازمة لتأمين مقومات ظروف الوقاية من هذا المرض والمواد الطبية ومبيدات الرش المعالجة له. وأشار التقرير إلى أن الأمم المتحدة تعمل جاهدة بالتعاون مع الحكومات خلال الآونة الأخيرة لمساعدتها بالتغلب على مسألة انتشار هذا المرض والوقاية منه، موضحاً أن المنظمة الدولية وبالتعاون مع كل من منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «اليونوسيف»، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، والبنك الدولي، ومنظمة الصحة العالمية تعمل على تنفيذ برنامج تضامني شامل ومنسق لمكافحة الملاريا وبخاصة في الدول الفقيرة بالاشتراك مع قطاعاتها الصحيحة والزراعية المعنية بالري، ويشمل هذا البرنامج تقديم المساعدات للدول في مجالات التدريب وتبادل الخبرات المعنية بالمكافحة والعلاج، وأيضاً مساعدتها على توافر مواد العلاج والرش الكافية، وإقامة برامج توعية لجماهيرها بهدف التعريف بخطورة هذا المرض وسبل الوقاية منه

٤٣٨ مفاعلاً نووياً تعمل في دول العالم

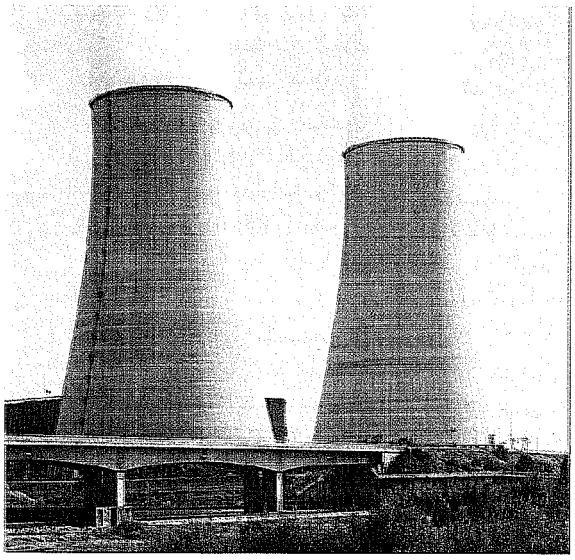

أعلنت الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن العالم يعد حالياً ٤٣٨ مفاعلاً نووياً نشطاً، تتوافر فيها ١٦٪ من حاجات العالم الكهربائية ويترك ٨٣٪ من هذه المفاعلات في الدول الصناعية.

وترأس فرنسا لائحة الدول العشر الأكثر اعتماداً على الطاقة الذرية (٧٦,٣٪ من إجمال إنتاجها الكهربائي)، تليها ليتوانيا (٧٣,٧٪)، ثم بلجيكا (٥٦,٨٪) وسلوفاكيا (٥٣,٤٪) وأوكرانيا (٤٧,٣٪) فبلغاريا (٤٥٪) والمجر (٤٢,٢٪) وكوريا الجنوبية (٤٠,٧٪) والسويد (٣٩٪) وسويسرا (٣٨,٢٪). وتضم أوروبا الغربية (١٥٠) مفاعلاً نووياً.

وحسب الوكالة فإن المفاعلات في أميركا الشمالية وعددها ١١٨ تغطي ٢٠٪ من حاجات الولايات المتحدة الكهربائية و(١٢٪) من حاجات كندا. وتقول الوكالة: إن دول الشرق الأوسط وآسيا، التي تضم (٩٤) مفاعلاً، تعمل بنشاط لزيادة الاعتماد على الطاقة النووية، «خصوصاً الصين والهند وكوريا الجنوبية واليابان» ●

رابطة العالم الإسلامي تدعو إلى تعميم أسماء مجرمي الحرب الإسرائيليين

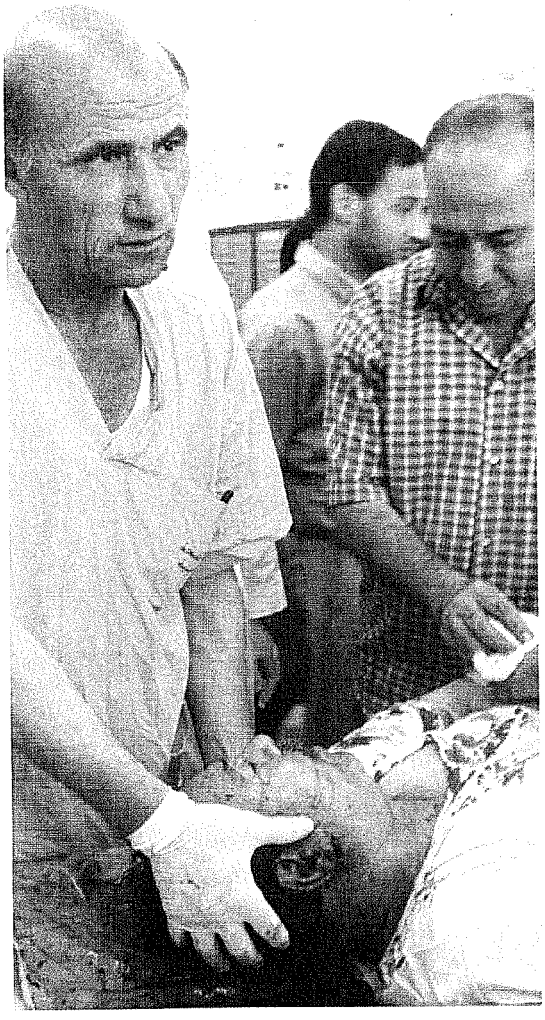

دعا الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي اتحاد المحامين العرب إلى «تعميم أسماء مجرمي الحرب الإسرائيليين على المنظمة الدولية المعنية بحقوق الإنسان والمنظمات الحقوقية الرسمية والشعبية في العالم من أجل فضح المجازر التي يرتكبها الإرهابيون الصهاينة بحق أبناء الشعب الفلسطيني الذي يواجه آلة الحرب الإسرائيلية وهو أعزل إلا من الحجر»، وذلك تمهيداً لتقديمهم إلى المحاكم المختصة بجرائم الحرب. جاء ذلك في برقية بعث بها الدكتور التركي إلى رئيس اتحاد المحامين العرب السيد سامح عاشور، وقال التركي: إن رابطة العالم الإسلامي مستعدة للتعاون مع اتحاد المحامين العرب في إنجاز هذه المهمة ●

١٦٠٩٥٦٦ لاجئاً فلسطينياً في الأردن

أفادت دراسة أعدتها دائرة الشؤون الفلسطينية أن عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين يقيمون في المملكة حتى نهاية العام الماضي بلغ ١,٦٠٩,٥٦٦ لاجئاً يتوزع ٢٦٣,٩٢٦ منهم على عشرة مخيمات تعترف بها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين.

وتشير الدراسة إلى أن ثلاثة مخيمات أقيمت في الأردن منذ عشرات السنين ولا تعترف بها «أونروا» إلا أن دائرة الشؤون الفلسطينية في الأردن تعترف بها ●

الإسلام يدعو للتعددية

عقد الاجتماع السنوي الثالث عشر للجمعيات والمنظمات الإسلامية في فرنسا في باريس وشارك فيه ستة آلاف شخص من مسلمي فرنسا والبلدان المجاورة. ويشترك في عضوية الاتحاد ٢٥٠ جمعية إسلامية عقدت خلاله ندوات وجرت مناقشات وألقيت محاضرات حول شؤون المسلمين في فرنسا ومشاكلهم وآمالهم. ودعا المتحدثون إلى التعايش واحترام الآخرين والتسامح الديني مع الآخرين. وألقى الشيخ محفوظ نحناح رئيس حركة مجتمع السلم في الجزائر كلمة قال فيها: إن المسلمين يجب أن يكونوا شمعة مضيئة وليس اصبع ديناميت.

وأضاف: أن التطرف والفكر الواحد من شأنهما زعزعة مكانة الدين الإسلامي في العالم، وأن الإسلام يدعو إلى قبول التعددية.

ولم يتوصل المسلمون في فرنسا إلى اختيار جهة تمثلهم جميعاً في التعامل مع الحكومة الفرنسية ●

انتحار ٣٠ ألف أميركي سنوياً

أعلن مدير الصحة العامة في الولايات المتحدة «ديفيد ساتشر» أن الانتحار يودي بحياة نحو ثلاثين ألف أميركي سنوياً في مقابل نحو عشرين ألفاً ينهبون ضحية أعمال قتل، وأوضح، في بيان أن الانتحار يُعد السبب الثامن للوفيات في الولايات المتحدة وأن نحو ٣٥٠ ألف شخص يحاولون الانتحار سنوياً.

وجاء البيان لمناسبة اطلاق الأسبوع الوطني لمنع الانتحار في الولايات المتحدة بين ٦ - ١٢ مايو الماضي. وأفاد أن الانتحار يخطف أرواحاً كثيرة، ويتسبب سنوياً بإعاقات وعذابات تطال مئات آلاف الأميركيين ●

منظمة «المؤتمر الإسلامي» تنشئ صندوقاً لتمويل عودة لاجئي البوسنة



افتتح وزير الخارجية القطري الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني في الدوحة المؤتمر الأول للدول المانحة الصندوق. أقرت منظمة المؤتمر الإسلامي في قمتها الماضية إنشاءه لدعم تمويل عودة لاجئي ونازحي البوسنة إلى بيوتهم.

وفي افتتاح المؤتمر الأول للجهات المانحة لـ«صندوق الدعم الخاص بالعودة العاجلة للاجئي ونازحي البوسنة والهرسك»، أعلن الشيخ حمد «الميلاد الحقيقي والفعلي» للصندوق وتبرعت قطر بعشرة ملايين ريال قطري (نحو ٢,٧ مليون دولار).

ودعا الوزير القطري الدول الأعضاء في المنظمة التي تتولى قطر رئاستها منذ نوفمبر الماضي ولمدة ثلاث سنوات إلى «الالتزام بالتضامن الإسلامي الذي يشكل واحداً من أهم المبادئ الأساسية لميثاق المنظمة» ●

الاستثمار في التعليم

دعا الدكتور محمد عبده يماني الدول الإسلامية إلى زيادة الاهتمام والاستثمار في التعليم. واعتبر اليماني في محاضرة عن التعليم ومستقبل التنمية ألقاها في الجامعة الأميركية في بيروت أن الاستثمار في التعليم هو أفضل أنواع الاستثمار لأنه استثمار في صناعة الثروة البشرية، إذ إن رأسمال الأمة شبابها المتعلم لذا فعلاقة التعليم بالتنمية علاقة قوية.

وشدد على أن مشاكل الأمة العربية والإسلامية جاءت عندما أهملت قضية التربية والتعليم وتساهلت في قضية الأخلاق في التربية فكانت الفجوة لتدهور الأمة.

وعن اهتمام الإسلام بالتربية والتعليم أشار إلى أن الله سبحانه وتعالى أراد لهذه الأمة أن تكون بداياتها تعليمية فجاءت الكلمة الأولى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق). وكلمة اقرأ تلفت النظر إلى أن قضية هذه الأمة قضية تعليمية، لذلك بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته بالتعليم، فعلمه الله وقام هو بتعليم أصحابه وطلب عند أول انتصار للمسلمين في بدر أن يكون ثمن إطلاق الأسرى هو تعليم المسلمين القراءة والكتابة.

وأكد أهمية التغيير الجذري الكامل في التعليم وإعادته للارتباط بالمهنة واعتبار العمل كالشرف والأمانة والمروءة ●

تزايد تعداد المسلمين في كندا

يتزايد تعداد المسلمين في كندا بصورة سريعة ويتوقع أن يزيد تعدادهم على تعداد اليهود قريباً وبذلك يصبح الإسلام الديانة الثانية في البلاد من حيث تعداد السكان بعد المسيحيين.

ويُقدر تعداد المسلمين حالياً بـ(٦٥٠) ألفاً، وكان تعدادهم ٢٩٢ ألفاً قبل عشر سنوات.

ويقول داود حسن حمداني الخبير الاقتصادي المسلم الذي أعد دراسات عن نمو تعداد المسلمين في كندا: في كندا الآن ١٦ مدرسة إسلامية، وقد زاد تعدادهم على اليهود في ١٠ من المدن الكبرى في كندا.

وأضاف حمداني، أن تأثير المسلمين على الحياة في كندا أصبح ملحوظاً وقد بدأ وجود المسلمين في كندا منذ القرن الماضي وتزايد العدد بعد عام ١٩٦٠م، عندما رفعت الحكومة الكندية نظام الحصص عن المهاجرين من آسيا وأفريقيا، وأصبح طعام المسلمين الوطني موجوداً في الأسواق التجارية.

كما أن الشركات الكندية تأخذ في الاعتبار الأعياد الإسلامية والمتحدثون يستشهدون بآيات من القرآن الكريم في الاجتماعات العامة أحياناً، ورئيس الوزراء والوزراء الكنديون يحضرون المناسبات الإسلامية.

وقد حقق المسلمون إنجازات طيبة في مجال التعليم والزراعة والطباعة والتقنية ●

إعداد : عبدالمنعم أحمد



أسقف سابق يهز عرش النصرانية

عيسى ليس ابن الله والكنيسة تغرق في النفاق

كشف أسقف أدنبرة السابق «رف ريتشال هولووي» عن «خيبة أمله في العقيدة المسيحية».

وقال الأسقف - في مقابلة مع مجلة «لسبيان اندجي كريسشن» - أنه لم يعد يؤمن بأن عيسى هو ابن الله «من ناحية النص أو من الناحية البيولوجية»، وزاد: أعتقد أن الكنيسة تغرق في النفاق.

إن «رف ريتشارد هولووي» الذي تقاعد حيث كان زعيم الكنيسة الأسقفية الاسكتلندية في أكتوبر الماضي قال: إنه آمن بأن عيسى كان ببساطة «رجلاً غير عادي» والأسقف الذي يبلغ ٦٧ عاماً عضو في حركة «لسبيان اندجي كريسشن»، واشترك في حملة الشذوذ الجنسي في حفلات زفاف بالكنيسة وفي تنصيب الكاهن لممارسة الشذوذ الجنسي.

لقد اختار التقاعد باكراً كأول واحد في «استكتلندا» بعد الاصطدام مع رئيس أساقفة «كانتربري» ومع أساقفة محافظين آخرين حول تعليم الشذوذ الجنسي.

لقد أصبح الأسقف «هولووي» عضواً في حركة «لسبيان اندجي كريسشن» مدة خمس سنوات، لكنه ليس شاذاً جنسياً، وعلى الرغم من طروحاته، فإنه لم يندد بتعاليم الكنيسة.

والآن وبعد أن أصبح حراً من أسقفيته، أجرى الأسقف «هولووي» مقابلة صريحة مع «ناثان فوستر» محرر المجلة.

لقد مارس عملاً أحدث زلازلاً في التفكير فرأى الإنجيل والكنيسة بطريقة مختلفة.

إن الادعاءات المسيحية كانت «تعبيراً مجازياً من أجل عيش حياة إنسانية جيدة»، ولهذا اختار أن يتبع «عيسى لم يكن ابناً لله» وهذا يعتبر وسيلة بسيطة لتعميق وفهم هذا الرجل غير العادي.

وإذا استطاع الناس أن يفهموا الحقيقة بأن طبيعة الدين هو هذا النظام الشعري والرمزي والأسطوري فهو يعبر عن الحقيقة العميقة، ولذا عليهم أن يستوضحوا الحقيقة. وأضاف قائلاً: «لكن علينا أن نطالب بأنه يجب أن نقنع بمثل هذه المعتقدات حول الأحداث التاريخية التي هي في غير موضعها الحقيقي».

وقال: لقد أصبح رئيس الكنيسة الكاثولوكية والإنكليزية التقليدية رجال الكنيسة الراديكالية يكرهونه، لكن منذ زيارة حديثة قام بها إلى «وستمنستر ابي» للنصب التذكاري للورد «رونسي»، أظهرت له كيف أنه انتقل إلى مكان آخر في عالم الحياة.

لقد أحب «جلال مسرح المسيحية الإنكليزية، لكنه اعتقد أنه بعيد عن التلاؤم معها» ●

ديلي تلغراف

إعداد : محمد هاني

دراسة في جامعة الأزهر تؤكد دور الفكر الإسلامي في النهضة الأوروبية

حول دور الحضارة الإسلامية في قيام النهضة الأوروبية ودور المسلمين فيها، أكدت الدكتورة فتحية النبراوي رئيسة قسم التاريخ والحضارة الإسلامية في كلية الدراسات الإنسانية «بنات» بالقاهرة جامعة الأزهر الشريف: أن عالمية الحضارة الإسلامية تأتي من عالمية الإسلام، فقد قامت هذه الحضارة في كنف الإسلام الذي أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم دعائمه في المدينة المنورة، وفيها أرسيت أسس هذه الحضارة، ومع انطلاق الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية رافقت هذه الحضارة الفاتحين إلى الشرق والغرب، فقدمت للعالم قيم الدين الإسلامي الحنيف. جاء ذلك في الدراسة التي أعدتها أخيراً حول عالمية الحضارة الإسلامية ودورها في قيام النهضة للمؤتمر الذي عقد بجامعة الأزهر حول الدراسات الإنسانية والارتقاء الحضاري في عصر العولمة.

وأشارت إلى أن عالمية الحضارة الإسلامية جاءت من خلال انفتاحها على العالم واستيعابها لحضارات الشعوب الأخرى، فلم يفرق الإسلام بين عربي وأعجمي، فالجميع خلقهم الله للتعارف والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

وأوضحت الدراسة: أن المسلمين كان لهم دور كبير في إثراء الحضارة البشرية، فلم ينغلقوا على أنفسهم، ولم يتعالوا على شعوب البلاد الأخرى، بل اندمجوا معهم في الحفاظ على السمات الأساسية للحضارة الإسلامية، فأضافوا إليها وأسهموا في إعلاء شأنها، ما يؤكد عالمية هذه الحضارة التي استطاعت أن تؤثر في العالم القديم وتغير الكثير من سماته وملامحه.

وذكرت: إنه ما يؤكد عالمية الحضارة الإسلامية إسهام الشعوب التي دخلت في الإسلام في إثراء هذه الحضارة بشكل ملموس، فاشتركوا في إثرائها إلى جانب العرب وهم الفرس والأتراك والأكراد والتركمان والبربر وغيرهم.

وقالت: إن المسلمين أثروا تأثيراً كبيراً في قيام النهضة الأوروبية، وبخاصة أن هناك نظرية تؤكد أن عوامل التغيير هبت على أوروبا من الجنوب، فقد عاشت الحضارة الإسلامية هناك ثمانية قرون ازدهر خلالها العلم والفن والأدب والفلسفة على أيدي العلماء والمفكرين والفلاسفة المسلمين، فقد كان هذا التحول العظيم الذي شهدته أوروبا نتيجة حتمية لدور العلماء المسلمين الذين اشتهروا في حفظ التراث القديم ونقله إلى أوروبا بالإضافة إلى دورهم المستقل في تقديم أعمالهم العلمية المتميزة التي نهلت منها أوروبا.

وحول دور الفكر الإسلامي في النهضة الأوروبية الشاملة أكدت أنه كان للفكر الإسلامي دور بارز في هذا الإطار في تغيير الأوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في أوروبا، فقد تطلعت أوروبا كلها إلى عصر جديد تتحرر فيه من أنظمة عتيقة بالية كبلت حرية شعوبها قروناً عديدة، وسعت جاهدة إلى إقامة نظم جديدة تتيح للفرد حرية الفكر، وهي اسمى قيمة أتاحها الإسلام والمسلمين. وأشارت إلى أن عالمية الحضارة الإسلامية وتأثيرها في النهضة الأوروبية تأتي من تبني أوروبا للمناهج العلمية التي قدمها المسلمون المشارقة والمغاربة للعالم، فالمنهج التجريبي في الطب والفيزياء والكيمياء والرياضيات والفلك للعلماء المسلمين كان سبباً مباشراً في تلك النقلة الفكرية والعلمية التي عرفتها أوروبا مما أثر أيضاً في قيام النهضة الأوروبية الحديثة بشهادة المنصفين من أهل الغرب ●

التطرف الفكري بشقيه ووسطية الإسلام



المؤلف: إبراهيم حماد

دار النشر: دار الفكر العربي

يعرض المؤلف لبعض أسباب التشدد والتعصب الديني موضحاً أن الإسلام بعيد كل البعد عن كل صور التطرف وأن هذا التشدد إنما يرجع إلى أسباب شخصية أو إلى فهم خاطئ لأحكام الدين الإسلامي، كما تعرض لبعض المشاكل المعاصرة التي هي في غاية الحساسية والتي يتم استغلالها من جانب بعض الفئات لإثارة مشاعر المسلمين ●

الدولة العثمانية



المؤلف: د.علي محمد الصلابي

دار النشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية

يسلط المؤلف الأضواء على المجهود العظيم الذي قام به العثمانيون نصرة لدين الله واهتم بإبراز عوامل النهوض التي أسهمت في بناء الدولة العثمانية وحضارتها الإسلامية سواء كانت تلك العوامل متمثلة في صفات القادة أو الأمة أو المنهج الذي سارت عليه الدولة. ويدافع عن التاريخ العثماني الإسلامي الذي تعرض للتزوير والتشكيك ●

الغارة على القرآن الكريم

المؤلف: د.عبدالراضي عبدالمحسن

دار النشر: دار قباء للطباعة والنشر

يشن التنصير بمؤسساته المختلفة غارة شعواء على القرآن الكريم وهذه الدراسة تُمثل حائط صد لهذه الغارة بما خلقته من آثار وذلك كشفاً عن طبيعتها ودوافعها ومنطلقاتها ومراحل نشأتها وتطورها والمسالك التي سلكها المنصرون في جدالياتهم ضد أصالة القرآن والشبهات والمزاعم التي روجتها دوائر التنصير ●

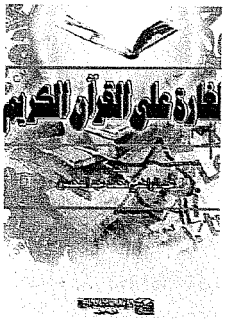

موضوعها: إشكالية التعليم في العالم الإسلامي

تمديد موعد جائزة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية

نظراً لأهمية ودقة موضوع: «إشكالية التعليم في العالم الإسلامي»، والذي طرحناه موضوعاً لجائزة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية لسنتها الرابعة ٢٠٠١م، سواء من حيث الدور الكبير الذي ظل يشكله التعليم عبر مسيرة تقدم الأمم والشعوب، أو من حيث حاجة عالمنا الإسلامي الماسّة إلى سبر غوره، باعتباره الأساس الذي تبنى عليه وتنطلق منه مختلف القضايا المصيرية، ورغبة في إتاحة المجال لإسهام أكبر عدد من الاختصاصيين والمهتمين، ليدلوا بدلوهم، ويسهموا برؤى جديدة، تساعد على تخطي العقبات، وتحديد مواطن الخلل في نظامنا التعليمي والحصول على إسهامات ناضجة، تفتح آفاقاً جديدة للتعامل مع تحديات عصر العولمة، وبناء على موافقة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، فقد تقرر تمديد فترة استلام موضوع: «إشكالية التعليم في العالم الإسلامي» حتى نهاية شهر مايو ٢٠٠٢م والذي يعتبر آخر موعد لاستلام مشاركات الباحثين، على أن يظل موضوع: «الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة» في موقعه، حيث آخر موعد لاستلام المشاركات شهر سبتمبر ٢٠٠٢م.

علماً بأن جائزة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية، تصدر عن مركز البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، وتمنح قيمة الجائزة البالغة، خمسة وسبعون ألف ريال قطري، للبحوث التي كتبت خصيصاً للجائزة.

شروط الجائزة:

١ ـ يشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدت خصيصاً للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية، وأن تتوافر في هذه البحوث خصائص البحث العلمي، من حيث المنهج والإحاطة والتوثيق، وسلامة الأسلوب والجدة والابتكار.

٢ ـ يُقدم البحث من ثلاث نسخ، مكتوباً على الآلة الكاتبة، ويفضل أن يكون مكتوباً على الحاسوب، على ألا يقل عدد صفحاته على مئتين وخمسين صفحة، ولا يزيد على ثلاثمئة صفحة (A4 × ٢٢ سطراً × ١٢ كلمة).

٣ ـ يقدم الباحث ملخصاً لبحثه في حدود خمس صفحات باللغة العربية، والإنكليزية إن أمكن.

٤ ـ يحق للجنة التحكيم التوصية بمنح الجائزة مشتركة بين اثنين أو أكثر من الباحثين، كما يجوز اشتراك باحثين أو أكثر في كتابة بحوث الجائزة.

٥ ـ يحق للجهة المشرفة سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقاً، أو قُدِّم إلى جهة أخرى، أو لغرض آخر، أو مستلاً من رسالة علمية، كما يحق لها حجب الجائزة في حال عدم ارتقاء البحوث المقدمة للمستوى المطلوب.

٧ ـ يرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه وثبتاً لإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، إضافة إلى صورة جواز سفر صاحب البحث وصورة شخصية حديثة له.

٨ ـ تعرض البحوث على لجنة محكمين، يتم اختيارهم في ضوء موضوع الجائزة.

لمعرفة محاور الموضوعات ولمزيد من الاستفسار يمكنكم الرجوع إلى:

موقعنا على الإنترنت:

www.islamweb. net / library

البريد الإلكتروني:

M_Dirasat@ Islam. gov.qa

العنوان البريدي:

ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان التالي:

ص.ب: ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

هاتف:

٤٣٢٤٥٨٤ ـ ٤٣٢٤٥٨٦ ـ ٤٤٤٧٣٠٠

فاكس:

٠٠٩٧٤ ـ ٤٤٤٧٠٢٢

أخبار ثقافية

- من المتوقع أن تفتتح مكتبة الإسكندرية الكبرى التي بدأ العمل في بنائها سنة ١٩٨٩م في ٢٣ أبريل ٢٠٠٢م وذلك لمناسبة اليوم العالمي للكتاب، وقد أقيمت المكتبة الجديدة في مكان مكتبة الإسكندرية القديمة، التي احترقت منذ ١٦٠٠ سنة، والتي كانت بمثابة أول معهد للأبحاث في العالم بمتحفها وأكاديميتها وستضم المكتبة بدءاً ٤٠٠ ألف كتاب على أن تستوعب لاحقاً عشرة ملايين عمل.
- تبدأ في أكتوبر المقبل أعمال إنشاء الجامعة الفرنسية بالقاهرة والتي تستمر عاماً كاملاً تفتتح بعدها أبوابها للدراسة في العام التالي.
- رشح المجلس الأعلى للثقافة في مصر الدكتور مصطفى عبدالنبي الكاتب في جريدة الأهرام لجائزة الملك فيصل العالمية في فرع الأدب نظراً لجهوده المتواصلة في مجال نقد الرواية.
- أعلن العميد المساعد للشؤون الأكاديمية والدراسات العليا الدكتور عبدالرزاق الشايجي أن كلية الشريعة في جامعة الكويت تقدم طرح برنامجين للدكتوراه الأول في الحديث الشريف وعلومه والثاني في الفقه المقارن وأصول الفقه إضافة إلى برنامج القصيدة والمذاهب المعاصرة لمرحلة الماجستير.
- قدم سفير الكويت لدى إسبانيا هدية رمزية باسم الكويت إلى المكتبة الأندلسية الجديدة في مدينة قرطبة في إقليم الأندلس جنوب إسبانيا والهدية عبارة عن سجادة تحمل نقوشاً عربية.
- مشكلات الدعوة الإسلامية في أوروبا جرى استعراضها في دارسة للباحث توفيق السديري وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف السعودي حيث بيَّن أن أهم المشكلات تتمثل في تعدد المناهج الدعوية هي عدم وجود مرجعية إسلامية يلجأ إليها الدعاة وأبناء الأقليات كما أظهرت الدراسة وجود انحراف عقدي داخل تجمعات الأقليات المسلمة ونزوح الدعوة الحزبية إليهم ●

التكامل والقدسية في التعليم

صدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي في لندن كتاب جديد باللغة الإنكليزية عنوانه: «التكامل والقدسية في التعليم منظور إسلامي» للدكتورة زهراء عيسى الزيرة. وتناقش الكاتبة البحرينية في كتابها «الابستمولوجيا الإسلامية» كأساس متكامل للتعلم وإنتاج المعرفة والارتقاء بالنفس البشرية. لذا يطرح الكتاب أهمية تلاقي النموذج الإسلامي Islamic Paradigm بمناهج البحث النوعي لإعادة تكوين المعرفة وإنتاجها من جهة وبناء شخصية متكاملة فكرياً وروحياً وجسدياً من جهة أخرى، فالباحث أو المفكر أو المعلم غير متكامل الشخصية لا يستطيع إلا إنتاج علم غير متكامل وتربية شخصية غير متكاملة.

يأخذ الكتاب منحى جديداً إذ ينطلق من الخبرة الشخصية للكاتبة كأساس لفهم وتفسير المفاهيم العلمية والتربوية. إن أهمية تحليل الخبرات الشخصية كمنهجية بحثية ما هي إلا إحدى مناهج البحث التي تساعد الباحث على أن يغوص بداخله ليكتشف ذاته المقدسة ويتلمس الفطرة السامية التي خلقه الله عليها، كذلك تعرض الكاتبة مفهوم الروحانية من وجهة نظر أنثوية على أنها «السر الخفي» للمرأة والذي يكسبها الشفافية والصلابة الداخلية في آن واحد.

تسلط الكاتبة البحرينية الضوء على مجموعة من المواضيع المترابطة والمتكاملة والتي تشكل العمود الفقري للكتاب، من تلك المواضيع أولاً: «الابستمولوجيا الإسلامية» والتي عرضت من زاوية تربوية لإبراز قدسية التعليم وتكامله من وجهة نظر إسلامية.

ثانياً: عرض النموذج التقليدي Positivist Patadigm والفلسفة الوضعية والمنهج التجريبي الإحصائي كوسائل لأكثر من قرن دون جدوى.

ثالثاً: طرح النموذج البديل Alternatine Paradigm والمنهجية النوعية بدلاً من المنهجية الكمية والتي تساعد بدرجة ما على تكوين معرفة شمولية تشمل جوانب كثيرة كان يعجز المنهج الكمي عن إبرازها.

كذلك تبرز الكاتبة الجانب الإنساني والديموقراطي في مناهج البحث النوعي وطبيعة هذا النوع من المنهجيات في السماح بالتعددية والاستماع للرأي والرأي الآخر، والابتعاد عن النمطية.

رابعاً: لا تكتفي الكاتبة باستعراض المنهجيات المختلفة، بل تتناول الفلسفات والنماذج والمناهج التقليدية منها، والبديلة بالتحليل والنقد والتركيز على الإشكالية التي تسببها تلك المنهجيات من حيث عدم قدرتها على إنتاج معرفة متكاملة تتناول الجوانب الفكرية والروحية معاً، وبالتالي عدم قدرتها على بناء الشخصية المتكاملة القادرة على اكتشاف الذات المقدسة بداخلها ورعايتها وصقلها لتتمكن من معرفة كنه الحياة وتشق طريقها الصعب في سفرها إلى الحق.

كذلك تستعرض الكاتبة البحرينية نظرية المعرفة والمنهجية الإسلامية على أنها نظرية متكاملة وتأخذ بعين الاعتبار حاجة الإنسان للتطور والنمو مادياً وفكرياً وروحياً.

أخيراً تعرض الكاتبة طرق التعليم التي تساعد على اكتساب المعرفة ذات المعنى عن طريق تنمية التفكير الناقد والتفكير الإبداعي والتأمل في النفس البشرية، والكون واستخدام الحوار والتفكير الجدلي كطرق تعليم وتعلم ومنهجية توصل إلى فهم التوحيد. حيث إن إعادة تكوين المعرفة وإنتاجها من أهداف هذا الكتاب، لذا تخصص الكاتبة فصلاً كاملاً لاستعراض مناهج البحث التي تساعد على خلق معرفة إسلامية معاصرة تخاطب المتغيرات وتتجنب الإشكاليات الراهنة ●

ترجمة مصرية لمعاني القرآن الكريم إلى العبرية

بدأت لجنة اختصاصيين مصريين في شهر يونيو ٢٠٠١م بترجمة معاني القرآن الكريم للمرة الأولى إلى اللغة العبرية، ذلك ما صرح به الدكتور عبدالصبور مرزوق نائب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية التابع - منذ تأسيسه قبل ٤١ سنة - لوزارة الأوقاف. وقال الدكتور عبدالصبور عبر الهاتف: إن المجلس الذي أنهى قبل شهرين ترجمة معاني الكتاب الكريم إلى الإسبانية، وسبق أن ترجم المعاني القرآنية إلى ٧ لغات أخرى، سيطبع ٥ آلاف نسخة من الترجمة العبرية «بهدف أن يتمكن الإسرائيليون واليهود في إسرائيل ومعظم دول العالم من مطالعته بلغتهم، ولكي نقطع الطريق على محاولات يقوم بها إسرائيليون ويهود منذ زمن طويل ببث وترويج سور من الكتاب الكريم، ترجمتها ترجمة مزيفة بصورة متعمدة» على حد تعبيره ●

النصيحة

بقلم: سيد عبدالحليم الشوربجي

وسط دخان كثيف ملأ أرجاء الحجرة يجلس الحاج «فتحي» ومعه عدد من أصدقائه يتناوبون «الشيشة» وتنطلق منهم النكات المتبادلة، وترتفع الضحكات والأصوات التي تزداد مع ازدياد الدخان المنبعث من «الشيشة» والذي يختلط بأنفاسهم فيضفي على المكان كآبة بغيضة لا يشعر بها إلا الداخل عليهم... أما هم فقد اختلطت هذه الرائحة بدمائهم حتى ألفوها، ولا يستطيعون الاستغناء عنها.

وإذا بصوت الأذان يرتفع وكلما ارتفع ارتفعت معه الضحكات وأصوات الشيشة... وإذ بطرقات شديدة متتابعة على باب الحجرة ثم اقتحام قوي أذهلهم جميعاً... إنه محمود ابن الحاج فتحي الذي وجد نفسه دون شعور أو تخطيط، يقتحم الحجرة ويرغب أن يأخذ الشيشة بقوة من يد والده ليكسرها متهماً إياهم بالتعدي على حرمات الله، وعدم المبالاة بالأذان والإصرار على ترك الصلاة، والانشغال بهذه الصحبة السيئة والجلسة المحرَّمة قائلاً: لقد صبرت كثيراً على هذه الأفعال ولم تصلح معكم النصيحة فأنتم تصرّون على مخالفة أمر الله بهذه الجلسة التي تصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لقد هممت أن آمر بحطب ليحطب ثم آمر بالصلاة...»، وقبل أن يكمل محمود كلامه صفعه والده صفعة شديدة على وجهه بعد أن وقف مستجمعاً قواه وبعد أن أذهلته المفاجأة قائلاً: أتتهم أباك بالخروج عن دين الله... إنني لأجل هذا لن أنتهي عمَّا أنا عليه، واقعل ما بدا لك، واخرج من البيت فليس لك وجود معي بعد اليوم.

فيخرج محمود وقد أدرك أن التوفيق خانه في نصح أبيه الذي يجب أن يعامل بإحسان وأدب وأن يرفق به في النصح مهما كان الأمر، ثم ذهب إلى أحد أصدقائه ليقضي معه بعض الأيام إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ويجلس الرجل وقد تغيَّر وجهه تماماً عمَّا كان عليه... فيقول له أحد جلسائه دعك منه «فهؤلاء شباب طائش» خذ «الشيشة» واشرب حتى تنسى وها هو قد خرج واسترحنا من مضايقاته.

ولكن الحاج فتحي ظل مشغولاً بما حدث وأنهى هذه الجلسة بسرعة وتعلل بالتعب والإرهاق... ولم ينم تلك الليلة من التفكير فيما حدث... ما الذي فعلته؟! إن الولد معه حق إن حياتي تغيَّرت وتبدَّلت... صحيح إنني أعاني من فراغ كبير بعد أن «حُوِّلت إلى المعاش»... لكن يجب أن أشغل هذا الفراغ بما يفيدني وينفعني، خصوصاً وأن العمر يتقدم... فالأولى بي أن استغل هذه الأيام فيما يرضي الله حتى أقابل الله وهو راض عنِّي، فبدل أن نجتمع على «الشيشة» نجتمع على كتاب الله ونتعاون على قراءته وحفظه وتدبُّر معانيه والعمل به، نتعاون في تقديم الخير للناس ومعاونتهم بما نملك وبما نستطيع... أشياء كثيرة يمكن أن نفعلها تشغل بها هذا الفراغ... ياه... ياه...

أين أنت يامحمود لقد أخطأت في حقك يا ولدي... لكنه ما كان يجب أن يعاملني بهذه الطريقة، إنني مهما كان الأمر أنا والده ويجب أن يحترمني وإن أراد نصحي فليكن باللين والتؤدة، صحيح إن أمور الدين ربما تكون كبيرة على تصوري وتفكيري لأنني لم أنل قدراً من التعليم يؤهلني لذلك... وعبادتي لله أصبحت ضعيفة وأعاني من فراغ كبير، ويأتي الشيطان ليلبس عليَّ ويشغل هذا الفراغ بأشياء تافهة تعوقني عن طاعة الله، لكن مهما كان الأمر فإن عندي بقية من إيمان... تردني النصيحة المبصرة... والكلمة الرتيبة... خصوصاً وإن كانت من ابني الذي ضحيت كثيراً من أجله حتى وصل لهذه الدرجة.

وظل محمود هو الآخر يفكر فيما فعله وأحسَّ بندم شديد على هذا التصرف، فماكان يجب أن يعامل والده بهذه الطريقة... ولكن كيف أعتذر له؟! وأظنه غاضباً عليَّ غضباً شديداً، لكني سأذهب إليه مهما كان الأمر، لأعتذر له وأبيِّن الدافع الذي دفعني لهذا التصرف، هو خوفي عليه من عقاب الله، ربما يسامحني ويقتنع بكلامي ويعود عمَّا هو عليه.

ويخرج محمود ليعود إلى أبيه ليعتذر له وفي الوقت نفسه، يخرج الأب ليعتذر له ويتقابل الاثنان في الطريق دون تفكير أو ترقب يأخذ كل واحد منهما بعناق الآخر، وتنهمر الدموع من كليهما. دموع الابن لفرحه بأبيه، ودموع الأب على تقريطه في جنب الله ●

التربية الإسلامية 94
العدد (429) جمادى الأولى 1422 هـ
إعداد: أحمد عبد الجبار

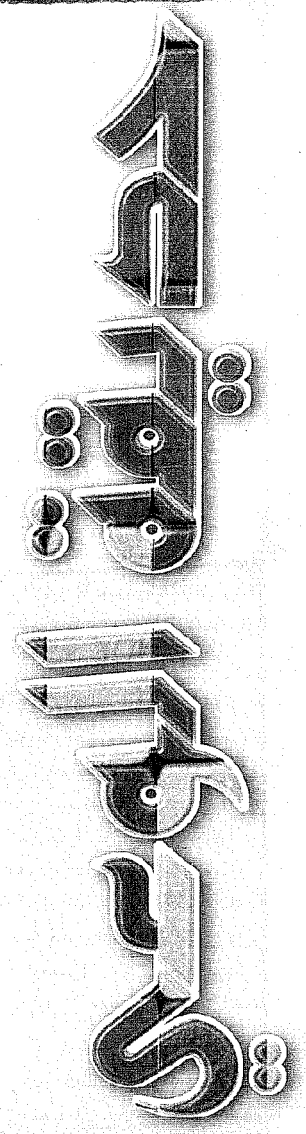

من هدي كتاب الله

(وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير)

الشورى: ٧ ـ ٨.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قُتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «فإن شهداء أمتي إذاً لقليل». قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد» رواه مسلم.

مساوئ المزاح

قال الحجاج بن يوسف لابن القرية: مازالت الحكماء تكره المزاح وتنهى عنه فقال المزاح من أدنى منزلته إلى أقصاها أبواب:

- المزاح أوله مزح وآخره ترح.
- المزاح نقائض السفهاء كالشعر نقائض الشعراء.
- المزاح يوغر صدر الصديق وينفّر الرفيق.
- المزاح يبدي السرائر لأنه يظهر المعاير.
- المزاح يسقط المروءة ويبدي الخنى.
- المزاح لم يجر خيراً وكثيراً ما جر شراً.
- المزاح فيه الغالب واتر، والمغلوب به ثائر.
- المزاح يجلب الشتم صغيره، والحرب كبيره، وليس بعد الحرب إلا عفو بعد قدرة.

فقال الحجاج: حسبك الموت خير من عفو معه قدرة ●

كلمات في التربية

إذا عُومل الولد بإنصاف، فإنه يتعلّم العدل. وإذا عومل بتشجيع فإنه يتعلّم الثقة، وذا عومل بتأييد فإنه يتعلّم عدم الركون إلى الغير، وإذا عومل بتسامح فإنه يتعلّم الفتور، وإذا عومل بأمان فإنه يتعلّم الصدق، وإذا عومل بصداقة فإنه يتعلّم حب الآخرين وإذا عومل بالمدح، فإنه يتعلّم التقدير، وإذا عومل بسخرية فإنه يتعلّم الانطواء وإذا عومل بعداوة فإنه يتعلّم الكراهية والحقد، وإذا عومل بقسوة فإنه يتعلّم العناد، وإذا عومل بانتقاد فإنه يتعلّم التنديد، وإذا عومل بتأنيب فإنه يتعلّم الشعور بالذنب والإخفاق ●

نصيحة معلم

قال معلم لتلاميذه:

اكتبوا أحسن ما قرأتم، واحفظوا أحسن ما كتبتم، وتحدثوا بأحسن ما حفظتم فذلك العلم والعمل جميعاً ●

الجاحظ وامرأتان

قال الجاحظ: لم يخجلني في حياتي إلا امرأتان، رأيت إحداهما وكانت طويلة القامة، وكنا نتناول الطعام فقلت لها: انزلي وكلي معنا فقالت: بل اصعد أنت حتى ترى الدنيا، وهزأت من قصري!!.

والمرأة الثانية كانت قد طلبت إلى الصائغ أن يصنع لها خاتماً مرسوماً عليه «شيطان» فقال لها الصائغ: لا أستطيع لأني لم أر شيطاناً قبل ذلك، ورأتني المرأة وأنا جالس أمام داري فقالت: لي إليك حاجة وأريد أن تمشي معي فقمت معها إلى أن أتت بي إلى الصائغ، وقالت له مشيرة إليّ، مثل هذا، وانصرفت!! ●

ما أردت غيرهما

دخل أحدهم وكان من الحمقى على ابن له قد مات فبكى، وقال: كفاك الله يا بني محنة هاروت وماروت، فقيل له: وما هاروت وماروت؟ فقال: لعن الله النسيان، إنما أردت يأجوج ومأجوج، قيل: وما يأجوج ومأجوج؟ قال: فطالوت وجالوت!، قيل له لعلك تريد منكراً ونكيراً؟! قال: والله ما أردت غيرهما ●

من هو العظيم؟

من العظماء من يشعر المرء في حضرتهم بأنه صغير، ولكن العظيم بحق هو الذي يشعر الجميع في حضرته بأنهم عظماء!! ●

رزقك لا يفوتك

قال الحكماء: من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة، ومن علم أن الذي قضي عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع، ومن علم أن مولاه خير له من العباد فقصده كفاه همه وجمع شمله ●

من نوادر الأعراب

وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم فقال أحدهم:: اسمي وثيق، وقال الآخر: اسمي منيع، وقال الآخر: اسمي ثابت، وقال الآخر: اسمي شديد، فقال الأعرابي ما أظن الأقفال عملت إلا من أسمائكم!! ●

تلبيس إبليس

يحكى أن إبليس لعنه الله ظهر لعيسى عليه السلام فقال:

ألست تقول إنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله عليك؟

قال: بلى.

قال: فارم بنفسك من ذروة هذا الجبل، فإنه إن يقدر لك السلامة تسلم.

فقال: يا ملعون إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه ●

احذر أربع غارات

- غارة ملك الموت على روحك.
- غارة الورثة على أموالك.
- غارة الدود على جسدك.
- غارة الغرماء على حسناتك ●

في الصبر

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله
عند الإله وأنجاه من الجزع

وقال الشاعر:

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه
ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يلتقيه اصطباره
لقد قلّ فيما ترتجيه نصيبه

لا أنساب بينهم يوم القيامة

بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شاباً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزيناً هائماً قلقاً
فارحم بكائي عند البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه
فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديداً وأنشأ يقول:

ألا أيها المقصود في كل حاجة
شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة
وما في الورى عبد جنى كجنايتي
اتحرقني بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي ثم أين مخافتي؟

ثم سقط على الأرض مغشياً عليه، فدنوت منه فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال:

من هذا الذي يهجم علينا؟

قلت: عبيدك الأصمعي سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، أليس الله تعالى يقول: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) الأحزاب:٣٣.

فقال:

هيهات هيهات يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه، ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان حراً قرشياً، أليس الله تعالى يقول: (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) المؤمنون: ١٠١ ـ ١٠٤) ●

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها الى أهل الاختصاص للإجابة عليها.

إسألوا أهل الذكر

التبرع لإغاثة المحتاجين أفضل أحياناً من أداء بعض العبادات

لا يخفى عليكم ما يعانيه ملايين المسلمين من فقر مدقع حتى يفتنهم أهل الباطل بالخروج من دينهم من خلال تقديم الطعام والشراب والكساء والأوى... إلخ، وما يعانيه ملايين المسلمين من جهل مطبق حتى تتخطفهم البدع والضلالات فلا يعلمون من دينهم شيئاً، وهنا في الخليج نرى أن تكلفة الحاج أو المعتمر تتراوح بين ١٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ دينار كويتي أو يزيد قليلاً، فلعل هذا المبلغ يحيي آلاف المسلمين «خصوصاً إن علمنا أن غذاء المسلم الأفريقي اليوم كامل «تكلفته ما يعادل مئة فلس»، أو لعل هذا المبلغ يفرخ داعية يدعو إلى الله ويعلم المسلمين أمور دينهم مدة ستة أشهر أو يزيد.

ولنا في الإمام المجاهد عبدالله بن المبارك أسوة حسنة عندما خرج مرة إلى الحج فاجتاز بعض البلاد، فمات طائر كان معه فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه أمامه وهو وراءهم، فإذا ببنت قد خرجت من دار قريبة من المزبلة، فأخذت الطائر الميت فلفته وأسرعت به إلى الدار، فجاء يسألها عن أمرها، فقالت: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليس لنا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، فقال ابن المبارك لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، قال عد عشرين ديناراً تكفينا إلى مرو، وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا هذا العام، ورجع.

والآن أليس من الأفضل للذين يحجون حج التطوع والذين يعتمرون أكثر من مرة في العام أن يتصدقوا بأموال الحج والعمرة على المسلمين؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان لدى الإنسان مال لا يتسع إلا للتطوع بالحج أو العمرة أو لإغاثة المحتاجين فالأفضل له أن يوجهه لإغاثة المحتاجين من المسلمين، ومن كان موسراً يستطيع أن يجمع بين التطوع بالصدقات والتطوع بالحج والعمرة فله الجمع بين ذلك ولا حرج عليه، لأن إعمار البيت والمتابعة بين الحج والعمرة أمر مرغوب فيه شرعاً ●

استثمار أموال سنخص آخر من دون إذنه وزكاتها

لدي عمال في مؤسستي الخاصة، وهم من خارج الكويت ودياناتهم مختلفة منهم المسلمون ومنهم غير ذلك. وأطلب من كل عامل دفع مبلغ وقدره مئة دينار وذلك بصفة تأمين على الإقامة الممنوحة له من المؤسسة، وما هذا إلا ضمان لحق المؤسسة من الضياع، فهذه الأموال تشكل مع بعضها بعضاً مبلغاً كبيراً محفوظاً لديَّ إلى حين إرجاعه لهم.

السؤال: هل لي الحق بالانتفاع بهذا المبلغ كوديعة استثمارية في بيت التمويل على سبيل المثال والاستفادة من أرباحه، أم توزع الأرباح على العمال، مع العلم بأن حقهم محفوظ عندي إذا ما طلبه العامل للسفر نهائياً؟

ثم على من تجب زكاة هذا المبلغ؟ علماً بأن هذا المبلغ لا يبلغ النصاب إذا ما وزع على أصحابه، أفيدونا جزاكم الله عنَّا خير الجزاء.

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن هذه الأرباح نشأت عن استثمار مال العمال من دون إذنهم في الاستثمار... وللفقهاء آراء فيمن يستحق هذا الربح، وترى اللجنة الأخذ بما وصفه ابن تيمية بأنه أصح الأقوال وهو: أن الربح يكون بين صاحب المال وبين من استثمره يقسم بينهما بمعرفة أهل الخبرة، قال ابن تيمية:

وبه حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا منافاة بين هذا الحكم وبين كون ضمان أصل هذه الأموال على مستثمرها، لأنه من قبيل ضمان الوديعة حين التصرف بها ممن هي مودعة لديه بلا إذن مالكها، وليس من ضمان الملك الذي يستحق به الربح هذا.

ولا زكاة على هذه الأموال، لا على رب العمل لأنها أمانة لديه، ولا على العمال لأنهم لايقدرون على تنميتها، ولكن إذا قبض هؤلاء العمال تأميناتهم زكوها عن عام واحد إذا كان لديهم مال آخر بحيث يتوفر النصاب ●

الاحتفال بذكرى الزواج سنوياً

هل يجوز أن يحتفل الزوجان بيوم زواجهما كل سنة زوجية؟

وهل يجوز الاحتفال بهذا اليوم ولو كان البرنامج بين الزوجين إسلامياً، كأن يكون يوم زواجهما يتدارسان فيه القرآن أو غيره؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

الاحتفال بالذكرى السنوية للزواج لايؤمر به شرعاً ولا ينهى عنه ما لم يشتمل على شيء محرَّم أو شيء من الطقوس الدينية غير الإسلامية ●

هل يتم تحليل البائنة بمجرد العقد عليها؟

لي صديق يسكن في أستراليا طلق زوجته ثلاث مرات، وتزوجت برجل آخر وعقد عليها ولم يدخل بها ثم طلقها، وبعد انتهاء عدتها تزوجت بزوجها الأول ورزقه الله منها ولداً وبنتاً، وقد سأل هناك فقيل له: لابد أن ينفصل عنها فوراً وأولاده منها أولاد زنا، وقال له بعضهم: إن زواجك منها صحيح والأولاد هم أولادك، وقد ارتكبت إثماً واستغفر الله.

وهو الآن يسأل ماذا يفعل وما الحكم الشرعي في ذلك؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

إن زواج الشخص الذي ورد ذكره في الاستفتاء باطل باتفاق الأئمة الأربعة وعامة أهل العلم، حيث لم يدخل بها الزوج الثاني دخولاً حقيقياً، أما ولده وابنته منها بعد «نكاح التحليل» فنسبهما إليه شرعاً وعليه نفقتهما، وأما أمهما فأجنبية عنه، حيث إن نكاحها منه باطل والعقد مفسوخ، وعليهما أن يفترقا فوراً ●

النظر إلى المخطوبة للزواج ومحادثتها

ما حدود المشاهدة والمخاطبة الجائزة في فترة الخطبة، وبخاصة في المجتمع الأميركي الذي يبيح كل شيء في تلك الفترة؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز للخاطب أن ينظر من مخطوبته إلى الوجه والكفين من غير خلوة، ويجوز له مخاطبتها في غير خلوة بما ليس فيه ريبة ولا تعريض بفحش ولا تكسر، أما إذا كانت المرأة سافرة فإن الخاطب يقصر نظره على وجهها وكفيها ●

فتاوى معاصرة

العمليات الاستشهادية

قال الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر: إن العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي هي أعمال مشروعة. ووصف من يلقى ربه إثر هذه العمليات بأنه شهيد ويحشر يوم القيامة في زمرة الصديقين والشهداء.

وأضاف: أن سنة الله سبحانه وتعالى في أرضه اقتضت أن يكون هناك صراع دائم بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، واقتضت كذلك أن يسلط الله سبحانه أصحاب الحق على أصحاب الباطل من أجل نشر الحق والفضيلة في المجتمع.

وأوضح شيخ الأزهر أن ما يقوم به الفلسطينيون ضد الإسرائيليين هو نوع من تسليط أصحاب الحق على أصحاب الباطل، وأن الله ناصر الفلسطينيين على أعدائهم الإسرائيليين وأعداء الدين لأنهم أصحاب حق مدون وكان وعداً على الله سبحانه نصر رسوله والمؤمنين ●

الجهاد بالمال

أكد الدكتور يوسف القرضاوي أن الكيان الصهيوني ليس خطراً على الشعب الفلسطيني وحده، ولكنه خطر أيضاً على الأمة الإسلامية كلها من الناحية السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والثقافية، وطالب الشعوب الإسلامية أن تجاهد بمالها إذا لم تستطع أن تجاهد بنفسها، فالوقت الآن هو وقت الجهاد بالمال وهذا واجب على كل مسلم ومسلمة في العالم الإسلامي الذي يزيد على البليون ونصف البليون نسمة.

وتساءل القرضاوي: إذا لم يفتح باب الجهاد في هذا الوقت الذي تهدم فيه المنازل ويقتل فيه الفلسطينيون المسلمون صباح مساء دون تمييز بين طفل رضيع أو شيخ هرم أو امرأة حامل فمتى يفتح؟

ثم أعاد التأكيد على ضرورة الدعوة إلى إحياء المقاطعة الإسلامية للبضائع الأميركية على مستوى الشعوب والحكومات وطالب بإعادة إحياء مكاتب المقاطعة في كل العواصم العربية ●

تأجير الأرحام حرام

وفي إجابة للدكتور القرضاوي حول تأجير الأرحام قال: يشرع للزوجين الاستفادة من منجزات العلم في الإنجاب شرط أن يكون الحيوان المنوي من الزوج والبويضة من الزوجة.

وأضاف: أن الإسلام يحرم أطفال الأنابيب إذا كانت النطفة من رجل غير الزوج أو من مجهول وكانت البويضة من امرأة أخرى غير الزوجة.

وذكر أن هذا الحكم ينطبق على مسألة تأجير الأرحام، وكون البويضة من الزوجة ولكن الرحم من امرأة أخرى، لأن ذلك من شأنه أن يثير الخلاف حول المرأة الأحق بالأمومة، هل هي صاحبة البويضة، أم التي حملته وهناً على وهن ●

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة
من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا
ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء

هاتف مباشر خدمة الفتوى 149

العدد (428) جمادى الأولى 1423 هـ

ظاهرة خطرة

بقلم: عبدالرحمن قره حمود

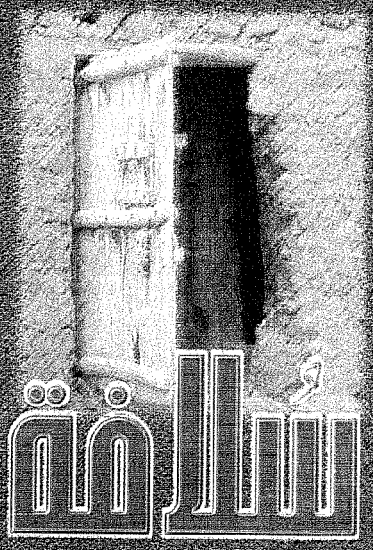

أينما سرت، وحيثما اتجهت تطالعك إعلانات مكتوبة أو مسموعة، أو مرئية عن جوائز على مشترياتك، أنواع شتى من البضائع والسلع، سيارات، ملابس، مواد غذائية، حتى الوجبات السريعة، بل تعدى الأمر ذلك إلى من يطرقون الأبواب ليقدموا للناس ما يغريهم بشراء منتجاتهم وبضائعهم، وهناك من يوقظون الناس من نومهم هاتفيا ليعرضوا عليهم ما يشعرهم بأنهم يخدمونهم.

فمنذ أيام أيقظتني إحداهن لتعرض علي الاشتراك بإحدى الصحف اليومية حيث أعلنوا عن مسابقة تشكون جوائزها من (٨٠) سيارة، ولنصحتي بألا أضيع فرصة الدخول في السحب للحصول على إحدى السيارات.

هذا إضافة إلى ما تعرضه بعض الفضائيات من جوائز مغرية تقدر بالملايين التي توهم الكثيرين من الناس بقدرة الحصول عليها بمجرد الاتصال هاتفيا برقم معين.

أليس هذا نوعا من اليانصيب؟! وبخاصة إذا علمنا أن الاتصال الهاتفي يكلف المتصل أكثر كثيرا من قيمة ورقة اليانصيب؟! وأن كثيرا ممن يشترون أو يشتركون في الصحف اليومية التي تعلن عن مثل هذه المسابقات يرمونها ولا يقرؤونها لأن سبب شرائهم لها هو الأمل الضائع في ربح موهوم؟!

لا أعلم، ماذا دهى الناس؟! لماذا يعودونهم على الكسل، ويجعلونهم يأملون بل يحلمون بالربح الوفير دون عمل؟!

إذا لم يكن هذا نوعا من الميسر، ففيه، بلا ريب، شبهة الميسر، بل هو أخطر.

ترى هل هي خطة مدروسة من الأعداء للانحراف بنا بشكل غير مباشر عن مبادئنا، وأحكام شريعتنا، وإلهائنا عن التفرغ لأهدافنا؟! علينا أن نتنبه لذلك ونحذر، فالمؤمن كيس فطن، ولست بالغبي وليس الغبي يخدعني.

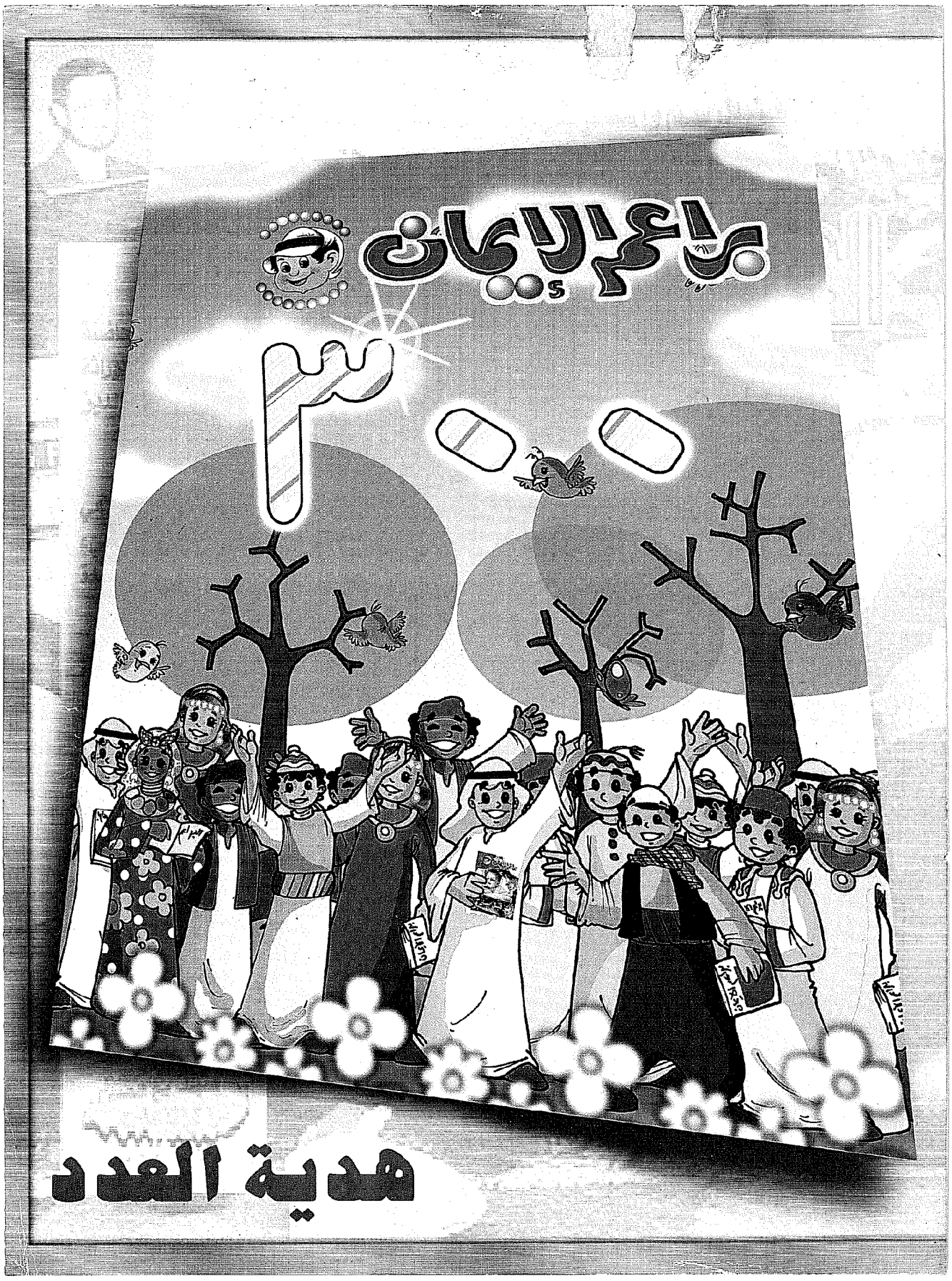
براعم الإيمان
٣٠٠
هدية العدد



بوينج 777



ايرباص A-340

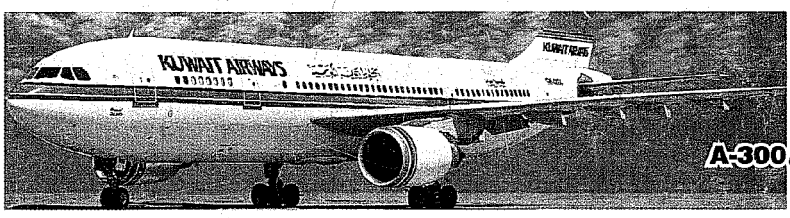

ايرباص A-300



ايرباص A-310



ايرباص A-320



يتكون أسطولنا من أحدث الطائرات من حيث التكنولوجيا والخدمات . وتوفر طائراتنا وسائل الراحة والأمان والترفيه والاتصال . الأهم من ذلك كله هو الكفاءة في إدارة وصيانة هذا الأسطول من الطائرات الحديثة . فالتناغم الذى نحرص عليه في إدارة الأسطول ، أشبه مايكون بالتناغم والنظام الذى يحرص عليه المايسترو والموسيقيون في الأوركسترا عندما يعزفون المقطوعات الموسيقية العالمية الرائعة . اعتمد طائرات الخطوط الجوية الكويتية لتكون منزلا مريحا لك في السفر .

تناغم تام

الخطوط الجوية الكويتية
تشكيلة رائعة

www.kuwait-airways.com

ALSIHAM FF7